

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE



نضال

بقلم

نجيب الريس

قلمٌ مُشعرٌ اذا مسّ فكراً — نطق الفكر من لهيب سعيره
يتلظّى الشعور في جانبيه — وقوام البيان من هيج شعوره
ثائر في «نضاله» مستثير — ثورة اليمّ في زحام صخوره
لم يغمغم بين السطور أما — هزّك هذا الاخلاص بين سطوره
فاملأ الحسّ من عواطف قلب — مُلهَم الصدق في سنا تصويره
هتفات على الحمى معربات — عن هضيم الحمى وعن مقهوره

شفيق جبري



نضال

بقلم

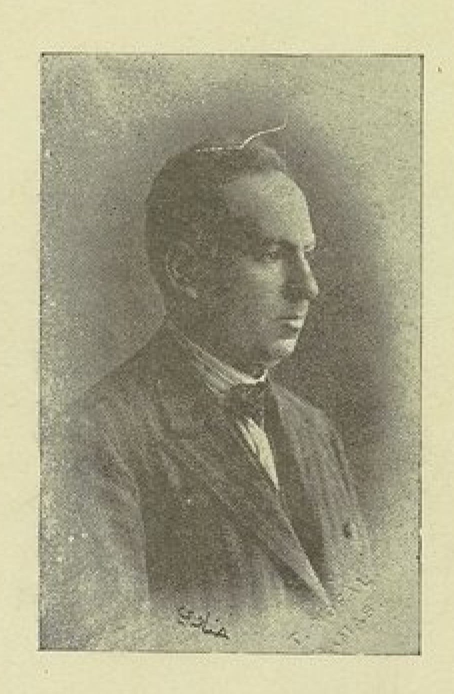
نجيب الريس

مقدمة الكتاب

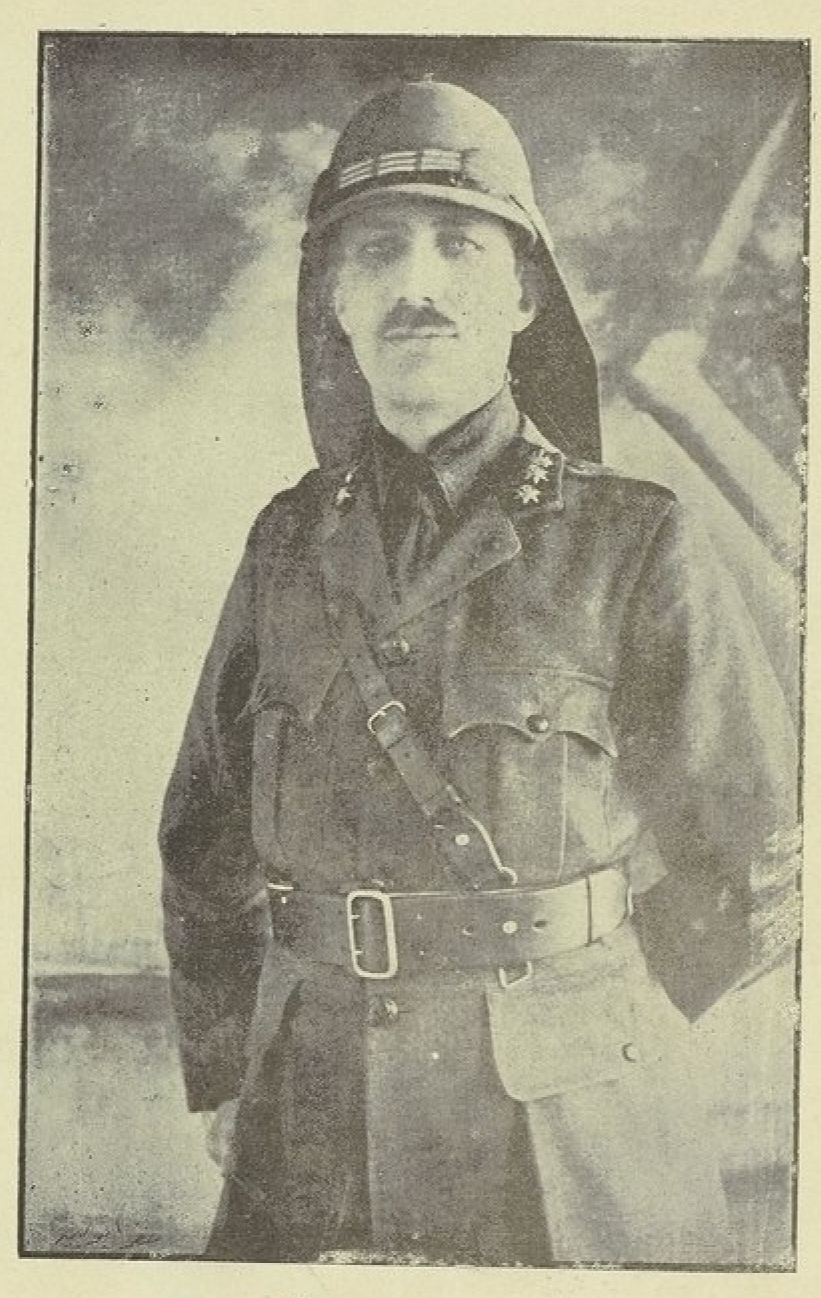
بقلم العلامة الاستاذ

فارس بك الخوري

طبع في شباط سنة ١٩٣٤ — دمشق : مطبعة القبس



شاعر الشام الاستاذ شفيق جبري



الشهيد يوسف بك العظمة

الى يوم ...
والى مكان ...
والى رجل ...

الى اليوم الذى انزلت فى مسائه آخر راية من رايات الاستقلال !
وكتبت فى صباحه اول مقالة فى البكاء على هذا الاستقلال !
والى المكان الذى ذرفت على ترابه الحزين اول دمعة فى حب هذا الوطن الجريح !
واوحى الى نفسى منذ خمسة عشر عاماً عاطفة الوطنى المقهور والعربى الموتور
والى الرجل الذى تعهد بالدفاع عن كرامة وطنه وحياة مليكه ، فلما
سقط الوطن وتوارى الملك ، وقف حاسر الرأس مكشوف الصدر يثقب
الرصاص وجهه ويغسل الدم جسمه .

الى يوم الهزيمة الذى لا يخجل
والى ميسلون التى لا تبلى
والى يوسف العظمة الذى لا يعوض

الى هذا اليوم   والى هذا المكان   والى هذا الرجل
اهدى خير ما كتبت وما اكتب وما سوف اكتب

« نجيب الريس »

مقدمة الكتاب

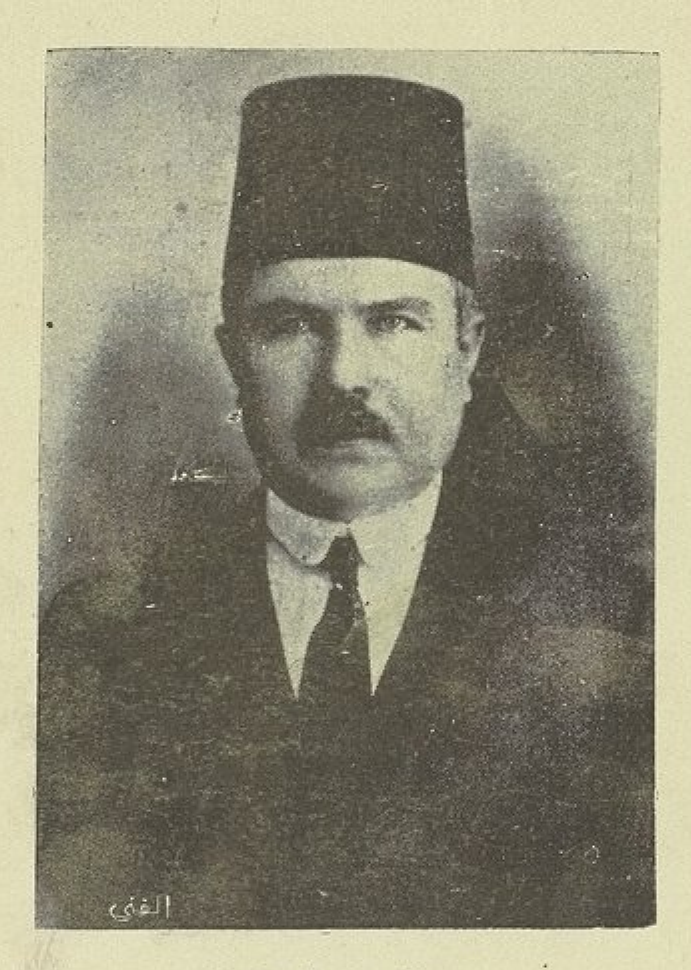
بقلم العلامة الاستاذ فارس بك الخوري

لست بحاجة الى تعريف قراء العربية بالاستاذ نجيب الريس صاحب هذه المقالات، اذ ليس احد منهم يجهل من هو صاحب جريدة القبس ومحررها اللامع في عالم الصحافة والادب، والكاتب المجلي في ساحات السياسة والاجتماع، والخطيب الركين في مواقف الحزم والمآسي، وهو على حداثة سنه قد زين المطبوعات العربية في سوريا ومصر بشذرات قلمه السيال ونفثات يراعه الطليق وبنات فكره المولد، حتى باتت مقالاته الشيقة الاسلوب والغزيرة المادة في كل موضوع طرقه، لذة المطالعين وأحدوثة الاسمار.

له عند عارفيه مزية ناصعة بالثبات في المباديء الوطنية والبقاء على عقيدة واحدة في طلب الاستقلال لبلاده والدفاع عن كرامتها وحقوقها.

اعتنق هذه العقيدة منذ جرى قلمه في اول كلة خطها وسطر أنشأه ولصق بها طول المدة التي قضاها في كفاحه الشريف لا يتبدل ولايتحول عنها قيد انملة، رغماً عما تجشمه لاجلها من المشقات والمصاعب بسوقه مراراً الى السجون والمنافي وتحميله اعباء الارهاق باقفال جريدته وتحطيم يراعه المرة تلو المرة، وهو في ايمانه الوطني ارسى من الجبل وعلى خطته ابقى من الدهر لاتخور له عزيمة ولا تلين له عود. صبر على الشدة وحمل بواهظ الضيم وتلقى ضروب الاضطهاد في سبيل مبدئه الحر وهو كالشعلة من النار كلما ضربتها تزيد انتشاراً

عطلت جريدته هذه المرة الاخيرة وحرم قراؤها فوائدها الجزيلة كما بقي عمالها بدون كسب وهم احوج ما يكون الى الارتزاق فتفرغوا لجمع هذه البضعة الطيبة من مقالاته الرائعة التي نشرها في القبس فاخرجها للناس كتابا نفيساً يجمع انموذجا صادقا عن نضاله في ميادين الوطنيه ويعجبك منه سلاسة السبك وانسجام المعاني وسهولة التعبير



معالي فارس بك الخوري

ورقة الالفاظ بالاسلوب الرائق الذي عرف به هذا الكاتب النجيب في كل ما كتب ونشر

وقد اختار لهذه المجموعة القيمة مما نشره عند وقوع الحادثات الهامة والعبر المؤثرة ما هو جدير بالحفظ وحري بالبقاء ليعيد بها على قراء العربية من ذكريات الماضي القريب ما يثير الاسى ويحرك جذوة الجوى ويبعث النشاط المستكين ويوقظ الهمم الهاجعة الى العمل .

وقد نحاها عن كل مايسيء الى الاشخاص الذين كانوا في صفحات الماضي القريب هدفاً لمراميه الموجعة وموقعاً لطعنات يراعه النافذة ، وتعمد في اختياره القطع الموجزة التي يتلوها القاريء بدون ملل ولا استطالة ، فجاءت مجموعة «نضاله» مجنى شهياً ونخبة طلية يقدمها لابناء قومه هدية نفيسة وتحفة سنية

اذا استعدت ذكرياتك منذ خمس عشر سنة والى اليوم وما تعرفه من مواقف الاستاذ نجيب الريس حيال الحوادث العامة وحاكتها بالعدل والانصاف ، وجدت انه لم يظهر متحامل على العرب وقضيتهم داخل البلاد اوخارجها الا وتصدى لدحض حجته ورد كيده في نحره ، ولا افترى مفتر على احد رجال العرب المخلصين الا وقام دونه ردءاً منيعاً ومدرها لدوداً يناضل عن الحق ويرد دعاوي المعتدين ، ولا اقتحمت الفاقة فريقاً عربياً الا وهب يدعو الى النجدة ويحث على البذل والتضحية ، ولا نعب ناعب بالتفرقة الا وجهر في وجهه بشجب الانقسام والتحريض على الاتحاد والانضمام ، ولا انحرف آمر عن الامر بالمعروف الا وصمد له ينحت من اثلته او يسديه النصح الى ان يثوب الى السداد

هذا كان ديدنه في حياته الصحافية يؤازر نصراء الوطن ويؤيد خدامه الامناء ويقاوم خصوم قضية البلاد بصلابة راسخة وصراحة جلية يفخر بها الاصدقاء ويحترمها الخصوم الشرفاء .

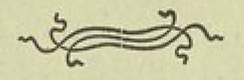
وليس من الانصاف ان اختم هذه الكلمة الوجيزة بدون ان اذكر ملاحظتي على ان القطعتين اللتين جعل لهما المجرر حظاً من اختياره لمجموعة « نضال » وكان نشرهما قديماً جوابا على حديث نسبه مراسل المقطم لغبطة البطريرك اللبناني ، اذ لم يكن ادماجها بين هذه المنتخبات مؤتلفاً مع روح هذه المجموعة الطيبة ، خصوصاً

بعد ان نفى غبطته في ذلك الحين ، ان يكون ادلى بهذا الحديث المردود عليه بالصورة التي نشر بها ، وبعد الموقف النبيل الاخير الذي يقفه غبطته في الدفاع عن مصالح البلاد (*) .

واننا نرجو لهذه المنتخبات الرواج الذي يليق بما فيها من النفاسة العالية ولصاحبها الاديب فرجا واقبالا .

دمشق في ١٢ شباط سنة ١٩٣٥

فارس الخوري



« * » ان هذه المجموعة من المقالات طبعت في شهر كانون الاول من عام ١٩٣٤ وان كانت لم تظهر الا في هذا التاريخ لأن تعطيل « القبس » حال دون صدورها وتوزيعها ولم يعد بالامكان حذف المقالتين من الكتاب الا اذا اتلفت نسخه جميعها وهذا ليس بالامكان .



جلالة الملك عبد العزيز آل السعود

بداوة مستقلة خير من مدنية مستعبدة (*)

« وان من نعم الله على هذه البلاد المقدسة ان رفع فيها منار الدعوة اليه وحفظها وصانها من اي تدخل أجنبي بحيث أصبحت حرة مستقلة في داخليتها وخارجيتها وليس لاجنبي فيها اي امتياز على غيره ، فكل من دخل هذه البلاد فهو خاضع لا لجبروتنا وقوتنا وانما هو خاضع لجبروت الشريعة وحدها ، اما التجدد الذي يحاول البعض اغراء الناس به بدعوى انه ينجينا من آلامنا فهو لا يوصلنا الى الغاية القصوى ، اننا لا نبغي هذا التجدد الذي يفقدنا عقيدتنا وديننا .

لقد كنت لا شيء واصبحت اليوم وقد استوليت على بلاد شاسعة واسعة .

ان سبب بلايانا من انفسنا لا من الاجانب ، والله انني لا أخشى الاجانب بقدر ما أخشى المسلمين »

« من خطاب الملك ابن السعود »

ليسمح لنا دعاة المدنية والتجدد ان نفاجئهم بهذه الفكرة الجديدة ، وان نعلق على هذه الكلمات الكبيرة التي قالها اكبر ملك عربي مستقل خبر الحوادث وخاض غمار الانقلابات ومارس سياسة العرب والاجانب معاً فخرج من غمارها جميعها بهذا الدرس الذي يلقيه على العرب والمسلمين ، بل على هذا الشرق المستعبد .

ويظهر ان هذا الشرق بعد الدرس والتجارب طبعاً لا يستطيع ان ينجو من مطامع الغرب الا اذا استمسك بماضيه وحافظ على تراثه القديم ، وانه كلما دنا من

(*) نشرت في « القبس » بتاريخ ٢٩ أيار سنة ١٩٢٩

المدنية والتجدد الكاذبين وخدع بمواعيد الاجانب بعد عن حريته واستقلاله وحيل بينه وبين نوال حقوقه واني لارجو ان لا يأخذ علي اخواني هذا الرأي « الرجعي » فانا لا اقصد به ان يبعد الشرق عن التمسك بكل ماهو نافع من علوم واختراعات وجميع وسائل القوة والحضارة . واحسب ان جلالة الملك ابن السعود لا يطلب الى المسلمين ان يظلوا في جهلهم وخمولهم ولكنه يريدهم ان يتمسكوا بماضيهم وان يتحدوا وان لا يكونوا عبيداً وجواسيس للاجانب يعملون لحسابهم ويعاونونهم على اذلال اوطانهم واستعباد اهلها

لقد اساء بعض الناس فهم المدنية فراحوا يطلبونها من هذه المظاهر البراقة وحسبوا ان الدين الاسلامي يحول بينهم وبين الاخذ بهذه الحضارة في حين ان الاسلام هو الذي ظل يفيض وحده على العالم نيفاً واحد عشر قرناً قوة وفتحاً ومدنية وعلماً فما وجد خلفاؤه وملوكه ودوله المختلفة الاسماء والجنسيات ما وجدوا في كتاب الله وسنة نبيه من عهد الخليفة الثالث الى آخر ملك من ملوكهم، مانعاً دينياً يمنعهم من اتخاذ الاساطيل وركوب البحر وترجمة علوم اليونان والرومان والفرس ودراسة الرياضيات والطبيعيات والصيدلة وتعلم لغات الاوربيين . بل ان التاريخ الزاهر في العصور الماضية قبل نهضة اوربا الحديثة انما هو التاريخ الاسلامي الذي كان له من القرآن والاحاديث الصحيحة اكبر نصير على ازدهاره وعظمته فاذا دعا جلالة ملك الحجاز ونجد الى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله فانما يدعو قبل كل شيء الى الاتحاد والى القوة والى العلم . ولكن جلالته لا يريد ولا نريد له نحن ان يكون التجدد الذي يتشدق به بعض الضعفاء المستعبدين سبباً في بسط نفوذ الاجانب على تلك البقية الباقية من بلاد العرب المستقلة باسم التجدد او باسم التمدين .

***

لا يحترم الاجنبي شيئاً مهما ادعى الانسانية والرحمة سوى القوة . فلتكن جاهلا جميع العلوم واللغات تلبس الخيش وتجلس على الحصير وتأكل بيدك لا بالشوكة والسكين وترتدي العباءة والخف بدل « السموكن » و « الصباط »

وتستر رأسك بطربوش او عقال او لتمش حافياً مكشوف الرأس اذا اردت ؛ لتكن فيك هذه الصفات جميعها ثم لتكن بعد ذلك قوياً فان الاجنبي يحترمك ولا يأنف ان يجالسك بل لا يخطر له يوما ان يقول لك انك سوري قذر او بدوي جاهل لانه لا يحترم فيك سوى القوة .

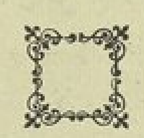
وماذا نفع السوريين رقيهم وعلمهم ودراستهم الحقوق والطب والهندسة واللغات الاجنبية والمام اكثر شبابهم ورجالهم باصول اللبس والاكل وحتى الرقص ... ماذا نفعهم هذا كله يوم اصطدم ضعفهم بقوة فرنسا في بعض مواد الدستور التي لا تنص في كل حال على خروج فرنسا او عدم الاعتراف بها ؟ لم ينفعهم العلم والرقي اذن ولم يوصلهم حقهم المشروع في السيادة القومية الى التمتع ولو بدستور فيه بعض الحرية وفيه بعض السيادة الداخلية . بل ماذا نفع انصار التجدد دعوتهم الى التجدد ولا سيما اصحاب السفور و« البرنيطة »؟

اجل لم ينفع السوريين ولا اللبنانيين ولا المصريين رقيهم وعلمهم وتجددهم بقدر ما نفع النجديين بأسهم وقوتهم ، بل ان الحياة البدوية وذلك النظام الشرعي الذي يقول عنه جلالة الملك في خطابه وتمسك القوم بواجبات دينهم هذه وحدها صانت بلادهم من اي تدخل اجنبي بحيث اصبحت حرة مستقلة في داخليتها وخارجيتها ليس لاجنبي فيها امتياز على غيره وانما هو خاضع للشريعة .

لقد ابى جلالة الملك ان يسمع دعوة انصار التجدد لئلا يتخذ هذا التجدد نفسه سلاحا لاقامة الفتن في بلاد تعيش على الفطرة والشريعة كبلاد نجد والحجاز كما اتخذ هذا التجدد وحده وسيلة للثورة في بلاد الافغان ووسيلة لتحطيم عرش ذلك الملك الذي حرر الافغان من نير بريطانيا بحسامه فانقلب ذلك التجدد على الافغان المستقلة فوضى وثورة واستعماراً ، فقطع ابن السعود الطريق على اوربا واعلن في خطابه سياسته الصريحة انه لا يريد تجدداً ولا يبغى اصلاحا الا مما في القرآن والسنة وان فيهما كل الاصلاح وكل القوة وجميع العلوم . بل ليس فيهما ما يمنع ابن السعود ان يكون له اسطول ومدافع وجيش ومدارس تعلم كل العلوم الحديثة .

لاتتعب اوربا نفسها بالدعوة الى التجدد في الشرق فهي غير مخلصة في هذه الدعوة فانها تدعو اليه ثم تتخذه آلة لاذلاله واذلال اهله وقد ثبت للشرقيين ان القوة هي التي تحترم وحدها قبل العلم والفن والادب لان اوربا هي نفسها علمت الشرقيين ان البداوة القوية هي المحترمة وان ماسوى ذلك من مدنية وحضارة وعلم وفن لايوصل الشعب الضعيف الى حقه ولو ملأ العالم فلاسفة وحقوقيين ومهندسين ومخترعين . فقد ملك ابن السعود هذه البلاد الواسعة المحدودة من العراق والشام واليمن والبحر الاحمر وخليج فارس بقوته وقوة جيشه لابقوة العلم والفن والتجدد وبهذه القوة وحدها وضع اسمه الى جانب اسم ملك بريطانيا وامبراطور الهند في معاهدة الند للند . وها هو هذا الاسم القوي يوضع قبل خمسة عشر يوماً الى جانب اسم رئيس جمهورية المانيا في معاهدة النظير للنظير .

اما بعض المسلمين الذين قال عنهم جلالة الملك انه يخشاهم اكثر مايخشى الاجانب وانهم هم عيون الاجنبي ومعاوله في جسم الاسلام والعرب فان بلادنا واسفاه تزدحم بهم ، ويظهر اننا سنضطر بعد الذي رأيناه من حوادث الافغان ومصر وسورية ان نؤمن حتما بان الشرق ولا سيما العرب لايستطيعون ان يعيشوا مستقلين الااذا استردوا مافقدوه في غمار هذه المدنية الاوربية . اما ان يقال عنهم انهم همج وانهم متأخرون فان هذه الهمجية المستقلة خير لهم واشرف من هذه المدنية المحتلة الذليلة .



المجاهدون في وادي السرحان (*)

كتبت هذه المقالة على اثر حادثة مخجلة تمثل العقوق واللؤم ، وهي ان فريقاً من البدو اغار على المجاهدين في وادي السرحان ، واستاق ابلهم وحلالهم . وقد كان من حسن الحظ بعد هذه المقالة ان افتتحت في جريدة اليوم التي كان يرأس تحريرها الاستاذ عارف النكدي قوائم التبرعات لاطفال الصحراء .

لعل افظع حادث من حوادث العقوق واللؤم تلك الحادثة المخجلة التي وقعت في صحراء وادي السرحان يوم غزا فريق من البدو جماعة المجاهدين في قريات الملح واستاقوا طائفة من ابلهم ومواشيهم مما ذكرته الصحف في اول هذا الاسبوع ثم ما كان من لحاق المجاهدين بهم واسترجاعهم حلالهم منهم .

لست ادري ما عسى ان يكون موقف كاتب طرحت بين يديه هذه الحادثة وقيل له قل رأيك فيها !؟ واي رأي هذا يقال في العدوان على اقدس حرم يقوم في صحراء الجوف المعطشة وتحت شمسها المحرقة يلوذ من ذلة النفس ويفر من الاضطهاد ويعيش اهله على الخبز اليابس والماء المالح فيلحق بهم من اعراب البادية جماعة يخطفون ابله التي يحمل فوق ظهورها مضاربه عندما يطارده العدو القوي ثم لا يرتفع في الامة صوت استنكار

فوا ذل العرب اذا كان فيهم من يعمد الى جدع انفه بيده ، ويا خجل قوم

(*) نشرت في « النداء » بتاريخ ٩ حزيران سنة ١٩٣١

لا يتورعون عن الحاق الاذى بمن صبروا في سبيل هذه الامة على جميع انواع الاذى .

لقد كنا نتوقع ان يعقد تحالف عسكري بين فرنسا وانكلترا مثلا كما عقد في الازرق يوم طاردوا المجاهدين فيه فلاذوا من شره بارض نجدية — وان يهاجم هذا الجيش المتحالف جماعة المجاهدين في وادي السرحان وان يسلط عليهم مدافعه فيحصدهم حصداً وان تمطرهم طياراته بقنابلها فتحرق المضارب وتتطاير اشلاء الاطفال بين دخانها . اما ان يوجد في بلاد العرب جماعة ينتسبون الى الامة العربية ويدينون بعادات البادية ويتبجحون بانهم اهل ذمة ووفاء يهاجمون هؤلاء المجاهدين في مضاربهم ويسلبونهم ابلهم ومواشيهم فهذا امر ما كان يتوقعه احد بل هذا عار كنا نربأ بان يغمس يده فيه انسان في هذا العالم

***

يعيش المجاهدون في وادي السرحان منذ نيف وثلاث سنين عيشة لا يصبر عليها الا الذين هانت عليهم المنية في سبيل غاية قدموا نصف رجالهم ضحايا من اجلها او في سبيل نفوس عزيزة خافوا عليها الذل فعافوا بلادهم واهلهم وقراهم ونزلوا في صحراء قاحلة وفي مضارب تحرسها الشمس اللاهبة في الصيف ، والسماء الماطرة في الشتاء وهذه الامة الفخورة بالثورة و « هؤلاء » بقية السيوف من رجالها لم تبعث اليهم برغيف ولا تبرعت بفلس لولا بعض المهاجرين في اميركا وفريق من اهل شرق الاردن يبعثون اليهم بشيء من المال يأكلون به خبزهم بلا ادام ، هذه الامة التي يتبجح زعماؤها ورجالها وخطباؤها وكتابها وصعاليكها بانها ثارت وانها جاهدت وان مجاهديها لا يزالون في الصحراء محتفظين بنفوسهم العزيزة وسيوفهم الماضية وانهم نواة لثورة كبرى اذا لم تجب مطالب البلاد ، هذه الامة تنام في منازلها قريرة العين وهؤلاء المجاهدون يجوعون في مضاربهم ثم فوق ذلك يهاجمهم جماعة من البدو يسلبونهم ما يملكون من ابل وماشية .

وهؤلاء الزعماء ورجال الاحزاب والخطباء والكتاب يفاخرون بجهاد الامة

وثورتها مفاخرة لو كانت تكلفهم فلسا لما فاخروا بها ثم ينصرفون الى بيوتهم ناعمين بطعامهم وشرابهم وفرشهم الوثيرة بين نسائهم واولادهم

اما اوائك النساء والاطفال فيعملون في جمع الحطب في النهار وفي غزل الصوف في الليل واما رجالهم ففي الملح يفتشون عنه تحت التراب ثم ينقونه بايديهم ويحملونه الى عمان فيبيعونه بقمح وشعير ليأكلوا لقمتهم ويطعموها نساء واطفالا ينتظرونهم في المضارب جياعاً حفاة

***

يقول المسيو دوكه في تقريره الى لجنة الانتدابات ان نحواً من ثلاثمائة عائلة من الثوار في وادي السرحان قد استسلموا فينبرى بعض الناس الى تكذيب صاحب التقرير ، ويقولون : ان المجاهدين لن يستسلموا حتى تجاب مطالب البلاد

المجاهدون لا يستسلمون حتى تجاب مطالب البلاد ؟ !. وانتم ماذا تفعلون في سبيل مطالب البلاد هل دفع احدكم خمسة قروش لهؤلاء المجاهدين الذين يؤلمكم خبر استسلامهم ولا يؤلمكم خبر جوعهم ؟ ! انهم يجوعون وان القادمين من عمان يروون اسوأ الانباء عن عيشهم الضنك وحياتهم المرة .

لقد اصبح حراما وعارا على كل وطني ان يتحدث عن الثورة او يفاخر بها وهؤلاء الذين رفعوا راسه وجعلوه يطالب بحق وطنه باسم الدم المسفوح في الثورة جياع حفاة يطلبون الخبز فلا يجدونه .

فواذل امة تفتخر بما يجب ان تخجل منه ، ويا وقاحة اناس يتكلمون عن الوطن والوطنية والثورة والثوار والجهاد والمجاهدين وهم يمسكون القرش عن الذين يفاخرون بهم .

في دمشق وفي حلب وفي بيروت ايضا اناس يمسكون الفلس عن المجاهدين ولكنهم يتبرعون مثلا بخمسين ليرة عثمانية ذهباً ثمن بيانو للنادي الموسيقى ... وفي هذا البلد من يركب السيارات للنزهة ويلبس الحرير والجوخ ولا يأكل طعامه الا اشكالا والوانا ويفاخر بالجهاد والوطنية ولا يرضى الا بالاستقلال التام الناجز ، ولكنه لا يرسل رغيفا او ثمن رغيف للمجاهدين في الصحراء

اي استقلال هذا يليق بنا او نليق بـه ونحن نرى باعيننا الذين رفعوا رؤوسنا وجعلونا نتكلم عن الوطن وحقوق الوطن يسكنون الصحراء ويعانون شظف العيش فلا نمد لهم يدا ولا ننقذهم من الجوع وهم لا يتجاوزون في عددهم سكان قرية صغيرة من قراهم التي هدمتها قنابل المدافع واحرقتها قذائف الطيارات في الثورة

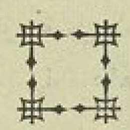
***

نعم ! خمسة قروش فقط تنقذون بها الذين قاتلوا سنتين ورابضوا ثلاثة وتصونون بها نفوسهم العزيزة ان تذل واطفالهم ان تجوع ونساءهم ان تبكي .

يجب ان ترسل التبرعات علنا ويجب ان يعلم الفرنسويون والانكليز اذا كانوا لا يرضون عن هذا العمل اننا ننقذ نفوساً من الجوع وان بعض نسائنا في دمشق لم يرفضن ان يعملن في جمعية الصليب الاحمر الفرنسوية باسم الانسانية ، أفيرفضون ان نطعم قومنا ورجالنا باسم الانسانية ؟

يرحم الله الشاعر حين يقول :

يا ويح قومي أأفنى بـين اعينهم   على الحضيض ولا يدرون ما دائي ؟



ميسلون (*)

كتبت هذه المقالة بمناسبة الاحتفال بالذكرى الرابعة عشرة لفاجعة ميسلون.

سبحانك اللهم ، كيف تمر السنون ، وتنطوي الازمان ، وتمشي قوافل الضحايا الى القبور في سبيلك انت وسبيل هذا الوطن ؛ الذي امرتنا في كتابك الكريم وعلى لسان نبيك المعظم بان نحبه وان نموت في سبيل كرامته فوعدت الشهداء بافضل العاقبة ، وخلدتهم في نص القرآن الحكيم : «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون»

سبحانك اللهم فقد علمت عبادك الذين يؤمنون بك ، معنى الوطنية ، وحببت اليهم الشهادة في سبيل اوطانهم فتسارعوا الى هذه الشهادة يطلبون رضاءك ويطلبون جنتك ويضربون الامثال لمن يأتي من بعدهم من الاجيال ان لا يفرطوا في جانب الله ولا جانب الوطن ، فكان قرآنك الكريم مجموعة خالدة في اشرف درس من دروس الوطنية والاخلاق . فاذا اعتصم بك الوطنيون الاموات ولاذ بقوتك الوطنيون الاحياء فانما يلوذون بالقوة التي لا تبلى ، والرحمة التي لا تضيق ، والاله الذي لا يحول ولا يزول .

لقد امرتنا تباركت اسماؤك وتعالت قدرتك ، ان نكرم شهداءنا وان نخلد ذكرهم ، بعد ان كرمتهم وخلدتهم ، وها نحن في هذا الصباح الحزين نستيقظ على ذكرى عبد من عبادك الشهداء فنكرم له هذه الذكرى ونقف على قبره المضمخ بدم الشرف خاشعين ، تغمر نفوسنا عظمة البطولة وعظمة الشهادة . اما ميسلون هذا

(*) نشرت في القبس بتاريخ ٢٤ تموز سنة ١٩٣٤

المكان المختار من الارض التي لا يملكها اهلها باكثر ما يتسع له قبر الرجل الذي رقد في ترابها ، فستظل في هذه الديار منبع لذكرى الذي لا ينضب ، وكان الوحي الوطني الذي لا يكذب ، وان حفنة واحدة من تراب ميسلون اليابس لاحب الينا والمجد في نفوسنا من جميع هذه القصور الغارقة بالظلال والماء والورود والرياحين ! ... ففي التراب اليابس القاتم خشونة البطولة والرجولة ، وفي ذلك الافق الاغبر رائحة الموت ، وفي ذلك الجو اللاهب قسوة التضحية وعزة الشهادة .

لقد هزم الوطن في ميسلون وفل جيشه ، ونكست رايته فاضاف الاقوياء اصحاب الوطن الكبير ، يوما جديدا الى ايام انتصاراتهم ، وسجل الضعفاء اصحاب الوطن الصغير المهزوم يوما آخر الى ايام انكساراتهم ، افترى هل يجب على الغالب ان يزهو في يوم ظفره وعلى المغلوب ان يخجل ويتوارى في يوم غلبته وانكساره؟!

ليس كل مغلوب في نظر التاريخ جبانا محتقرا فكثيرا ما تكون روعة الغلبة اوقع في النفوس من روعة الظفر ، فقد غلب البولونيون في غابر الزمن ، غلبتهم اقوى دول في الارض ، فقسمت وطنهم والحقته ببلادها الحاقا ، فاذا بالفلك يدور دورته ، واذا بالمغلوبين بالامس يقفون مع اصحاب الاوطان الكبرى والدول المستقلة جنبا الى جنب ذلك لان بولونيا غلبت ولكن البولونيين لم يغلبوا ولم يموتوا فبعثوا وطنهم المغلوب من بين انقاض الحرب العامة ، وساعدهم على بعثه الحلفاء وفي مقدمتهم فرانسا .

وغلب الامير عبد القادر الجزائري في الجزائر بعد نضال طويل ، وبطولة فذة ثم جاء الى باريس زائراً فاذا بالغالبين انفسهم يستقبلون الامير المغلوب استقبال الفاتحين ، واذا بقائد الجيش الافرنسي الجنرال «لاموريسير» الذي ربح المعركة الاخيرة والفاصلة في حرب الجزائر والذي سلمه الامير عبد القادر سيفه فاعاده اليه باعجاب واكبار — يصيح في غمار الشعب الباريسي : ها هوذا المغلوب يستقبل في بلادنا استقبال الغالب ، فالبطولة الغالبة تحيي البطولة المغلوبة ، وها هو الجنرال غورو قائد الجيش الغالب في ميسلون وقف في ١٤ تموز سنة ١٩٢٠ يحيي قائد

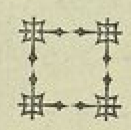
الجيش المغلوب ، بعد ان غرق بدمائه ، ويكتب على ضريحه القائم في العراء :
« يوسف العظمة وزير الحربية الشربفي مات شهما بطلا » .

***

نعم ! نحن المغلوبون ، ولا فخر ، ونحن المنكسرون ولا غضاضة ، فسورية هي المغلوبة وفرنسا هي الغالبة . واذا نحن وقفنا اليوم على انقاض الوطن المهزوم في ميسلون نحتفل بذكرى الهزيمة ، فانما نحتفل بها ورؤوسنا مرفوعة ونفوسنا عزيزة وقد كانت لنا ميسلون واحدة من قبل فجعلنا في كل ناحية من نواحي هذا الوطن ميسلونا جديدة . واني لاتخيل في هذه الساعة الجنرال غورو في باريس وقد استيقظ من نومه وقرأ في حائط غرفه رقمين كبيرين ٢٤ تموز ، اني لاتخيل قائد الجيش الغالب الحي يحيي في هذا النهار قائد الجيش المغلوب القتيل كما حياه يوم مصرعه وساعة هزيمة جيشه .

***

ايها السوريون المنتشرون في هذا العالم من وراء الاطلانتيك الى ضفاف السين والنازلون في وادي النيل ، وعلى سواحل الخليج والبحر الاحمر والمقيمون في قلب الصحراء ! حيوا وطنكم المهزوم في هذا اليوم تحية الشجاع المؤمن الصبور واتركوا الندب والبكاء للنساء ، فليس في الانكسار عار ولا خجل ، ولكن العار والخجل في الاستسلام فما كنتم ولن تكونوا من المستسلمين ، فما ضاع العدل في السماء ولا فقد الانصاف على الارض



الرجل الذي يكره الضجيج (*)

كتبت هذه المقالة بعد سكوت المفوض السامي السابق المسيو بونسو خمس سنوات على بقاء القضية السورية في مكانها عقب حل الجمعية التأسيسية .

ماذا عمل المسيو بونسو في سوريا ؟

هذا سؤال لم يكتب حتى الان في صحيفة عربية بشكله الواضح الذي يجب ان يكتب به الآن، لان الصحف العربية سرت لها ايضاً عدوى الحقنة التي حقن المفوض السامي بها البلاد وغدت كالمريض الرازح تحت آلام العملية الجراحية يشعر بالخدر ولكنه لا ينطق، ويحس بالالم ولكنه لا يتحرك بل ينتظر نتيجة العملية ، ويرنو بعينيه الى وجه الطبيب يسأله : متى تنتهي هذه الآلام يا دكتور ؟

ونحن الآن نسأل المفوض السامي : متى تنتهي هذه العملية ومتى تنتهي معها آلامنا ، وهل يريد ان نظل غرقى في غمار هذه الفوضى وهذا الخراب الذي يفتك بكل عنصر من عناصر الحياة العامة فلا نصرخ من الم ولا نشكو من ضيق لئلا يقال عنا اننا نعمل ضجة والمفوض السامي رجل يكره الضجيج .

لقد مضت خمس سنين والمسيو بونسو في سورية لم يعمل عملا ينفع البلاد ولم يوفق الى ايجاد حالة راهنة فيها سوى هذا الدستور المشلول المعطل الذي اصبح عبارة عن حبر على ورق لا تعترف به البلاد ولا ينفذ فيها بل هو اشبه بنسخة من كتاب قديم محفوظ في مكتبة المفوضية العليا يضاف الى هذه الالوف المؤلفة من قرارات ومراسيم ، واما ماسوى ذلك فان المفوض السامي قضى هذه السنين ينعم بثقة باريز

(*) نشرت في القبس بتاريخ ٦ نيسان سنة ١٩٣١

ويفخر بشكر جنيف على حساب هذه الامة المنكوبة بسيادتها ووحدتها وثروتها وهو فوق ذلك لايهتم بما تعانيه من فوضى في احكامها وتقهقر في شؤونها وخراب في زراعتها وتجارتها كل هذا في سبيل غاية واحدة هي ان لايقال ان في سورية ضجيجاً فان اهلها مخلدون الى السكينة شاكرون للمفوض السامي حكمته ورحابة صدره . ولكن للصبر حداً ولتأثير المخدر نهاية فقد ذهبت السكرة ياسيدي العميد وجاءت الفكرة ولا يعلم احد الا الله مايفعله الغد وما تأتي به الحوادث.

***

لقد عين المفوض السامي حكومة موقتة لتشرف على الانتخابات ولكن ثلاث سنين وها نحن في الرابعة قد انقضت وظهرت نتيجة الانتخابات فضربتم بها وجه الحق والمنطق وعمدتم الى قوتكم تملونها على السوريين الضعفاء ورغم رفضهم هذا الاملاء فقد اصدرتم الدستور مشوها مشلولا ثم اوقفتم تنفيذه ونلتم على هذا العمل ثقة باريز وشكر جنيف وسجلتم ظفرا سياسيا لم تعده البلاد الا هزيمة من مجابهة الحقائق وبعد ذلك استطبتم هذا الظفر وتمتم على هذه الثقة ولكن البلاد لم يغمض لها جفن لانها وصلت الى شر حالة لم تصل اليها بلاد مثلها

***

المفوض السامي يكره الضجيج ؟

حسن جدا ... والمفوض السامي لا يحب الكلام!... والمفوض السامي نيته حسنة!... والمفوض السامي يحب السوريين !...

ثم ماذا !؟...

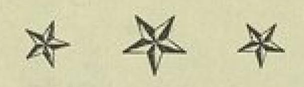
البلاد فرغ صبرها والبلاد لم تعد تطيق الانتظار والبلاد لايهمها احبها المفوض السامي ام كرهها فهي تريد نهاية لهذا الحب وهذا الغرام وتريد ان تفهم هل المفوض السامي عاجز عن حل مشكلتها ام قادر، فان كان عاجزاً فنحن لسنا مستعدين ان نذهب ضحية عجزه وان كان قادرا فليتفضل وليحل المشكلة .

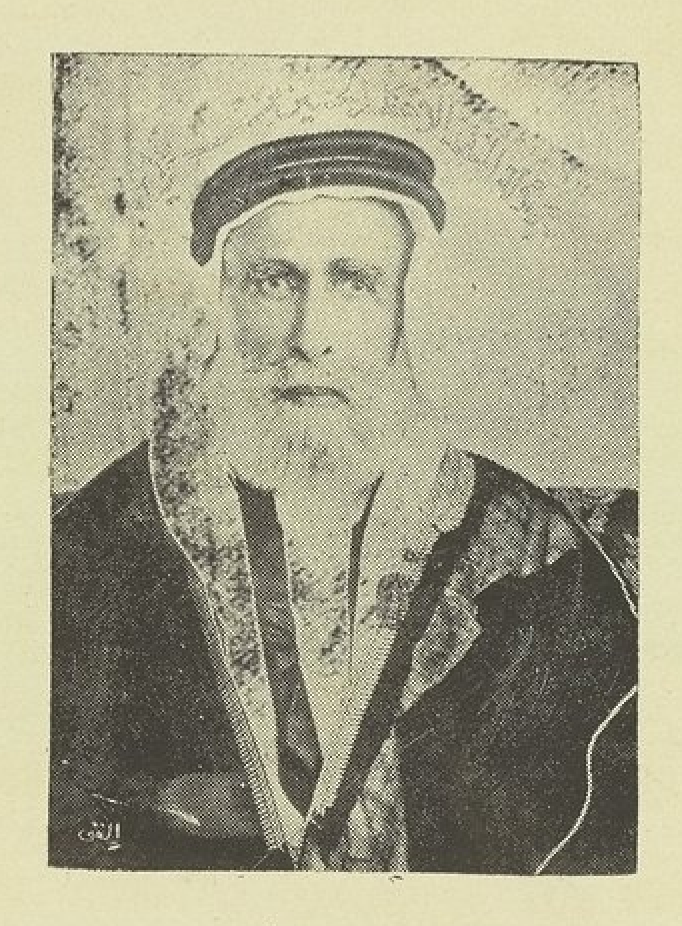
***

حكومة تعبث باموال البلاد وتبددها . وميزانية توضع بلا شفقة ولا رحمة

وضرائب نجبى لتنفق على الدسائس والشهوات وفوق ذاك فالمفوض السامي لايحب الضجيج .

آمنا وصدقنا ، المفوض السامي رجل هـادىء ، رحب الصدر ، قليل الكلام ، ونحن ثوثارون ضيقو الصدور نحب الكلام ولكننا نحب ان يقطع المفوض السامي علينا كلامنا باعماله المثمرة وسياسته المنتجـة ، اما ان يسكت ويريدنا على السكوت ويقضي الشتاء في بلادنا والصيف في اوربا فليست بلادنا مشـتى للسياح وليست فيها قبور الفراعنة وتمثال ابي الهول فان بلادنا مابرحت تدار بسياسة الاحتلال العسكري منذ عشر سنين ، ونحن نريد ان ننتهي من دور الاحتـلال فاحسبونا مشكلة من مشاكل الحرب فقد انتهت مشاكل الحرب وتمت التصفية .





المغفور له جلالة الملك حسين

الحسين (*)

كتبت هذه المقالة على اثر اشاعة روتها شركة «روتر» الانكليزية بوفاة جلالة الملك حسين ثم ما لبث ان ظهر كذب الخبر

كان الناس يظنون ان الصفحة الضخمة التي قلبت المستقبل ، وغيرت وجه التاريخ في الامبراطورية العثمانية ، واحالت بلاد العرب الى ما هي عليه الآن ، قد طويت واندثر اثرها ، وان صاحب هذه الصفحة الاسير في قبرص والمنفي في قلب البحر لن يخرج من منفاه الابدي الا الى قبره ، ذلك القبر الذي كنا نشك في مكانه : أفي تربة الاروام وبين احراج ايكوسيا ، ام في تربة الحجاز ، وعلى مقربة من الصفا والمروة ؟! وربما كان بعض الناس يتساءلون : ايخلي الانكليز سبيل الحسين ميتاً ويسمحون لبني هاشم بحمل جثمان سيدهم الى الحجاز ، ام انهم لا يعفون عنه ولا يحترمون رهبة الموت كما يقول امير الشعراء :

أمن سرق الخليفة وهو حي ... يعف عن الملوك مكفنينا ؟!...

وهل عبد العزيز السعود يسمح لسيد الحجاز بالامس ان يكون دفين تربته اذا عدت عليه المنون ، ام يأبى على شيخ قريش ان يستريح حتى بعد الموت في دار قريش الاولى ؟!

هكذا كان حديث الناس في الاسبوع الماضي الذي نعت فيه «روتر» منفي قبرص بالامس وضيف عمان اليوم ، ولكن الله شاء ان لا يموت الحسين ، وان يظل حيا ، وان يحال بين الانكليز وبين تمثيل مأساة ثانية في التاريخ ، وان لا يبلغوا

(*) نشرت في القبس بتاريخ ٥ كانون الاول ١٩٣٠

من العرب ما بلغوه من الافرنسيين ، وان لا يكون مصير الحسين مصير نابليون الاول ، وان يقدر لمليك العرب وابي ملوكهم رؤية بلاد عربية قبل ان يغمض الموت جفنيه ، وان يكون مقامه في بلد من بلاد الشام تحيط به قلوب تخفق بحبه ، وتغمره نظرات تفيض حناناً وعطفا واجلالا .

ها هو الحسين اذن في عمان ، وها هي الاردن من شواطيء العقبة الى اذرع ، وهذه فلسطين من العريش الى اليرموك ، ها هي جماهير العرب تفد على قصر رغدان لتحية الاسد المريض الذي كانت اولى كلماته اول ما استطاع الكلام : « الحمد لله الذي ردني عليكم واراني وجوهكم ، واحاطني بابناء العرب في قلب بلاد العرب » والذي كانت اولى نصائحه : « عليكم بالاتحاد فوالله ما ذهب بعظمة العرب غير تفرق كلمتهم » ثم سؤاله عن سورية وما فعل الله بقضيتها ؟

ها هو صوت الحسين يدوي في بلاد العرب من جديد بعد ان خفت خمس سنين طويلة ، وقد كان ذلك الصوت اول ما ارتفع في وجه الظلم ، ايام كان العرب يحنون الرقاب امام الجلادين ، ويقبلون اقدام السفاحين ، ويحمدون الله الذي ارسل الى بلاد الشام جمال باشا ليطهرها من « الخونة » المارقين اعداء الله والدين وخليفة رسول رب العالمين !... ها هو صوت ابي علي يرتفع من بين القبور ويخترق الصحراء والبحر وينادي بالاتحاد ويدعو اليه وينصح العرب ان يعتصموا بحبله ، وها نحن نسمع في نبرات ذلك الصوت صدى الثورة العربية الاولى ، ونحس في كل كلمة من كلماته نذيراً يهيب بنا : ان اعتبروا بالمصير الذي صارت اليه بلادكم التي ينعم الحلفاء باحتلالها بسيوفكم ودمائكم .

اجل ان التاريخ لم يرو فاجعة اشد الما واكثر اساة من فاجعة العرب : امة تحتل بلادها بايديها وتنقذها من الترك بسيوفها ودمائها ثم تسلمها الى الاجنبي باسم الحرية والانقاذ ؟! لا بل ان البلاد التي لم يسفك في احتلالها من ايدي الترك والالمان دم افرنسي واحد قد صارت للافرنسيين وحدهم وهاهم ينعمون فيها حكما ونفوذا واستعمارا وهاهم يضنون علينا ان نكون واياهم شركاء في حكمها وادارتها ونحن

الذين احتللناها لهم ، ونحن الذين استخلصناها بدمائنا وسيوفنا لا بدمائهم ولا بسيوفهم!

اللهم انها فاجعة ماشهد التاريخ اشد منها اسى ولا عرف العرب انفسهم لها مثيلا حتى ولا في الاندلس ، اما فاجعة الاندلس مهما عظمت فهي لاتعدو ان اسبانيا النصرانية عادت الى وطنها الاصلي وابادت العرب الذين احتلوها واما سورية فقد احتلها من لم يسفك في سبيلها قطرة دم .

لقد دوى صوت الحسين من جديد ولكنه لم يرتفع بالثورة فقد استنفدت الثورة الاولى قوى العرب والثانية قوى سورية وانما هو يرتفع بالدعوة الى الاتحاد وانها لدعوة اذا لم تجب فهيهات ان يقوم في العرب من يدعو اليها بعد الحسين .

والآن فاسمعوا ايها السوريون ! ان صاحب الصوت الاول الذي نعته برقيات « روتر » اليكم قد قام من قبره يدعوكم الى حفظ كرامتكم ولن تحفظ كرامتكم حتى تتحرر بلادكم وهيهات ان يتحرر لكم وطن وانتم مختلفون .



ذكرى افتتاح الجمعية التأسيسية (*)

كتبت بمناسبة مرور اربع سنوات على افتتاح الجمعية التأسيسية

نحن في صباح اليوم التاسع من شهر حزيران من عام ١٩٢٨ ودمشق من قاسيون الى الربوة ضاحكة هانئة والساحة الممتدة من قصر الحكومة الى رصيف فندق « خوام » قد استحالت الى كتلة بشرية ورجال الشرطة بملابسهم الرسمية يحتفلون مع الشعب بذلك اليوم الباسم . وهي اول مرة بعد ثماني سنوات تبصر عيوننا هؤلاء الرجال الرسميين يمرون بنا ونمر بهم في مظاهرة وطنية من غير ان تلهب سياطهم وجوهنا ونهتف للحرية والاستقلال ونحن في مأمن من هراواتهم تقع على رؤوسنا واجسادنا

وهذا عادل حتاحت يعانق عمود الكهرباء على ضفة بردى الجنوبية ويخطب في الناس ويهتف بهم فيرددون هتافه : لتحي الجمعية التأسيسية ليحي الدستور ليحي النواب الوطنيون ... وهناك محمود البيروتي الذي وهبه الله اقوى حنجرة على الهتاف والنشيد واصلب كفين على التصفيق الحاد ... يحتل درج السراي فخورا جذلا يجاوب زميله حتاحت على تحياته للدستور وهتافاته للحرية ونوابها الامناء.

وهنا وهناك بين دار البلدية ودائرة الشرطة يجتمع « اركان الحرب » من الشباب لينظموا كيفية استقبال اعضاء الجمعية التأسيسية عند دخولهم السراي وهذا نائب الشباب فخري البارودي بقامته الطويلة الهيفاء وضحكته الرنانة الصافية يفتح ذراعيه استعدادا لعناق نائب كردطاغ كور رشيد مثلا.. او تقبيل نائب الجسر زكي النجاري ليأتي بهما الى صف الوطنيين في المجلس ولا تنس ان فخري

(*) نشرت في النداء بتاريخ ١١ حزيران ١٩٣١

البارودي اكرم مخلوق في تقبيل الناس لا فرق عنده بين كهل او فتى جميلاً كان او مشوهاً ...

واوشكت الساعة التاسعة ان تدق فازدحمت المناكب واشتد الهتاف وهنا يدخل النواب باب السراي فيؤدي الجند لهم التحية العسكرية

يا له مشهدا كانت فيه الدموع تسيل فرحا ويا له يوما كان له ما بعده بل يا له فتحا لو كان له رجال يعدون عشرة ملايين فقط ولكنهم لم يكونوا الا سبعين رجلا ومن ورائهم مليون ونصف ثلثاها نساء واطفال وشيوخ وطلاب وظائف ...

وهكذا انقضى اليوم التاسع من تموز عام ١٩٢٨ وها نحن في اليوم التاسع من تموز من عام ١٩٣١ فما اعظم الفرق بين اليومين ! ...

***

واليوم تستيقظ دمشق في هذا الصباح «اترى ذكرت صباح ذلك النهار الماضي وترى هل ذكر بعض الذين كانوا ينعمون في ظلاله عهده الذاهب وحرمته المنهوكة ...

لقد كان يوم ٩ تموز عمرا كاملا للحرية المحاطة بحراب فرنسا واسطولها . ولو كان عمرا للحرية القومية المستقلة لما جاء يوم ١١ آب من بعده فهدم كل ما بني فيه ولكن نتائج الحرية التي تمنح منحا لا تكون غير ذلك بل الغريب ان تكون لها غير هذه النتيجة فهذه نتيجة كل شيء يمنح منحا والويل لمن لا يأخذ حريته اخذاً فقد تطورت نفوس البشر حتى عافت كل ما يمنح منحا بل ان الحب قد تطور حتى اصبح المحب يرفض القبلة من محبوبته اذا كانت منحة ومنة

***

تلك هي نتيجة سياسة التفاهم النزيه بين القوي العابث والضعيف المخدوع . يوم خلاب كيوم ٩ تموز ترتفع فيه الاكف بالتصفيق وتتمزق الحناجر من الهتاف للحرية الممنوحة ثم يعقبه يوم كيوم ١١ آب تؤد فيه هذه الحرية في مهدها

اية حرية هذه التي يعتز بها وهي تصدر عن الفاتح ؟ واي دستور هذا يحرس

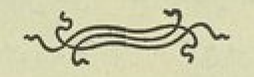
عليه ، وهو لا ينفذ الا باراده مفوض اجنبي بل اين هي سياسة التفاهم التي عشنا على بساطها خمس سنين كاملة وهي لم تعمر اكثر من ٩ حزيران الى ١١ اب

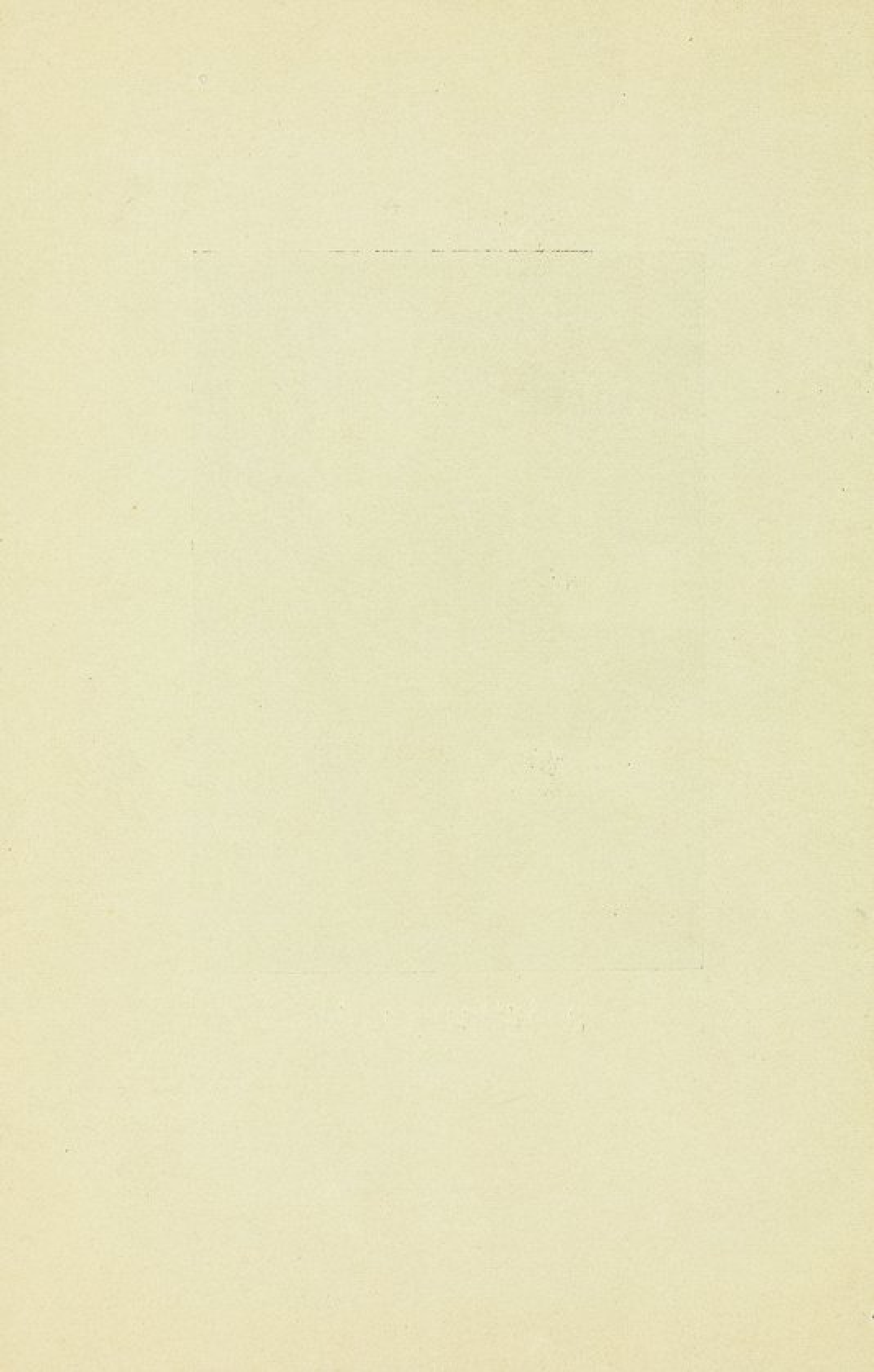
لقد تعود سياسة التفاهم وقد يعود يوم كيوم ٩ حزيران ولكن ذلك كله لا يدوم ما دام الفاتح هو المانح ، فلقد آن لنا ان نخجل من استجداء الحريات واستعطاء الدساتير والمعاهدات ، ولنقم بواجبنا الوطني فنعيد نشاط هذه الامة فاصحاب العقائد والمثل العليا لا يقدرون على هذه السياسة ولا تقرها ضمائرهم

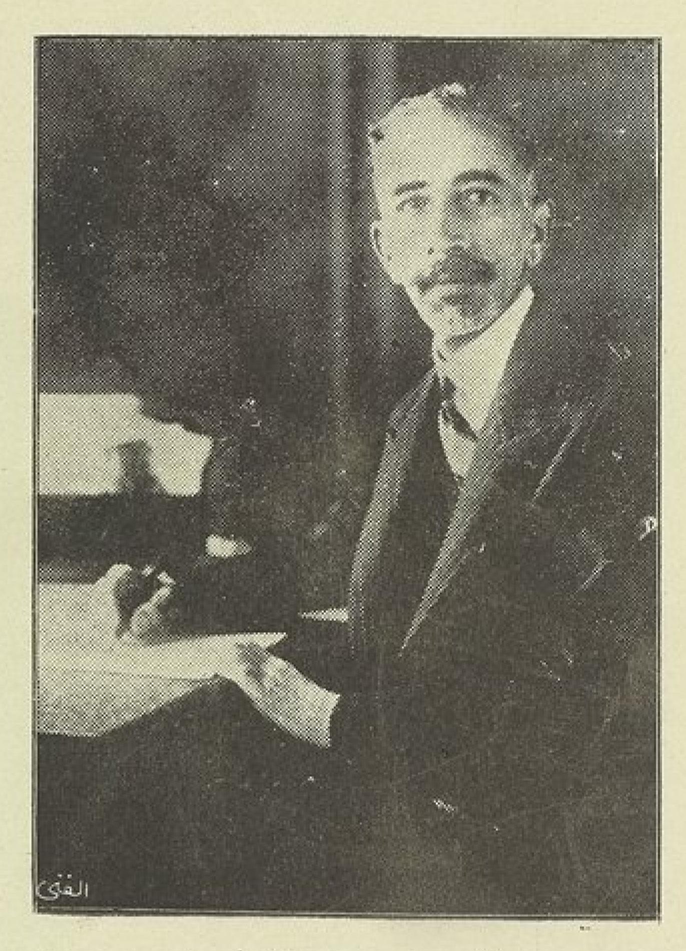
ان الزهد بالمعاهدات والدساتير والمفاوضات مع هؤلاء المستعمرين هو اخر ما يجب على المخلصين خصوصا بعدان جربوا وبعد ان اخلصوا في هذه التجربة حتى كادوا يضحون بانفسهم او كادوا يحترقون

هذه ذكرى من ذكريات الحرية الممنوحة نعرض لها ونحن نردد قول الشاعر :

لم يكن وصلك الا حلما في الكرى او خلسة المختلس







المغفور له جلالة الملك فيصل

فيصل في حدود مملكته القديمة (*)

كتبت هذه المقالة عند مرور المغفور له جلالة الملك فيصل بعمان فى طريقه الى اوربا ، وكانت البلاد تعد له مضابط التوكيل .

مر بي فريق من حملة مضابط التوكيل التي توقع في دمشق لجلالة الملك فيصل في طلب وساطته لحل القضية السورية ، وقالوا لي : الا تريد ان توقع على هذا التوكيل ؟ ؟ فقلت : لا . لان التوكيل يحتاج اليه في نظري رجل غير فيصل ، يخشى اذا تكلم ان يقال له : أتحمل توكيلا من الذين تتكلم باسمهم ؟ اما الرجل الذي يحمل بيعة امة في ملك ، وثقة شعب في قضية ، فهو فوق المضابط والعرائض. فالامة السورية التي بايعت ابن الحسين بالملك لم تنزع هذه البيعة من اعناقها حتى تجددها له اليوم بواسطة المضابط والعرائض . والبيعة في الشريعة تكون مرة واحدة ، لا تنقض الا اذا استقال منها صاحبها ، او اعلن الذين بايعوه بها عدولهم عنها او بايعوا رجلا اخر بمثلها وعلى شروطها. فهل استقال فيصل من بيعة السوريين له بالملك ؟ او هل اعلن السوريون انفسهم مباشرة او بالواسطة نزعهم لهذه البيعة من جلالته ؟ او هل بايعوا مباشرة او بواسطة نوابهم رجلا اخر بالملك غيره وعلى الشروط التي بايعوه بها في دمشق في ٨ اذار عام ١٩٢٠ ؟!

لقد انتخب نواب سورية رئيسا لدولتهم ، لمدة معينة محدودة ولكنهم لم يبايعوا احدا بالملك مدى الحياة ، ثم لابنائه من بعده على قاعدة التوارث سوى مرة واحدة ولرجل واحد . فانتخاب رئيس للجمهورية من قبل نواب بلاد محدودة وفي

(*) نشرت في « القبس » في ١ حزيران سنة ١٩٣٣

منطقة محدودة من سوريا المجزأة شيء — والمبايعة بالملك من قبل جميع نواب سورية الكبرى من رفح الى طوروس شيء اخر . والعمل الصغير الموقت لا ينقض العمل الكبير الدائم الذي يرافق الحياة . فجمهورية المدن الاربع في قطعة صغيرة من سورية يعيش فيها مليون ونصف هي غير ملكية يجب ان تنشر راياتها من قنال السويس الى خليج فارس وتظلل تحت اعلامها امة تعد نيفا وخمسة عشر مليونا من العرب في القدس وعمان واللاذقية والسويداء وبيروت وبغداد ، وتؤلف بين شواطيء البحر المتوسط وبردى ودجلة والفرات يحمل تاجها رجل واحد بويع بالملك عليها بيعة شرعية ، ذلك الرجل هو ابن الثورة العربية البكر ، فيصل الاول . فهل يحتاج بعد ذلك رجل مثل فيصل الى مضابط وعرائض تخوله حق الكلام باسم السوريين وله في اعناقهم بيعة ولهم عليه واجب كواجب العراقيين عليه ؟!

لا : نقولها بملء افواهنا ونعلنها بكل تواضع وصراحة : ان ملك السوريين الشرعي لا يحتاج الى مضابط من السوريين تخوله حق الكلام والوساطة في قضية بلادهم . فالرجل الذي الذي حرر العراق في عهده وزحزح النير عن عنقه قد اصبح اليوم الملاذ الذي تلجأ اليه سورية في محنتها الوطنية والسياسية . فاذا تكلم فيصل فمن هو الذي يجرأ ان يقول في هذه البلاد : ان فيصل لا يتكلم باسمنا ؟!

***

غدا تزحف الوفود من دمشق الى عمان مخترقة هذه الحدود الخشبية التي اقامها الفتح الاجنبي بين حوران ووادي موسى ، مجتازة تلك الجسور الوهمية التي فصلت بين نهر الاردن ونهر بردى تحمل تحية الشام الى ملكها الاول في بقعة من حدود مملكته القديمة ، لم تستطع ان تحول هذه الحدود ولا تلك الحواجز بين السوريين وملكهم يلتقون في ارض عربية يفدون اليها من حلب ودمشق وبيروت والقدس ؛ كلمتهم واحدة ومثلهم الاعلى الاستقلال والوحدة واحد في ظل ملك تتلاشى امامه الحزبية وتنسى في كنفه الاحقاد ، وتموت التفرقة . فهل استطاعت صكوك الانتدابات في سوريه وفلسطين والجنسيات « الدولية » الجديدة في بيروت ودمشق واللاذقية والسويداء والمعاهدات السياسية في عمان وبغداد ، هل استطاعت هذه الكلمات

المكتوبة وتلك الصكوك الموضوعة ، ان لا تجمل العرب هنا وهناك يلتقون في صعيد واحد بقلوبهم واجسادهم يهتفون بملء افواههم ومن اعماق ارواحهم بتحية الوحدة العربية والسيادة القومية في ظل ملكهم وابن خليفتهم وقائد نهضتهم الاول في الحرب والسلم وفي الوطنية والسياسة ؟

كلا . ان ذلك جمية لم يتو على محو هذه القومية العربية ، في بلاد كل ماحولها عربي . فالصحراء ورمالها والجبال وصخورها والسهول والوديان وسكانها ، هـذه كلها عربية وللعرب وحدهم دون سواهم ، وهيهات ان تقوى هذه السياسات المحليـة وتلك التسميات الدولية الجديدة والجنسيات « الملونة » من « سورية » و« اردنية » و « لبنانية » و « علوية » و « درزية » هيهات ان تقوى جميعها على ان تجمل العربي اعجميا . والشرقي غربيا وطالب الحرية عبداء وهيهات للاستعمار الاجنبي ان يعيش طويلا في بلاد لم تنس انشودة الحرية تغنيها في كل صباح وتهتف بها في كل مساء فالاستعمار يستحيل عليه ان يخلد في اوطان يرفض اهلها ان يشعروا بالعبودية في اعماق نفوسهم .

***

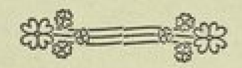
هذا مهرجان عمان ، انه مظهر من اجل مظاهر الشعور بالحرية ، وهذا فيصل انه الرمز الحي لمطامح السوريين والفلسطينيين والاردنيين ، بل انه الامل المنعش للقومية العربية والاستقلال العربي في دولة واحدة عربية مستقلة ، ان لم تتأسس بحدودها اليوم فان فكرتها قد تأسست واكتسحت الحدود والحواجز ومتى عاشت الفكرة عاش كل ما سيبنى عليها من ملك ضخم ودولة كبرى ، وهل النهضات والدول والممالك في اول امرها سوى فكرة في النفوس لا تلبث ان تعيش في افق ضيق ، ثم تشرق بعد ذلك فتملأ الافاق البعيدة نورا واملا وقوة ؟

ان هذا الزحف القومي الى عمان سيكون صفحة جديدة في تاريخ القضية العربيه عامة والقضية السورية خاصة ، وهذا الملك العربي الذي استطاع من تحت نير الانتداب البريطاني ان يبعث بسفراء الى عواصم اوروبا ، يمثلون الدولة المستقلة الجديدة بعد ان اجلس مندوبه في جنيف الى جانب مندوبي تركيا والعجم ، في قلب عصبة الامم

قد اصبح اليوم ملاذ السوريين والفلسطينين والاردنيين بل ملاذ العرب جميعا يهرعون اليه في محنهم السياسية ويعوذون به من شر التفرقة والاضمحلال

ليس فيصل للعراق وحده بل هو للعراق والشام وفلسطين فهناك اهله وهنا عشيرته وهنالك قومه . ومن احق من فيصل بعد اليوم بان يتمثل في موقفه هذا بقول الشاعر الحمداني :

بالشام اهلي وبغداد الهوى وانا   بالرقتين وبالفسطاط اخواني



العلويون يؤيدون «العلويين» (*)

«قالت المفوضية العليا برقية تفيد بان المجلس النيابي العلوي قرر تأييد استقلال العلويين وانه يرجو المفوضية ابلاغ هذا الامر الى وزارة الخارجية الافرنسية والمجلس في الوقت نفسه يشكر حاكم المنطقة المسيو شوفلر»

هذا هو الخبر الذي نشرته الصحف وهو عبارة عن رواية تتجدد فصولها كل سنة يفتتح بها هذا المجلس الذي سموه مجلس النواب في الدولة العلوية. والذي يعرف هذا المجلس ويعرف من هم اعضاؤه وممن تتألف اكثريته لا يسعه الا ان يستغرق في الضحك وشر البلية ما يضحك.

العلويون في المجلس هم اكثرية معينة ومنتخبة والسنيون بفضل النظام الذي اتبعته الحكومة الفرنسية في لواء اللاذقية ليس لهم في المجلس سوى اربعة نواب وهؤلاء الاربعة في كل دورة وفي كل مناسبة يرفضون الاعتراف بانفصال هذا اللواء عن جسم الدولة السورية، ولكن السلطة تأبى الا ان تجعل من تلك البلاد الصغيرة دولة ومجلساً وحكومة تسير جميعها بيد الحاكم الفرنسي، واذا قلت العلويون يؤيدون انفصال العلويين فانك تقول المفوضية الفرنسية تؤيد المفوضية الفرنسية وحاكم العلويين الافرنسي يشكر جهود حاكم العلويين الفرنسي.

ان استقلال العلويين الوهمي تدبير طائفي ارادته سياسة التجزئة والتفرقة بين الشعب الواحد وهو ايضاً لذة لا بأس بها لاولئك الموظفين الفرنسيين الذين ترفع

(*) نشرت في «القبس» بتاريخ ١٤ نيسان سنة ١٩٢٩

اعطافهم نشوة الاستعمار فيجدون في الدولة العلوية سلطة واسعة دونها سلطة المقيم في تونس والحاكم في الجزائر . واذا كان الانتداب كما يقولون تهذيباً وتمديناً فهل من التهذيب والتمدين ان ينشط الاقطاع في بلادنا وهم اول من ثار عليه في بلادهم وحطمه كما تحطم الحجارة والخشب . وهل من التهذيب والتمدين ان يفرق الشعب كلما اتحد أو قارب الاتحاد ليقولوا لجمعية الامم ان في سورية عناصر وطوائف لا تتحد وكيف يجوز للذي عهد اليه تعليم القاصر والحجر على المبذر ... أن يترك هذا المبذر يسترسل في تبذيره وذلك القاصر ممنوع الكلمة في كل شيء يضره ؟ وهل الانتداب هو على العلويين والمسيحيين فقط أم على الجميع ؟ فان كان على الجميع فكيف يجوز الاحتفاظ بكل قطعة من البلاد؟ وان كانوا يخشون ان تتغلب الاكثرية السنية على الاقلية المسيحية أو العلوية فلماذا اذن توجد فرنسا في بلادنا وما هي حالة الانتداب اذا كان للتفرقة لا للجمع ولايقاد جذوة الطائفية لا للقضاء عليها .

يقولون ان التمثيل الخارجي والادارة العرفية وعقد المعاهدات وايفاد السفراء هي من جملة التعهدات الدولية ، بل يقولون ايضاً ان تقسيم البلاد الخاضعة للانتداب الى منطقتين سوريا ولبنان بموجب الصك الذي نالوا موافقة جمعية الامم عليه ، ولكن هل تقسيم البلاد الى سنية وعلوية ودرزية ثم الى مسيحية واسلامية هو من تلك التعهدات ايضاً ؟ فان كان الانتداب معناه ان يجعلوا اصحاب كل دين ومذهب مستقلين عن الاخرين فلماذا جمعوا في لبنان ثلاث طوائف مسيحية وثلاث طوائف محمدية ؟ وكيف اجازوا للدرزي أن يكون هو والماروني في دولة واحدة ولا يجيزون للعلوي في اللاذقية ان يكون مع السني في دمشق ، بل كيف اجازوا للشيعي في جبل عامل ان يكون مع السني في بيروت ولا يجيزون للدرزي في حوران الذي طلب الوحدة تحت نيران المدافع وقذائف الطيارات ان يكون مع السني في دمشق ايضاً ؟ وهل الدرزي في الشوف يعيش مع الماروني في الجمهورية اللبنانية أهنأ من عيشة الدرزي الحوراني مع السني الدمشقي ؟

ان انفصال العلويين عن سوريا لم يكن في الحقيقة سوى انفاذ لسياسة شعارها ان لا تظهر سوريا أمام العالم بانها متمدنة أوانها صالحة لحكم نفسها • ولا اعلم كيف تتسع فلسطين للصهيوني الشيوعي واليهودي البولوني والعربي المسلم والمسيحي الغساني ، وكيف تتسع العراق للجعفري الشيعي والسني الكردي والمسيحي السرياني ولا تتسع سوريا لعلوي عربي وسني عربي •



الاعتـــــــــــــدال (*)

كتبت هذه المقالة على اثر تأجيل الجمعية التاسيسية وما نشرته بعض الصحف يومئذ من تأليف حزب جديد يقاوم الوطنيين يطلق عليه «المعتدلون».

...اما الذين سيكونون المعتدلين فنحن لانزال في جهل من امرهم وفي شك من حقيقتهم ولكننا نفهم ان الرجعية البالية المندحرة تجمع صفوفها وتحاول ان تنبعث من قبرها بثوب جديد واسم جديد.

هذا الذي نعرفه ويعرفه اكثر المطلعين اما ان تكون هناك جماعة مخلصة تريد فعلا ان تتقدم الى الميدان وتسمي نفسها معتدلة وتتساهل في الموقف او تدخل اليه باسلوب جديد فهذه لم توجد حتى الآن، ولكن الرجعيين وفيهم بعض الوزراء العتق من معزولين ومطرودين يريدون فعلا ان ينتهزوا الفرصة ويدخلوا في المناقصة على القضية لعل الافرنسيين يمدون يدهم اليهم ويركبونهم على اعناق هذه الامة بضع سنين أخر، ليقضوا على البقية الباقية مما ظل لهذه الامة من رمق وحياة. ولا ندري مايقصد هؤلاء الناس بالاعتدال؟ التسليم بكل ما تمليه الارادة الفرنسية، ام الاتفاق معها على ان تكون هذه البلاد محكومة حكما مباشرا صريحا او مباشرا بالواسطة كما هي الآن، وعدم وجود دستور لها يكفل سيادتها ويمين على الاقل مسؤولية حكومتها في تبذير اموال الامة وانفاقها على الشهوات والدعايات السياسية.

ولعل سياسة «خذ وطالب» التي بشر بها رئيس الوزارة هي التي جعلت هذا

(*) نشرت في القبس بتاريخ ١٧ ايلول سنة ١٩٢٨

الفريق من الناس ينهض الى جمع شمله الشتيت ويوحد صفوفه المندحرة ويقيم جبهة جديدة تقف في وجه الوطنيين الذين ابوا ان يسلموا بحقوق الامة والذين هزأوا بهذه السياسة التي هي عبارة عن تسليم مطلق بكل ما لهذه الامة من حق في السيادة والحرية والوحدة وحق الدستور .

لا هذا ولا ذاك ... ولكن هناك فريقاً من الذين سماهم رجال السلطة الفرنسية « محترقين » يحاولون اليوم ان يعودوا الى الميدان الا انهم يخجلون من اسمهم الاول ولقبهم القديم ويشفقون من كلمة الرجعية فيريدون اسماً جديداً وعنواناً جديداً يدل عليهم فلم يجدوا سوى الاعتدال لقباً واسماً وعنواناً .

تقول الصحافية الباريسية الانسة كانديلي مندوبة جريدة « الفيغارو » : « افهم من كلمة وطنيين متطرفين اناساً لهم خطة ولهم مطالب معينة لا يتنازلون عنها مهما نالهم في سبيلها من عذاب واضطهاد وقد يكون هؤلاء الوطنيون المتطرفون لا يتفقون معنا في وجهة نظرنا السياسية ولكننا على كل حال نحترمهم سواء اتفقنا واياهم ام لم نتفق . اما « معتدلون » فانا افهم من هذه الكلمة عكس ما افهمه من كلمة وطنيين اي ان هناك فريقاً من الناس ليست لهم مطالب ولا خطة ولا عقيدة فهم يقبلون بكل شيء ويسلمون بكل مايعرض عليهم » .

***

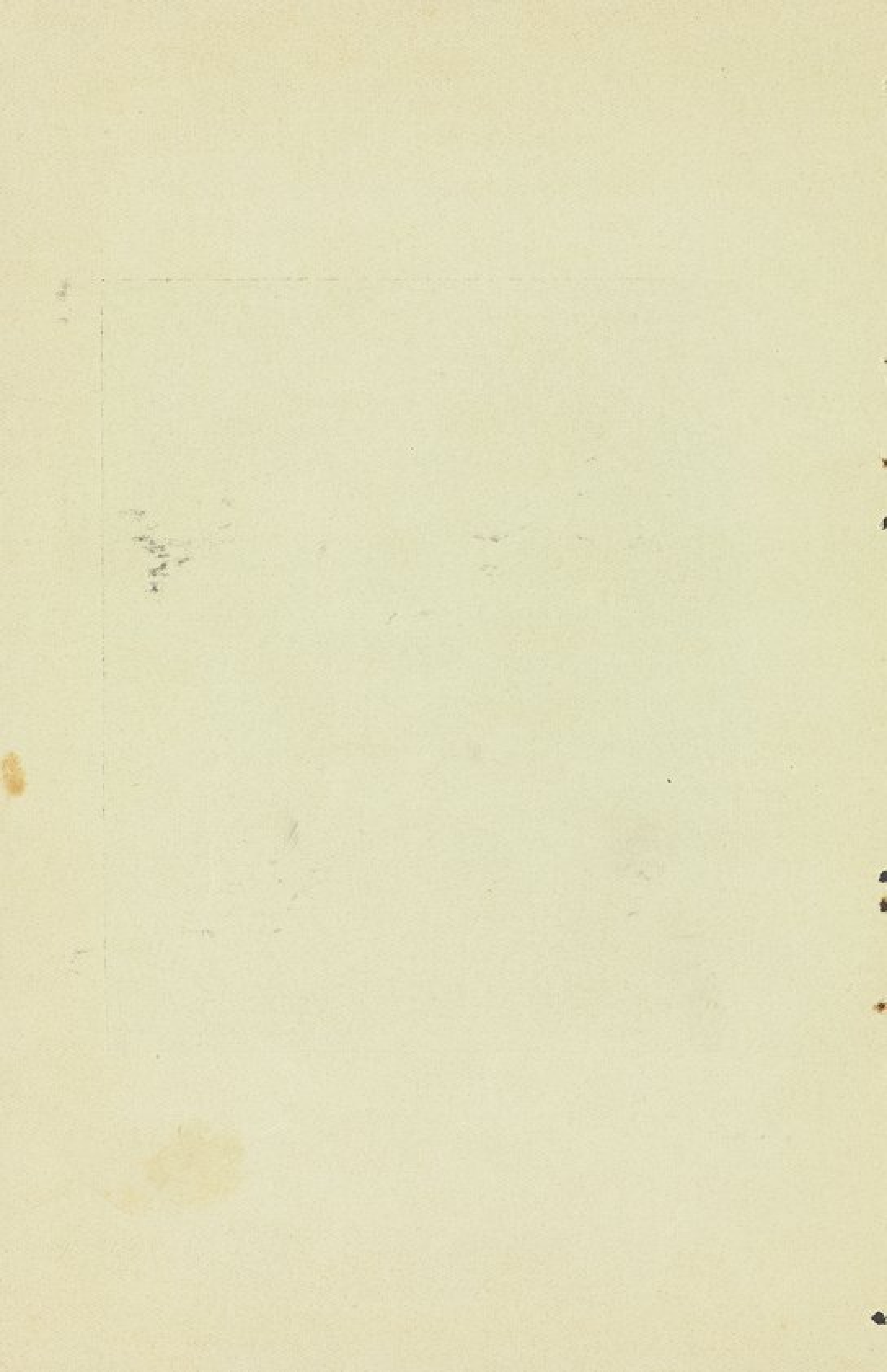
هذا افضل تعريف للوطنيين المتطرفين والمعتدلين ننقله كما قالته الصحافية الباريسية لاننا لا نجد لهؤلاء المعتدلين خطة معينة وليست لهم عقيدة يدافعون عنها سوى انهم يرمون غيرهم بالتطرف ويتقدمون الى الافرنسيين زحفاً على وجوههم اي انهم يناقصون دائماً بل يدخلون على بياض ...

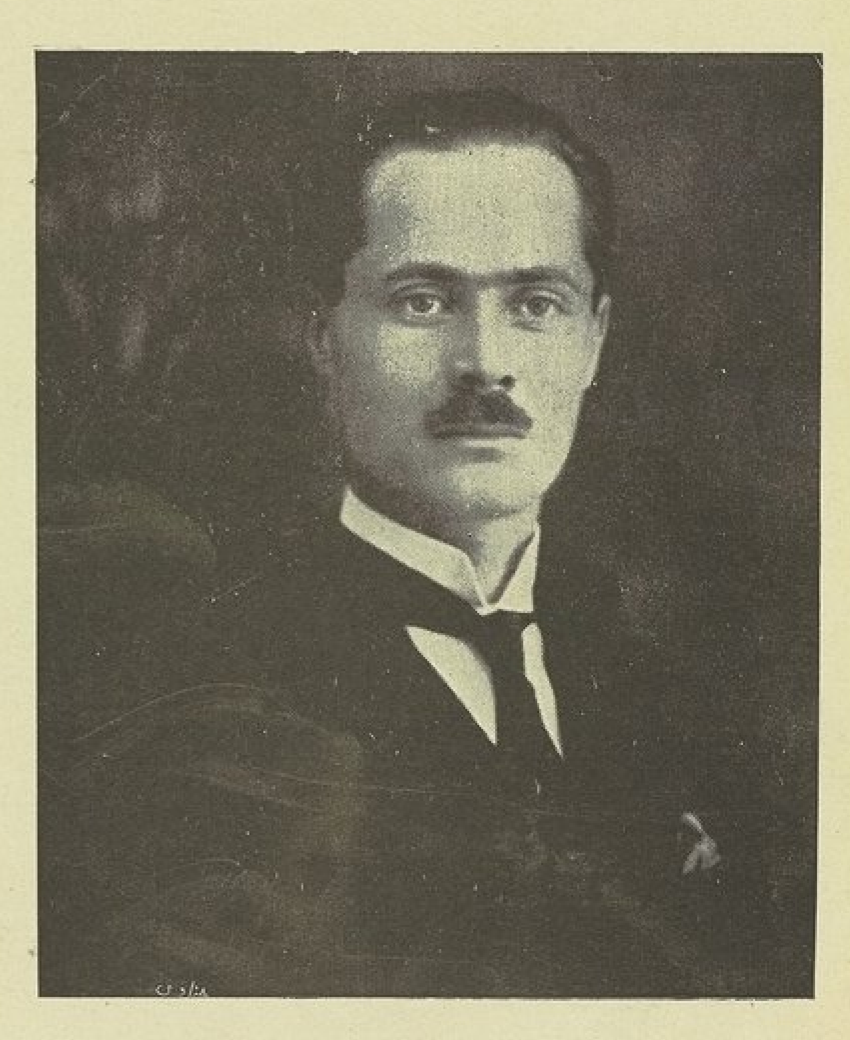
ان الميدان رحب فسيح فمن كان عنده شروط ترضي الامة اكثر من شروط الكتلة الوطنية ومن كان عنده استعداد ان يقف غير هذا الموقف الذي وقفه النواب في ١١ آب في المجلس التأسيسي فليتقدم فاننا مستعدون ان نسمع بياناته ونقرأ شروطه وندرس سياسته ، اما ان يقولوا عن انفسهم انهم معتدلون وانهم يرغبون في خير

الامة فلا ينسوا انهم تولوا الحكم ثماني سنين كاملة فما كانوا الا اداة تعذيب للامة وآلات لكل ما نزل بها من شر ومكروه

لقد جاء زمن التصفية وغربلت الحوادث الناس وقام مسبح الامة المنتظر فطبع على جباه الناس : هذا كافر وهذا مؤمن !







المرحوم فوزى بك الغزى

مـــــات فوزي الغزي(*)

ماذا نكتب وماذا تكتبون ؟

هاتان الكلمتان كانتا وحدهما امس واول امس سؤالا وجوابا .

فالكتاب الذين اوقف هول النكبة اقلامهم حتى عن كتابة ورقة النعي كانوا يتساءلون ماذا نكتب ؟ والسامعون يجيبون : ماذا تكتبون ؟

اللهم لقد عجز السائل والمجيب وغدونا لا نملك من السؤال والجواب غير الدمع فنحن في هذا الموقف كما يقول الشاعر :

فاسألنها واجعل بكاك جوابا تجد الدمع سائلا ومجيباً

ليت الصحف لم توجد فتنعي اليوم الى قرائها من كانت بالامس تفيض عليهم من آيات علمه وذكائه واخلاصه نوراً لا ينطفىء وشعاعاً لا ينقطع وقبساً كانوا يجدون عليه الهدى ، بل ليت نعي فوزي الغزي لم يكن على الورق اذن لكانت الدموع وحدها الناعي ولكانت كل عين تحمل قسطها من هذا النبأ المريع ولكن وا اسفاه فالصحف الصادرة اليوم هي نذير الفاجعة ومنعى السعادة ونحن بين هذا وذاك المفجوعون المصابون .

مات فوزي الغزي بل مات القائد العام الذي قاد هذه الامة وقاد قضيتها الى حيث تركهما معاً : حقوقاً مصونة لم يعبث بها عابث ولم ينتقص من اطرافها منتقص فالحق ظل على ضعف اهله لم يتنازلوا عنه لقوي .

قال واحد من الناس لزميل من زملائه : لقد خسرت الكتلة الوطنية رجلها الاوحد وحركتها الدائمة فاجابه قائلا : الكتلة الوطنية لم تخسر ودمشق لم تفجع ولكن سوريا التاعسة هي التي خسرت وهي التي فجعت وهي التي نكبت . ففوزي الغزي ما كان رجل

(*) نشرت في « القبس » بتاريخ ٨ تموز سنة ١٩٢٩

الكتلة وفخرها وحدها ولكنه كان رجل سوريا الذي لا يعوض وفخرها الذي رفعت به رأسها تباهي به الشرق العربي من القنال الى الخليج

ولكن القدر الذي لا يرحم ابى ان يعف عن هذه الامة فسلبها منال امالها ومحط رجالها وانتزع منها فوزي بين سمعها وبصرها تنظر اليه في موكب الموت فلا تستطيع ان تعود به الى مواكب الحياة والمجد التي عقدت له الويتها فسار تحتها الى الامام لم يلق بها مرة واحدة بل حماها من السقوط فما كان يخرج من ظفر حتى يمشي الى ظفر . وما استطاعت كهوف ارواد المظلمة وصحاري الحسجة المحرقة وثلوج لبنان المدنقة ، ما استطاعت هذه المنافي والسجون ان تحمله ساعة واحدة على ان يسمي الحق بغير اسمه او ان يقبل هوادة في مطالب وطنه بل ما استطاع جميع ما نزل به من تغريب وسجن وفراق وطن واهل ان يلين من تلك القناة الصلبة او يضعف من هاتيك العزيمة القوية . ولكن شيئا واحداً فقط استطاع ان يظفر على فوزي وعلى عزيمته وقوته وعلمه : هو الموت !..



موكب الوطنية الاكبر (*)

كتبت هذه المقالة بعد تشييع جنازة الفقيد الغالي

المرحوم فوزي الغزي

اذا كانت المناسبات التي تعرض للشعوب طبيعية في بعض الاحيان ليتخذوا منها وسيلة ذات مغزى يعلنون فيها مبدءاً من المبادىء او يؤيدون فكرة من الفكر فان بعض الجماعات الحية تخلق المناسبات خلقاً وتبتكر الحوادث ابتكاراً للاعراب عن مبادئها والمطالبة بحقوقها . واذا كانت تختلف ظروف هذه المناسبات بالنسبة لاسبابها ودواعيها فلا ريب في ان الموت اعظم سبب يجمع في رهبته وعظمته بين شعور الجماعات فيوحدها على كلمة الحق مهما كان دون الحق من قوى غلابة تحول بينه وبين اهله .

فليسمع اذن هؤلاء الذين أبطرتهم نشوة الظفر على الشعوب الضعيفة والذين ملأت القوة نفوسهم غروراً، ليسمعوا نشيج الصدور وليشهدوا سيول الدموع تنهمر من عيون هذا الشعب حزناً على رمز من رموز الحق المغصوب وتأييداً لضحية من ضحايا الوطن المفجوع بحريته والمصاب باستقلاله ثم بالذين كانوا يقودونه الى مواطن السيادة .

***

لمَ احتشدت دمشق يوم السبت في طريق واحد من المدينة ، ولمَ ألفت هذا الموكب الذي لم يسبق لها ان ألفت مثله منذ وجدت فكرة الاستقلال وبعثت وطنية الشعوب المحكومة ، ولمَ جاءت وفود البلاد تنضم الى ذلك الموكب المائج كالبحر،

(*) نشرت في « القبس » بتاريخ ٩ تموز سنة ١٩٢٩

ولم كان نعش الفقيد أمنية كل عين ان تنظر اليه وبغية كل يد ان تمس أطرافه ، الأن من يضمه النعش كان سليل بيت من بيوتات المجد أم لان فوزي الغزي كان عالماً وخطيباً فقط ؟ لقد رأينا سلالات بيوتات المجد يموتون وشهدنا العلماء يحملون في النعوش الى القبور ولكننا لم نشهد ما شهدناه في موكب فوزي الغزي .

ليس هناك سوى شيء واحد ينطق به يوم السبت : هو اجماع سوريا على تأييد المبدء الذي مات فقيدها عليه .

مات واضع الدستور فليحيى الدستور .

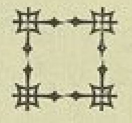
هذه الكلمات وحدها كانت اروع ما في الموكب من عظمة وجلال ، وهذه وحدها كانت هدف الابصار فالشعب ما كان يبكي في فقيده العلم ولكنه كان يبكي ما انتجه هذا العلم وكان يحزن على ما في ذلك العالم من مبدء . فكان فوزي الغزي وعلمه وثمرة علمه ومبدؤه ، كانت هذه كلها عبارة عن شيء واحد اسمه « الاستقلال » . فالاستقلال هو الذي احتفل به الشعب ، والسيادة هي التي جاءت الجماهير تكرمها ، والدستور هو الذي كان يطالب به في ظل ذلك العلم الذي خفق على نعش بطل الدستور .

***

قال زميل من الصحفيين اللبنانيين : ليست هذه جنازة بل هذه « ثورة شعب » وقال فرنسي هذا « استفتاء شعبي » . فالشعب اذن كان يوم السبت يقول كلمته ، لا بل جاء يؤيد الكلمة التي قالها في ٢٤ نيسان ٩٢٨ يوم رفع فوزي الغزي واخوانه الى مقاعد النيابة وأتى يطوف حول الراية التي جللت النعش ليؤيد كلمة الوطن التي سجلت في قاعة الجمعية التأسيسية يوم ١١ آب ٩٢٨ وهذا الشعب قد اجتمع اصيل يوم ٦ تموز ٩٢٩ يصوت مرة ثانية للدستور كما وضع ، فهل يسمع اولئك الذين زعموا أن الشعب السوري اعتور نفسه الفتور عن المطالبة بالدستور ، ان يوم فوزي الغزي كان استفتاء شعبياً مباشراً ؟

لتعطل القوة الدستور ، ولتتخطف المنايا الذين وضعوا الدستور واحداً بعد واحد

كما تخطفت الثورة اخوانهم سيداً بعد سيد وشاباً بعد كهل ، وليعتقد رجال فرنسا فينا ما شاؤوا ان يعتقدوا من عدم الكفاءة وفقر الثورة ، لكن الشيء الذي لا يستطيعون نكرانه هو ان مأتم فوزي الغزي كان استفتاء طبيعياً في سبيل الاستقلال ، وان يوم الموت هو اعظم ايام الشعوب صراحة واصدقها بياناً .



نادي المعارضة في دار الحديث (*)

كتبت هذه المقالة بمناسبة الاعتداء على بعض الصحفيين المعارضين لحكومة الشيخ تاج الدين

نحن في مدرسة دار الحديث بدمشق طبعاً ... وفي الغرفة الصغيرة ذات الموقد الذي لا تخمد ناره ... والنافذة المطله على سوق العصرونية والسقف الواطي الذي كانت توضع في ثناياه اوراق الرهان على اعمار الحكومات ... وفي الزاوية الشمالية من الغرفة التي يحجب دخان السجاير المتصاعد من افواه المدخنين رؤية الحاضرين وجوه بعضهم البعض ... يجثم الأستاذ الشيخ تاج الدين زعيم المعارضين للداماد وحكومة الداماد ! ... وهنا وهناك ، على مقاعد ضيقة ، يزحم الجالسون عليها بعضهم البعض ترى واثق بك المؤيد ، الوزير المعزول ، سعيد محاسن نقيب المحامين المعارضين الذي فاز بالرئاسة رغما عن الحكومة ... معروف الارناؤوط الصحفي المعارض ، خليل معتوق لولب المعارضة والمعول الذي يهدم في اساس الداماد وحكومته ... عمر نبهان الموظف المتمرد على حكومته اذ ذاك ، حبيب كحالة صحافي بلا جريدة ... ابو الهدى اليافي الطالب المزمن في معهد الحقوق يومئذ... نجيب الريس مراسل الاحرار في ذلك الحين ...

ولا تنس لوبجي افندي الصيدلي ، تلك الشخصية الفذة في ما تحمله من جنسيات الشعوب والاول ... هو رجل ولد من ام فلسطينية واب نمساوي ، جنسيته طليانية ، سياسته افرنسية ... لونه الحزبي تاجي ، ووظيفته في كتلة المعارضة ان يمر بجميع دوائر دار المندوب والحكومة والبلدية وحتى دائرة الصحة

(*) نشرت في « القبس » بتاريخ ٢٤ أيلول سنة ١٩٣٠

العامة ، ويقص ما سمعه في تلك الدوائر من اخبار سياسية ومحلية ، ولا سيما ما كان منها في مصلحة الاستاذ الشيخ تاج وفي غير مصلحة الداماد طبعا ... وكان مفروضاً على لوبجي افندي ان يقابل كل يوم الكابتين كوله ، جوزيف جميل ، خليل رفعت، اوان يعود الى « نادي المعارضة » في دار الحديث بخلاصة موجزة عن الاخبار ...

اما جميل الالشي فقد كان عضواً فخريا في هذا النادي يطل عليه بين حين وآخر... والشيخ يحيى زميتا ، او المكتبي كما يريد هو . . . « يشق » باب الغرفة فجأة فلا ترى غير رأسه ممدوداً بينما جسمه خارج الباب . . . فيبادر الحاضرين بجملته المشهورة اليومية التي لا تتبدل : « تشربوا شاي ... شاي اكرك ... شاي اخضر ... الصوبا شاعلة ؟... حط لكم حطبة ... » ؟ اصوات ... لا . لا... لا نريد شيئاً .

الشيخ يحيى — شاي طيب ... خليل بك ! (الخطاب لخليل معتوق) تشرب قرفة ؟ ! ... واثق بك ؟ جيب لك قهوة مرة ؟ ! التحري واقف تحت ! ...

الشيخ تاج — « بنشوفة » : لا نريد شيئاً ! ... اغلق الباب ! ...

***

هـذا مشهد يومي دام سنتين كاملتين لا يتبدل ولا يتغير ، لا باشخاصه ولا بحوادثه . اما الموضوع ، فهو الداماد وحكومته وحوادثه وتعيين مواعيد لاقالتها ... في آخر السنة ؟ ام حتى يرجع المسيو بونسو ؟ هل نصوم رمضان تحت ظل الداماد؟ لا نصوم ! نصوم !

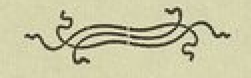
موضوع الجلسة : اعتداء على صحافي !

الشيخ تاج — ما هذه الفظاعة ؟ ! اين الحكومة ؟ انها هي تدفع المعتدين لضرب المعارضين ! لماذا السكوت ؟ خليل بك ! هل ترجمت برقية الاحتجاج الى المفوض السامي على ضرب الصحافيين ؟ ! ترجمها ... خلصنا ... ابو الهدى افندي ؟ ! هل انتهيت من توقيعها ؟ ! وهل وقعها فلان وفلان ؟ ...

وهكذا تستمر الجلسة ويشتد حنق الاستاذ الشيخ تاج الدين على ضرب الصحافيين ، فلا تسمع غير صوته يدوي في انحاء الغرفة : هل ماتت الناس ؟

الا يوجد مرجع يضع حداً لهذه الفظائع ؟ ! الهذه الدرجة الضغط على حرية الفكر ؟ ! هل يظن الداماد ان الاعتداء على الصحافيين يزيد في اجل حكمه ؟... وتنتهي جلسة النهار وينصرف من في الغرفة الى منازلهم ... وننتقل الى جلسة في الليل في احد بيوت الصالحية ، والموضوع : الاعتداء على الصحافيين ! والشيخ تاج يعود الى نفس اللهجة، بل هو يندفع الى اقتراحات لا نسمح لانفسنا بذكرها !

والآن ، وبعد مضي سنتين ونصف على حكومة الاستاذ الشيخ تاج الدين نسأله : هل بلغ الاعتداء على الصحافيين في عهد الداماد عشر معشار ما بلغه على عهدك ؟ ! وهل سمعت باعتداءات حلب على مراسل الاحرار وغيره ؟ ! لقد بلغت في هذا الشهر فقط اكثر من خمسة اعتداءات من اشخاص معينين يقترفون جرائمهم امام الشرطة في حلب فلا يقبض عليهم ولا يحالون على القضاء. هذه ذكرى ليست قديمة العهد يرسلها الاستاذ الشيخ تاج الدين المعارض الى الشيخ تاج الدين رئيس الحكومة بقلم احد اعضاء نادي المعارضة في دار الحديث ! ...



الدستور أو الثـــــــورة (*)

« ان شر ما نكبت به البلاد المحتلة انما هو هذه الدساتير »

« شوقي »

كان المصريون في عام ١٩٢٤ ينادون في شوارع القاهرة ومن حـول قصر عابدين : سعد أو الثورة أما الآن فانهم ينادون : الدستور أو الثورة .

لقد كان الناس يظنون ان مأساة الديكتاتورية بعد قيام وزارة العمال في انكلترا لن تعود الى مصر مرة ثانيـة ولكن حسن حـظ الاجانب المحتلين لم يحرمهم من وجود رجال هم دائمـاً تحت « الطلب » لانفاذ كل ما يريدونه من شر بمصر والمصريين ، فيعطلون الدساتير ويقضون على الحكم النيابي كلما أراد الاجنبي المحتل ان يبرم أمراً بالرغم عن الامة .

ولكن الدساتير في البلاد المحتلة منحة لا تدوم وعارية سرعان ما تسترد ، فأية قيمة لدساتير هذا شأنها ، وأي احترام لانظمة ليس لها من الاستقلال ما يكفل لهـا الحماية من عبث العابثين ؟. وهب ان الدستور قد أعيد والحياة النيابية عاشت مرة أخرى فأية قيمة لدستور لا تحميه في اهله حراب الجيش ولا تحول دون العبث به اساطيل البحر ؟.

قال لي امير الشعراء احمد شوقي بك على مسمع من بعض الزملاء في دمشق :

« ان شر ما نكبت به البلاد المحتلة انما هو هذه الدساتير التي الهت الامم المحكومة عن مثلها الاعلى في الاستقلال التام فلم تكن الا وسيلة لاطالة أمد الاحتلال وسبباً من اكبر اسباب اختلاف الامة ، ومادام للدستور غاية هي الوصول الى الحكم والنزاع على

(*) نشرت في « القبس » بتاريخ ١٨ تموز ١٩٣٠

المناصب فان الاجنبي الغاصب يظل في مأمن من اجماع الامة التي يحتل بلادها على مطالبته بالجلاء . ان الاجانب المحتلين ابتكروا هذه السياسة المخيفة، سياسة الدساتير والحكم النيابي وقالوا للامم التي يستعمرونها ويحكمونها نحن نفاوض الاكثرية التي تأتي عن طريق الدستور ومعها وحدها نعقد المعاهدات وهكذا جعلوا هذه الامم تقتتل جماعاتها وافرادها على احراز الاكثرية الانتخابية حتى اذا فاز حزب من الاحزاب بهذه الاكثرية والتقت الوجوه بالوجوه وقف الاجنبي من حكومة الاكثرية ومن برلمانها الموقف الذي يقتضيه ضعفها وقوته ، لقد فاز سعد زغلول وحزبه لا بالاكثرية المطلقة فقط بل بالاجماع فماذا كان موقف الانكليز منه ومن اكثريته ؟ انهم رفضوا عقد المعاهدة معه لانه طالب بحرية بلاده ، وهكذا مصطفى النحاس فانه فاز بالاكثرية بل بالاجماع ولكن الانكليز رفضوا الاتفاق معه لانه لم يتنازل عن السودان تنازلاً أبدياً ، وانتم يا سوريون لقد فاز الوطنيون عندكم في انتخابات المجلس التأسيسي بالاكثرية العظمى فهل نفعتكم هذه الاكثرية في الوصول الى دستور حر يحدد مسؤولية السلطات المتعددة ويوقف كل واحدة عند حدها ؟ ان الفرنسويين اغلقوا مجلسكم وضربوا بالدستور الذي وضعه نوابكم وجه الافق واصدروا دستوراً اباحوا لانفسهم في مادته الملحقة اكثر ما اباحه لهم صك الانتداب » .

قلت ولكن يا سيدي : « يبقى الكتاب وليس يبقى الملحق » .

فقال هذا شعر !! ... وثق ان الانتخابات القادمة التي علقوا تنفيذ الدستور عليها ستكون كالاولى فاذا ربح الوطنيون الاكثرية اغلق الفرنسويون المجلس .

قلت وما هي الوسيلة لهذه الامم المحتلة بلادها فقال : « انتهاء الاحتلال ونزع يد الاجنبي عن رقابها وعندئذ يستقيم للدستور أمر ويحترم للاكثرية رأي ، اما دستور واحتلال في بلد واحد فما اشبههما بالماء والنار » .



حماة لغـــــة القرآن ؟ !(*)

اقيمت في بيروت مساء السبت الماضي حفلة لتأبين الشاعر الكبير المرحوم الياس فياض اشتركت فيها نقابة الصحف في دمشق وارسل الاستاذ النقيب خطابه حيث القي في الحفلة فكان لاشتراك دمشق في تأبين فقيد لبنان المحبوب تأثير جميل ملموس.

ليس تأبين الياس فياض موضوعنا الليلة، وليس اشتراك صحافة دمشق في هذا التأبين هو الذي نقصد الى ذكره، ولكن الحفلة نفسها وما التي فيها من درر الشعر وعيون النثر وقيمة الذين اشتركوا فيها ــ ذلك جميعه هو موضوعنا.

لقد سمعت من اكثر الذين شهدوا الحفلة ان بيروت لم تشهد حفلة فخمة مثل حفلة فياض منذ قبل الحرب. والحقيقة ان تأبين الياس فياض كان عرساً من اعراس الادب العربي، بل كان مساء السبت في التياترو الكبير اشبه شيء بسوق عكاظ فقد جمع أئمة الادب وشيوخ البيان وسمعنا فيه احسن القول من شعر ونثر، فأي اديب كبير لم يشهده؟ واي خطيب معروف او شاعر فحل لم يلق فيه خطبة او قصيدة؟!

لقد تكلم رئيس مجلس نيابي، ورئيس وزارة، ووزير ونائبان ونقابة الصحافة في بيروت ودمشق ونقابة المحامين في الاولى وشهد الحفلة جميع الهيئات الرسمية. اما الشعراء فقد كانوا زعماء الشعر في لبنان. كان بشاره الخوري ونيقولا فياض وخليل مطران والغلاييني وامين تقي الدين والياس ابو شبكة. وهل بعد هؤلاء في لبنان شاعر او خطيب؟! فكأن الياس فياض احسن الى الادب العربي في حياته وفي مماته.

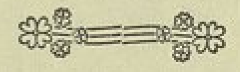
قال لي الاستاذ عبد الله اليافي: أرأيت هذه الحفلة؟ قلت نعم! قال: وهل

(*) نشرت في «القبس» بتاريخ ١٧ كانون الاول سنة ١٩٣٠

ترى مثلها في دمشق ؟ قلت : ولا في مصر . قال : اقول لك الصحيح ؟ ! ان اللبنانيين لا يزالون هم حفظة لغة القرآن . قل هذا ولا تبال .

وخرجنا من الحفلة وانا اردد كلمة الاستاذ اليافي : اللبنانيون لا يزالون حفظة لغة القرآن . وعاودتني ذكرى سوريا وانتشار اللغة التركية فيها انتشاراً مخيفاً حتى كادت اللغة العربية تصبح في المرتبة الثانية بعدها ، وكيف كان لبنان وحده ذلك الجبل المنعزل عن لغة « الدولة » في ذلك الزمان ينجب فحول الشعراء واللغويين والكتاب فيغزون مصر ويحتلون عرش الصحافة والادب فيها ، بينما تنجب سورية رجالا في الحقوق والادارة والجيش يزاحمون رجال الترك في عاصمتهم . فقلت في نفسي : ولكن التاريخ يعيد نفسه ، فلبنان اليوم اشبه بسورية ايام العثمانيين فهو الحريص على لغة « الدولة » الجديدة . . . وسورية الحريصة على لغة العرب . وما هؤلاء الذين اسماهم الاستاذ عبد الله اليافي « حفظة لغة القرآن » الا بقية صالحة من بقايا لبنان العربي الاول . أترى لو مضت ثلاثون سنة اخرى واراد لبنان ان يؤبن فقيداً عزيزاً عليه ، اتكون الخطب والقصائد باللغة العربية ام باللغة الافرنسية ؟!

اللهم اننا نخشى على حماة لغة القرآن ان يصبحوا غداً حماة لغة هيغو ! ! ...



السوري القـــــذر!! (*)

نقلنا في قبس الامس عن الزميلة « التقدم » تفصيل الحادثة التي وقعت في النادي السوري في حلب ، بل نقلنا تلك الاهانة التي قذف بها بعض الضباط الافرنسيين جماعة السوريين على مشهد ومسمع من مئات المدعوين والمدعوات الذين شهدوا الليلة الاولى من ليالي « الكرمس (١) » وكنا نود أن لا نسمع بهذه الاهانة الجديدة توجه الينا في بلادنا بعد ان سمعنا الشيء الكثير من مثلها خصوصاً في هذه الاندية المختلطة التي تؤسس لاجتماع السوريين والافرنسيين فيها والتي يفهم من عناوينها انها انما توجد من اجل التعارف و « الاتحاد » . ويظهر ان بعض الفرنسويين الذين تعودو احتقار كل من هو غريب عن اوروبا وخصوصاً عن فرنسا لا يهمهم او لا يريدون ان يعرفوا عن السوري مهما أحب فرنسا وتدله في غرامها اكثر من انه « سوري قذر ! ! » فالشبان الحلبيون الذين مروا من جانب مائدة الكابتين والكولونل والذين زعموهما كما يدعي أحدهما هم من المدلهين بحب فرنسا كما تقول « التقدم » عنهم ولكن هذا الحب قد توارى تجاه الكرامة التي اهانها أحد الافرنسيين فكانت من أثر ذلك تلك الضجة وهاتيك الغضبة التي غضبها الاستاذ فتح الله صقال .

وليسمح لي الاستاذ الصقال ان أهنئه على هذه الوقفة فقد أدى واجبه كسوري أنف ان يهان السوريون في عقر دراهم ولكني اريد ان يسمح لي ايضاً اولئك الضباط الذين « قرفوا » من قذارة الشبان السوريين الذين مروا من جانب مائدتهم ، ليسمحوا لي ان اوجه اليهم هذه الكلمة والى جميع الذين تعودوا احتقار السوريين في هذه البلاد .

(*) نشرت في « القبس » بتاريخ ٢٨ أيار سنة ١٩٢٩

(١) الكرمس عبارة عن حفلات أرصد ريعها لاعمال خيرية .

يقول الشاعر العربي :

جراحات اللسان لها التئام ولا يلتام ما جرح اللسان

اي ان آثار المدافع التي دمرت بلادنا والحراب التي سددت الى صدور رجالنا وهذه الجروح الدوامي التي تحز في اجسامنا ونفوسنا، ان هذه جميعها يمكن ان تنسى وقد تكون اساساً متيناً في توطيد الصداقة المخلصة بين السوريين والفرنسيين يوم يصل الفريقان الى حلول سياسية تكفل مصالحهما يوم يصبح السوريون اسيادا في بلادهم . ولكن الشيء الذي لا يعفو اثره مهما طال عليه الزمن هو ان تحتقروا شعبا اعترف له اكابر رجالكم وكتابكم بانه من ارقى شعوب الشرق وان فيه مجموعة علمية وادبية وسياسية لا تقل عن أرقى مجموعة اوربية . وان احد اولئك الشبان الذى وصفتموه بالسوري القذر هو من هذه المجموعة ايضاً .

واذا كان انتداب عشر سنين وما مر خلالها من حوادث وعبر وبراهين لم يقنع الفرنسويين بعدم قذارة السوريين ، أترى متى يصبحون في نظر بعض الافرنسيين « نظافاً » .

لقد « نظفنا » بفضل هذه السنين العشر من كل شيء فهلا اصبحت أجسامنا في نظركم نظيفة ؟ وهلا زال عنا اسم السوري القذر ؟

أيها الافرنسيون المحترمون ، احسبوا أجسامنا نظيفة مثل جيوبنا على الاقل !



القيصرية في جبل الدروز (*)

كتبت هذه المقالة على اثر اشاعة شاعت في الصحف بان السلطة الفرنسية تنوي تعيين حاكم وطني على جبل الدروز ثم ما لبثت هذه الاشاعة ان كذبت وبقي كل شيء على حاله.

ماكان أقصر عمر هذه الاشاعة ، اشاعة تعيين حاكم وطني لجبل الدروز بينما هذه الاشاعات التي من هذا النوع تعمر في بعض الاحيان طويلا ، ولكن الفرنسويين كانوا تجاه هذه الاشاعة سريعي التكذيب فخنقوها في مهدها قبل ان تتصل باهالي الجبل ويفرحوا بها بضع ليال في سمرهم ومجتمعاتهم .

ولقد عرضنا من قبل الى النوع الغريب من الحكم الذي يحكم به جبل الدروز وقلنا انه فوق الحكم المباشر بل هو حكم عسكري احتلالي استعماري اقطاعي ، وهذه الاقطاعية ليست هي بالنسبة الى سكان الجبل بل بالنسبة الى الحكام الفرنسويين الذين يحكمون الرعية . فالحاكم الفرنساوي في الجبل يتصرف بادارة هذه المنطقة وبمعاملة اهلها تصرفاً غريباً لم نر له شبيهاً في أية ناحية من هذه النواحي التي كتب عليها صك الاحتلال وقدر الاستعمار الاجنبي . فاذا اتخذ الحاكم في الجبل تدبيراً اداريا او كيفياً فان القوانين والانظمة وكل مافي الاضبارات من أوامر وحتى مافي مجموعة الدساتير التي خصوا منها الجبل بدستور من احكام — هذه كلها تتلاشى وتحتجب امام تدبير الحاكم وارادته الشخصية ، فالحاكم هناك لا يطيق مثلا ان يرى

(*) نشرت في النداء بتاريخ ٣٠ أيار سنة ١٩٣١

رجلاً مثل فواز الحلبي ينعم بالاقامة في بيته وبين أهله فيأمره ان يغادر بلاده الى دمشق من غير محاكمة او سبب . فاذا شكا فواز أمره الى المفوض السامي او مندوبه في دمشق وابلغ قراراً بعد المساعي الكثيرة يقضي بعودته الى الجبل فان الحاكم الفرنسي في هذا الجبل نفسه يرفض تنفيذ القرار ويظل فواز منفياً بينما دار المندوب تعتبره حراً ولاتعترف له بهذا النفي . أليس هذا هو الاستقلال الاقطاعي بعينه ! وهكذا يحكم الجبل الذي يعدونه جزءاً من سوريا كما يعدون حوران والقلمون ولكنهم يريدون ان يعاملوه معاملة خاصة .

على اننا وقد اثرت مسألة الحكم في جبل الدروز نتساءل لماذا لا يعين للجبل حاكم وطني من اهله أو من غير اهله ممن يرتضيه سكان الجبل من ابناء سوريا ولبنان ولماذا يحكمونه هذا الحكم العسكري القاسي ويضيقون على سكانه حتى اصبح واحدهم لا يملك حق السفر الى دمشق الا بامر الحاكم أو بامر ضابط الاستخبارات وحتى غدت عيوننا تقع على السياح الاجانب في قصر أمية اكثر ما تقع على سكان الجبل في المرجة او اسواق دمشق و « بوايك » الميدان ، لا بل اننا حرمنا رؤية تلك العمائم البيض فوق الكوفيات تحملها رؤوس كبيرة تحتها وجوه سمر بعيون سوداء واسعة ذات محاجر يلمع فيها الكحل . ذلك شعار الوطني الدرزي ، وزيه الوحيد الذي كان انساً لدمشق بينما كان الجبلي نفسه شريك الدمشقي وعميله فخوراً بان يرى في دمشق ايام الموسم يأخذ ويعطي مع اهلها ويستدين ويفي فاذا به اليوم محصور في جبل بين الصخر والصحراء وتحت وطأة الحكم العسكري الشديد .

لقد فصلوا جبل الدروز عن دمشق بعد ان كان جزءاً منها وكانت هي جزءاً منه وسوقاً له ومعيناً يغرف منه كل ما يحتاج اليه من ضرورات الحياة وكمالياتها وفوق ذلك لقد حرموا على الجبليين ان يعاملوا الدمشقيين كما كانوا في السابق حتى رجع الدمشقي الميداني يتسلل الى الجبل كمن يتسلل الى منطقة أجنبية بدون جواز ثم ما زالوا بهذا الجبل يضيقون من سلطة أهله حتى ألغوا الحكم الوطني الذي تمتع

به حيناً من الزمن وغدا اليوم اشبه بمستعمرة من مستعمرات « الكونغو » في بلاد العبيد السود ، فبأي حق يحكمون الجبل هذا النوع من الحكم ؟

هذا سؤال تجيبنا عليه حراب الجند وقنابل المدافع . اما المنطق واما العدل فلن يجيبنا واحد منهما عليه ولكننا بالرغم من ذلك نجرب ان نناقش المسألة عائزين رغماً عن انوفنا بصك الانتداب وهو في نظر فرنسا دستور الدساتير وانجيل الشرائع والاحكام .

لقد نص صك الانتداب على ان تحكم سوريا ولبنان بحكومات وطنية او أهلية تحت اشراف السلطة الفرنسية وحدد هذا الصك نوع الانتداب فجعله من درجة A في جميع المناطق السورية واللبنانية . ولكن الفرنسويين من تلقاء انفسهم صنفوا هذا الانتداب فجعلوه درجات وقسموا البلد الواحد الى اصناف وشعوب فجعلوا المذهب الديني سبباً لهذا التقسيم في بعض النواحي ، والسوية العلمية في البعض الآخر ثم عمدوا الى منطقة اللاذقية وسموها بالمنطقة العلوية وجعلوا المذهب سبباً لفصلها عن المجموعة الوطنية السورية كما جعلوا السوية العلمية سبباً لحكمها حكماً مباشراً . وجاؤوا الى دمشق بعد فاجعة ميسلون فاقتطعوا من بلادها جبل الدروز وحكموه بغير النوع الذي حكموا به بقية المناطق التابعة لدمشق كحوران مثلا والقلمون ، ومن البديهي ان سوية اهل المدن الكبرى تختلف عن سوية اهل القرى ولكن الشعب يعتبر بمجموعه من بدوه وحضره ومدنه وقراه . اما ان تدار القرى بشكل لا تدار به المدن فمعنى ذلك ان في وسعهم ان يجعلوا في سوريا اشكالا متعددة من الحكم .

لماذا تدار القلمون كما تدار دمشق والغوطة ويدار جبل الدروز بنوع خاص من الحكم ، بل لماذا تحكم حوران بادارتها وقضائها ومعارفها وماليتها كما تدار حمص وحماة سواء بسواء ولا يدار جبل لدروز بمثل هذه الادارة ؟ هل كان جبل الدروز ايام الحكومة العثمانية يدار بنوع من الحكم غير ما تدار به حوران اوحمص او حماة حتى جاء الفرنسيون فابقوا القديم على قدمه ؟ كلا ! انهم خلقوا له شكلاً جديداً واسماً خاصاً واتخذوا سوية اهله العقلية او العلمية حجة مزعومة لهم في

تجريده من جميع مزايا الحكم الوطني بينما صك الانتداب الذي وضعوه لانفسهم رغماً عنا وعن المنطق والحق لا يخولهم هذا التفريق بين الشعب الواحد .

هل مدينة بيروت من حيث السوية العلمية والعقلية مثل قرى جبل عامل مثلا او جبال كسروان فلماذا لا يفرقون اذن في الحكم والادارة بينها وبين هاتيك المنطقة ويفرقون في ذلك بين دمشق وجبل الدروز .

***

اللهم اننا اصبحنا مع الفرنسويين في حالة لا تنفع فيها البديهيات حق ولا صك الانتداب الذي تحميه على زعمهم اربع وخمسون دولة .

ايها الشعب الدرزي الباسل :

اننا لا نملك من الامر لانفسنا اكثر مما نملك من امرك ولكننا نقضي بذكراك واجبا هو من حق كل وطني سوري رفعت رأسه عالياً وجعلت له صفحة وطنية خالدة يفاخر بها يوم يعوزه الفخر .

أيها الشعب الشهيد :

اننا نحييك ورؤوسنا منحنية امام ضحاياك . ومن بين القبور والانقاض ومن خلال الحكم العسكري المباشر نبعث اليك بهذه التحية .



حقنــــــــــة؟! (*)

عين المسيو سولومياك مندوبا للمفوض السامي في سوريا كما يعرف ذلك القرا وهو على وشك ان يهبط علينا من بيروت ليتسلم منصبه الجديد . وقد نشرت الصحف البيروتية امس ان المسيو سولومياك حقن بمصل ضد ميكروب التيفوئيد قبـل ان يسافر الى دمشق !

قرأت خبر « الحقنة » وقرب سفره الى دمشق في جملة واحـدة وتحت عنوان واحد وفي جريدة « البيرق » كما اظن — ولا تنس ان البيرق في هذه الايام تعنى كثيراً في اخبارنا واخبار « حاكم » مستعمرتنا المسيو سولومياك !.. فتساءلت عن معنى هذه المصادفة الغريبة : احقنة ضد ميكروب التيفوئيد ، ام حقنة ضد ميكروب سياسة دمشق ؟ !

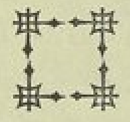
قد يكون المسيو سولومياك يخشى مرض التيفوئيد فعلا وهو يقظ جداً ، يقاوم الداء بالداء كما كان شأنه في لبنان ، فهو يحارب الماروني الانتدابي بماروني انتدابي مثله ومقرب من بكركي ايضا !.. ويحارب الشيعي الواحـد بشيعيين اثنين . فقد حارب ابراهيم حيدر بالسيد احمد الحسيني وبصبري حمادة معا !.. وحارب اميل اده بجورج تابت وموسى نمور . وجرب ان يحارب بالشيخ الجسر جميـع المسلمين في الساحل !.. ولكن الشيخ كان ادهى من سولومياك فقد تسلط باسم سولومياك على الجمهورية اللبنانية من مسلمين ونصارى !...

فليس عجيباً اذن ان يأخذ المسيو سولومياك « حقنة » ضد ميكروب سياسة دمشق ! واذا كان المسيو سولومياك استطاع ان يجد في لبنان خلال خمس سنين « حقناً » مهيأة يقاوم بها ميكروب المعارضة والنفوذ الشخصي والمحلي ، اترى هل يستطيع ايجاد مثل هذه الحقن في سوريا ؟!

(*) نشرت في القبس بتاريخ ٤ كانون الاول سنة ١٩٣٠

لا تتعب يا سيدي المندوب فلقد فتش كثيرون قبلك من المندوبين على حقن ومصل يقاومون بها هذا الميكروب الخطر في دمشق فكانوا هم وحدهم المصابين به فلا استطاعوا ان يحقنوا بـه انفسهم ولا استطاعوا ان يحقنوا به الشعب فكانت نتيجتهم انهم اصيبوا بالميكروب وحدهم وذهبوا يحملونه الى فرنسا !..

واذا كنت لا تصدق فاسأل المسيو بيراليب والمسيو دي لهلوج واخيراً المسيو بروير وحق المسيو راجي ايضا !!...



كيف تجاهلوا موت الحسين ! (*)

كتبت هذه المقالة لان الدوائر الفرنسية والحكومية تجاهلت موت جلالة الملك حسين فلم تخفض راية ولم ترسل تعزية

مات المارشال فوش قائد جيوش الحلفاء فنكسوا الاعلام ، واخنقوا الرايات ، واعلنوا الحداد على دوائر الحكومة والمصالح الرسمية !.. فتنكس الاعلام وتخنق الرايات اعلاناً للحداد على عظيم من عظماء فرنسا.

مات كليمنصو أبو النصر واعلنت عليه فرنسا الحداد فيجب ان تملن سوريا حدادها وتطفح جرائد بيروت ودمشق بذكر مناقبه وجلائل اعماله وكيف مرض وكيف مات وكيف كان يتكلم ويأكل وكيف كان يخاصم اصحابه ويصالحهم.

ومات الجنرال ساراي الذي احرقت دمشق على عهده وضربت بالمدافع وتطايرت اشلاء ابنائها بين دخان القذائف ولهيب الحرائق ومع ذلك فان الخصومة تتناسى امام رهبة الموت فلا يعدم الجنرال ساراي في هذه البلاد بعد موته من يبرق الى اهله معزياً آسفاً . اما رايات الحكومة السورية فتنكس ، واعلامها فتخنق ، وينتهي الحداد في الدوائر الفرنسية بعد ثلاثة ايام ، ولكنه يظل معلناً في سراي الحكومة السورية اسبوعاً .

وهكذا كلما مات قائد كبير او صغير ، وكلما حزن عليه المفوض او مندوبه او مندوب مندوبه فان دوائرنا الرسمية واعلام حكومتنا وجرائدنا تملن الحداد وتعزي وتحزن وتحوقل وتسترجع ، ويموت الحسين ملك العرب وابو ملوكهم وحليف الملك جورج وبوانكاريه وويلسون وصاحب الكرسي العالي في مؤتمر الصلح واول

(*) نشرت في النداء بتاريخ ٩ حزيران سنة ١٩٣١

من اعلن الثورة والحرب على الترك والالمان وقاد العرب الى ساحات النصر بجانب الحلفاء. يموت الشيخ القرشي العظيم فتحزن عليه افئدة اربعين مليوناً من العرب وتهتز دمشق هزة الاسى وتروع سوريا حزناً على شهيد «وفاء» الحلفـاء واعترافهم بالجميل ... فيتجاهل الفرنسيون موته فلا ينكس علم ولا تخفق راية ولا ترسل تعزية قبالها من عواطف «متقابلة» تسديها فرنسا في سوريا الى هذا الشعب الذي يطلبون اليه ان يعيد في اعيادهم ويبكي في مآتمهم.

***

عيدوا ياسوريون يوم ١٤ تموز، وعطلي اعمالك ياحكومة، واوقفي جلساتك يا محاكم فاليوم عيد الحرية !.. وتعالوا ياموظفون ويااوجهاء ويا علماء فان المندوب يستقبلكم ويتقبل تهانيكم. اما الموظف الذي لايشترك في التهنئة فان صفحته سوداء ويجب ان يستغنى عنه في اول فرصة.

وهذا عيد جان دارك تعطيل عام في الدوائر الرسمية وفي المدارس الحكومية وليرجع الفلاحون الذين جاؤوا الى دمشق من اقصى القرى في الغوطة والمرج ووادي العجم، ليرجعوا الى قراهم فان الدوائر معطلة والمحاكم مقفلة اكراماً لجان دارك.

اما هم بعينهم الفرنسيون في سوريا فان دوائرهم لاتقفل ساعة في عيد شهدائنا ولا في عيد مولد نبينا ولا في عيد نحرنا او «انتحارنا ...» ورايتهم العظيمة التي تخفق في سماء دمشق بحق الفتح والحرب والقوة واجتياح اوطان الضعفاء من انصارهم وحلفائهم، هذه الراية تظل خفاقة يوم يموت الحسين حليفهم ونصيرهم وابو اصدقائهم في عمان وفي بغداد.

اجل يموت الحسين فتبكيه الثورة العربية والحرب والسلم والهدنة، وتروع الجزيرة من شواطيء عدن الى خليج فارس، وتصمت دمشق صمت الرهبة والاسف، ولكن الفرنسويين يتجاهلون هذا الحادث الجلل ويتجاهله معهم هؤلاء الذين اقاموهم حكاما وجعلوهم رؤساء ووزراء فلا يفكرون بان ينكسوا هذه الراية المزيفة

على سيد العرب التي طالما نكسوها حداداً على موت جنرال او مصرع قائد يموت في اقصى المعمورة

لا ينس هؤلاء الذين يضنون برايتهم المزيفة ان تنكس حداداً على الحسين انهم كانوا اول من بايعه بالخلافة ولا ينسوا انهم كانوا قبل توليهم الحكم فخورين بوسام النهضة العربية الذي منحهم اياه ذلك الملك الميت

***

لقد ضن الفرنسويون بهذه العاطفة «المجانية» على العرب وعلى السوريين الذين يحتلون بلادهم ، ولكن ما بال الحكومة تتجاهل هذا الواجب وقد كان رجالها الى عهد قريب من الداعين الى الله بضراعة وخشوع ان يطيل عمر جلالة المنقذ الاعظم ويحفظ صاحب عرش سوريا فيصل الاول ، ايريدون ان يكتب لهم المندوب بان يخجلوا ويعاملوا الملك حسين سيدهم الاول كما يعاملون الجنرال ساراي بعد موته او المارشال فوش او كليمنصو !... ان مثل هذا الجواب لا توضع في قضائه القرارات المصدقة من مفوض او من مندوبه بل هو مروءة في رؤوس الرجال وعاطفة في صدورهم لا يمنعهم احد ان يظهروها اذا ارادوا ولكنهم تبع في كل شيء حتى في العواطف !...

والمجلس البلدي ؟ ما شأنه في هذا العقوق وهو مؤسسة اهلية ، فلماذا لم ينكس رايته وهو اول من رفعها يوم توج فيصل ملكا على سورية ، اخشي الحل ام خشي ان يغضب الاسياد ؟.

***

اننا نصارح الفرنسويين الذين لا نزال نطلب منهم التفاهم النزيه !... ان مظاهر الحزن والفرح لها قيمتها في النفوس وان هناك مجاملات لا يربحون من اهمالها وتجاهلها، فكلما زادونا اهمالا زدناهم تجاهلا وجفاء ونفوراً، فان رفضوا ان يشاركونا في عيد شهدائنا فسيأتي يوم يعد فيه من يشاركهم في عيد حريتهم مسيئاً الى امته وشهدائه، وما داموا تجاهلوا واجب المجاملة في موت اكبر رأس في العرب فان

العرب ولا سيما السوريين اقدر منهم على تجاهل اوربا وكل رأس فيها في المآتم والاعياد

ايها الفرنسيون

انا بشر مثلكم لنا كرامة وفينا عاطفة ، فان حبستم عاطفتكم عنا في يوم مأتم مليكنا فالحياة مملوءة بالمآتم والاعياد وكما تدين تدان .



ذكرى الشهداء الاولين (*)

بينما تحتفل اليونان بمرور مائة عام على استقلالها، وتشهد آثينا اعظم مهرجان وطني حيث اصوات الكنائس تملأ ارجاءها، وتكلل الرايات الوطنية قبابها الشامخة وبينما تحتفل فرنسا بمرور مائة عام ايضاً على استعمارها الجزائر او انتزاع استقلالها على الاصح، نقف نحن السوريين العرب في دمشق وبيروت على قبور شهدائنا الاولين وقفة تعودناها منذ احد عشر عاما فنردد كلمات لاتخرج عن دعوات صالحات لهؤلاء الابطال الذين مشوا الى الموت في الصف الاول في سبيل حرية العرب واستقلالهم، او نفاخر في سبيل هذا الدم المطلول الذي انبت الثورة العربية الكبرى فكانت وكان الذين قامت من اجلهم والذين سقطوا قتلى في معاركها — كان هذا جميعه سلما للاقوياء حيث كسبوا الظفر باسم الثأر له وفي سبيل «تحرير» الشعوب المظلومة، فاذا بهذه الشعوب، ونحن في المقدمة، لم تربح غير البكاء على الموتى وغير التغني بذكراهم؟! فاليونان تفرح اليوم وتضحك وتفتخر، والسوريون يبكون، ولكن الجزائريين بين هؤلاء واولئك لايدرون أيضحكون مع الضاحكين الذين يقيمون احتفالات ذكرى استقلالهم؟! ام يبكون على استقلال انستهم اياه هذه المائة عام فنسوه حتى نسوا معه الذين ماتوا من اجله؟!

لله من هذه المصادفات المؤلمة! بل من هذه السخرية التي سخرها القدر من هذه الامة العربية في افريقيا وآسيا معا! شعب كاليونان يضحك ويفرح باستقلاله وامة كفرنسا تحتفل باستعمار قرن كامل لشعب عربي طوت استقلاله في رمال الصحراء، وشعب صغير في سوريا زرع نصف شبابه في ساحات الموت لايناله من طويل جهاده ووفرة شهدائه اكثر من البكاء على القبور في كل عام وفي يوم مثل هذا اليوم؟! الا ليت الاقوياء الذين وثقنا بعهودهم وخضنا غمار الحرب الى جانبهم

(*) نشرت في القبس بتاريخ ٧ أيار سنة ١٩٣٠

يشر كوننا لا بالظفر ولا باقتسام اسلابه ، بل بما ينسينا على الاقل مرارة الفاجعة في رجالنا ، ولوعة الخيبة في آمالنا ! بل ليت لنا من هذه الاعياد التي تقام هنا وهناك عيداً لا نبكي فيه رجالا اعزاء او آمالا ضائعة ، ولكن ماذا نعمل والحرب العامة التي كنا فيها بجانب الظافرين جعلتنا في جانب المغلوبين ، فالعرب هم الشعب الوحيد الذي كان حليفا مع الحلفاء عومل معاملة الاعداء رغم مابذله من دم وشجاعة بينما خمسون شعبا آخر كانوا في صفوف الاعداء استردوا استقلالهم وعوملوا معاملة الحليف الوفي ؟

لاباس ! فلنقف اليوم للمرة الثانية عشرة على قبور الشهداء الاولين ، ولنبك عليهم ، ولنمجد ذكراهم ، ولنقدس بطولتهم فقد كانوا سبب الثورة العربية الكبرى وكانو قافلة مشت الى الموت طليعة لقوافل اخرى ، فالقبور التي تنطوي على شهداء ماتوا في سبيل بلادهم قد اصبحت كثيرة يضيق العدد عن حصرها ، والذكريات التي تقام في هذه البلاد كانت واحدة عام ١٩١٩ فغدت متعددة في عام ١٩٣٠ ، ولكن هذه الذكريات التي نتخذها اعيادا كلها مآتم ، واعظم ما يؤلم الباكين في المآتم ان فقيدهم لم يعوض ، والآمال فيه لن ترد ، فـ٦ ايار و٨ آذار و٢٤ تموز و٩ حزيران و ١١ آب — هذه كلها سلسلة متعددة الحلقات ليس فيها سوى بكاء على شهيد قتيل او حسرة على امل مفقود !



اكرام الميت دفنـــــه (*)

يظهر ان سياسة حسن التفاهم التي تخدرت بها الامة نيفاً وثلاث سنين ، كانت شبيهة بسياسة « اتحاد العناصر » ايام حكومة الاتحاديين في الدولة العثمانية ... فقد كان الاتحاديون يعملون كل شيء في هضم حقوق العرب حتى اذا ارتفعت اصوات الشكوى والاحتجاج في الجرائد العربيـة عمدوا الى اسكاتها فكان احد وزراء الترك يقف في حفلة او في المجلس النيابي مثلا وينادي بسياسة اتحاد العناصر وان لا فرق بين عربي وتركي وارمني ، فتتحرك الاكف بالتصفيق ، وتترطب الالسنة بالدعاء والهتاف ، ويسكت العرب عن حقوقهم المهضومة مدة طويلة بتأثير تلك « الحقنة » المخدرة ... وهكذا ظل الضحك على العرب وتخديرهم بالمطل والتسويف اساس سياسة الاتحاديين حتى كانت الحرب العامة وكانت بطشة السفاح ورفاقه برجالهم الذين كانوا ابطال المطالبة بحقوق العرب .

ونحن الآن لا نضحك على الامة في ترديد كلمات التفاهم فقط ، بل نضحك على انفسنا وعلى الامة معاً بينما نرى بعض الافرنسيين وجرائدهم ، حتى التي تصدر في بيروت ، يضحكون منا عند ما نصدق ان سياسة التفاهم سوف تثمر . ولكننا نحمد الله على شفائنا من هذا « الخدر » ، وان مرضه لم يبلغ في نفوسنا حد الادمان ، ونحسب انه لم يبق واحد في هذه الامة يستطيع القول بامكان الوصول الى اية نتيجة عن طريق هذا السكوت الذي استحوذ على مكتب المجلس التأسيسي ، لا بل ان ركنين من اركان هذا المجلس هما النائبان المحترمان سعد الله الجابري وفخري البارودي اعلنا يأس البلاد من الوصول الى حقها او الى بعض هذا الحق ما دامت السياسة الاستعمارية التي املت تعطيل المجلس التأسيسي وخنق الدستور هي التي تقول بسياسة التفاهم !!!

(*) نشرت في « القبس » بتاريخ ٢٦ شباط ١٩٣٠

لقد تكلم اثنان من اعضاء مكتب المجلس عن افلاس سياسة التفاهم ، فليتكلم المكتب اذن ، وليقل للامة التي لم تتعرف على هيأة تمثلها سواه ، ماذا فعل خلال تسعة عشر شهراً وهو وحده الذي فوضه النواب بالاجماع في تعقيب قضية البلاد والسعي بشتى الوسائل المشروعة لاخراج الدستور الذي وضعه المجلس سالما من العبث بحقوق الامة وسيادتها الوطنية و كرامتها القومية ؟! ماذا فعل المكتب وما عسى ان يفعله بعد الان وهو وحده المؤتمن على القضية السورية والذي يتكلم باسم سبعين نائباً انتخبتهم الامة ، وتلاشت امام صلاحيتهم نزعات الحزبية والاشخاص والهيئات ؟!

لقد مر عام كامل على جواب المكتب الذي قدمه الى المفوض السامي جوابا على تحفظات الحكومة الافرنسية على الدستور ، وسافر المسيو بونسو الى فرنسا وعاد منها ولكنه لا يزال « محاصراً » في بيروت لم يبرحها ولم ير دمشق ؟! ونحسب انه سوف يسافر في حزيران في عطلة سنوية او اجازة صيفية قبل ان تشهد هذه المدينة طلعته ، وسوف تمر الشهور والاعوام والبلاد تعيش بتشريع ودستور يبدأ بجملة « ان لمفوض السامي بناء .. وبناء ... يقرر ما يأتي » وينتهي بجملة « رئيس الحكومة السورية والوزراء والمستشارون كل مكلف بتنفيذ ما يخصه — التوقيع : بونسو »!!..

لقد افلست سياسة التفاهم ليس الآن فقط ولا منذ شهر او شهرين بل هي مفلسة منذ تسعة عشر شهراً اي منذ التاسع من شهر آب عام ١٩٢٨ يوم طلب المفوض السامي حذف المواد الست من الدستور ، ويوم دافع رئيس الوزارة عن نظرية الحذف او تأجيل البحث فيها !! .. واصبح التحدث بهذه السياسة الان نوعا من السخرية والهزء حتى غدت كلماتها تفكهة الاصدقاء والظرفاء في مجلس لهوهم وسمرهم فاذا لقيك صديق لم يرك منذ ايام فان اول سؤال يبادرك به قبل سؤاله عن صحتك طبعا : كيف حال سياسة حسن التفاهم ؟!. يقول لك هذه الجملة بابتسامة صفراء مملوءة بالسخرية والتهكم ، حتى اصبح الوطنيون في بيروت وفلسطين وشرق الاردن ومصر يقولون كلما وصل اليهم احد من دمشق : ماذا معك ؟! لعلك آت لنا بهدية

سياسة حسن التفاهم ... وحتى اذا عدت صادرات البلاد وقالوا عن مصدر انها تصدر قطنا وعن يافا انها تصدر برتقالا قالوا عن دمشق انها تصدر سياسة التفاهم ؟! ولن انسى ليلة كنت اخاطب فيها احد اخواننا الوطنيين بالتلفون من القدس ان اول سؤال سألنيه : كيف حال اخواننا في الشام ، طمئني عن سياسة حسن التفاهم ؟! فقلت له : قد افلست ، فاجابني بالفور : لا بل انتنت ...

تلك هي حال هذه « الجثة » التي يسمونها حسن التفاهم ، فهل يرحم مكتب المجلس التأسيسي هذه الانوف التي تتأذى من رائحتها ويأمر بدفنها ؟!

ليذكر رجال المكتب الحديث القائل : ان اكرام الميت دفنه ؟!



حنطناها فتفسخت فنعيناها !! (*)

كتبت هذه المقالة ردا على الزميل الكبير الاستاذ جبران التويني صاحب جريدة النهار يوم كان رئيسا لتحرير جريدة « الاحرار » وقد جاء رأيه في ذلك الوقت مشبعاً بحسن النية ولكن النتيجة الحاضرة في سوريا ولبنان خيبت آراء الجميع

نشر الاستاذ جبران التويني في « الاحرار » تعزيته لنا بسياسة حسن التفاهم التي نعيناها في « القبس » منذ بضعة ايام ، وعزى الزميل المحترم نفسه ايضا باعتباره في مقدمة الذين عملوا كثيرا في ايجادها ، ثم وقف يشيعها الى لحدها ولكن «حسن النية » ملك عليه قلمه ان يمضي في التأبين والاسف الى النهاية على ذلك « الميت » الذي تكتمنا كثيراً في اعلان موته فقال : (ولعل المسؤولين عن تخريب هذه السياسة من الفرنسويين يتداركون طريقة حسن التفاهم وهي في «حشرجتها» فيعيدون اليها رمقاً من الحياة) . وقال ايضا : (لقد لفظت المرحومة انفاسها ولكن بعثها مستطاع اذا احسن الفرنسويون النية ومدوا يدهم الى اليد الوطنية التي امتدت اليهم لتتعاون على حل القضية السورية) .

على اننا لم ننع سياسة حسن التفاهم الا بعد ان وثقنا وآمنا بان الفرنسويين انفسهم اعلنوا موتها فيما بينهم رغماً عن تظاهر بعض رجالهم بان «صحتها حسنة » !! ... وانها لا بد من ان تعود قريبا الى النشاط فتثمر ثمرتها الطيبة ... ولكنهم لا يريدون ان

(*) نشرت في القبس بتاريخ ٧ اذار سنة ١٩٣٠

يدموها هم لان في نعيها من قبلهم « منبها » ، لذلك «المخدر» الذي « حقنوا » به هذه الامة سنين كاملتين فخدروا اعصابها وكانوا كلما شعروا بان مفعول الحقنة كاد ينتهي يذشرون الاشاعات في اروقة المفوضية فيتلقفها مكاتبو الصحف ومخبروها ويذيعون ان هنالك حلولا وبرامج وان المفوض السامي سيأتي الى دمشق لاعلانها فيعود التخدير الى بعض الاعصاب بينما الوقت يمر بسرعة البرق والميزانيات توضع كما يشاء رجال المفوضية والسلطة ، والمشاريع والامتيازات تدرس وهي على اهبة التوقيع والمنح للشركات الاجنبية ، والحكومة عبارة عن اداة جباية الضرائب واستيفاء الرسوم ودفعها الى هذا وذاك ، وصرفها هنا وهناك...

لقد حرصنا كثيرا على سياسة التفاهم وودنا ان تثمر واحطناها بكل عناية وكانت — لارحمها الله ! — في نظر نوابنا ورجالنا وصحافتنا اشبه بالمريض الوحيد لاهله « المدلل » عليهم يؤذيه النسيم ويخشى عليه من سماع اية كلمة مؤثرة مخافة ازعاجه و تعكير صفوه !... بل ذهبنا في الحرص على هاتيك السياسة مذهب السخرية والخرافة حتى كدنا نكون مثل اولئك الذين كانوا يشيعون ايام الحرب ان السلطان محمد رشاد قد مات ولكن الالمان حنطوه وصبروه واجلسوا جثته على العرش حتى يراها بعض رجال القصر فيقولون ان السلطان حي لتشتد عزائم المحاربين ويقال لهم : ان جلالة الخليفة يهديكم تحياته ويدعو لكم بالنصر فترتفع اصواتهم بالهتاف والدعاء : باديشاهم جوق يشاه !...

***

نعم لقد حرصنا جداً على ان تظل سياسة حسن التفاهم في قيد الحياة ، وكنا نكذب كل اشاعة تقول بموتها ، ولكن الفرنسويين لايريدون من هذه السياسة ولا يفهمونها الا على قاعدة « سلموا لنا بما نطلبه ، ونحن بعد ذلك نمنحكم مانراه متناسبا مع استحقاقكم » ... بل كان حرصنا على عدم افلاس هذه السياسة خدمة كبرى للفرنسويين طالما عرض بها كتابهم في جرائد باريز ورددها مندوبهم في جمعية الامم ، واول شيء كان مندوبهم يرد به على السائلين : ان الشعب السوري راض عن

خطتنا وان تأجيل المجلس التأسيسي لم يؤثر عليه ، وان المفوض السامي مستعد لمنح سوريا دستورها اذا تم التفاهم بينه وبين زعماء الوطنيين ، وان القرارات والمشاريع وكل شيء يجري في البلاد هو برأي السوريين وبموافقة حكومتهم !...

اذن فنحن لم نعان افلاس سياسة حسن التفاهم الا بعد ان ماتت فعلا ، لا بل بعد ان حنطناها وصبرناها ، ولكن جثتها تفسخت فانتنت ، فنعيناها للناس ونحسب اننا لم نبلغ في فن التحنيط مابلغه الفراعنة في تحنيط موتاهم فلم يكن امامنا اكراما لهذه الجثة غير الدفن ، فاعلنا الموت بصورة « صحفية » ونحن ننتظر ان يعلن بصورة رسمية ، اي من قبل مكتب المجلس الذي تأجل سنتين انتظارا لشفاء هذا المريض .. واذا كان المكتب يعلم ان اكرام الميت دفنه فان هناك عرفا وتقليداً وهو ان اهل الميت ينعون فقيدهم ، والامة تنتظر بيانا لنطمئن على ان الميت مات فعلا وان من العبث الاشتغال باحياء الموتى .



دعاية اليهود غلبت انكلترا (*)

كتبت هذه المقالة منذ خمس سنين حضاً للسوريين على تنظيم دعايتهم في اوربا كما يفعل اليهود وانه من المؤلم انود بعد خمس سنين كما كنا من قبل نطلب الاستقلال والحرية ضمن بلادنا

اصدرت الحكومة الانكليزية « الكتاب الابيض » واوضحت سياستها النهائية في فلسطين نحو العرب والصهيونيين ، واعترفت في ذاك الكتاب الذي نشرته على العالم بان فلسطين لن تطيق ولن تقبل بعد الان هجرة صهيونية جديدة وان اراضيها لن تتسع حتى الى اهلها . واشارت انكلترا في كتابها الى وجوب تحديد سلطتها في فلسطين والى قيام نظام من الحكم يكون فيه لاهل البلاد شيء من الرأي وانذرت العرب بانه في حالة رفضهم قبول المجلس التشريعي او الاستشاري على طريقة الانتخاب فان المندوب السامي يستعمل سلطته ويعين اعضاءاً لهذا المجلس من جميع السكان بنسبة عددهم .

تلقى عرب فلسطين الكتاب الابيض بشيء من الدهشة لانهم كانوا ينتظرون ان تتحقق آمالهم بهذا الانقلاب السياسي اكثر مما احتواه الكتاب ، ولكنهم قابلوا ذاك بالصمت والسكوت بينما استقبله الصهيونيون بالضجيج والصخب والدعوة الى الثورة على انكلترا التي نقضت وعد بلفور وخرقت حرمة الوطن القومي الصهيوني ، ولم تمض مدة قليلة حتى تجاوبت اصوات اليهود في جميع انحاء العالم بالاحتجاج على انكلترا

(*) نشرت في القبس بتاريخ ١٦ تشرين الثاني سنة ١٩٣٠

وحتى طرحت المسألة الصهيونية في البرلمان ، فاذا بالحكومة الانكليزية التي صرحت في الكتاب الابيض بنصوص والفاظ لاتقبل التأويل بان فلسطين لن تحتمل هجرة جديدة وان راحتها لا تكاد تتسع لاعاشة سكانها — اذا بهذه الحكومة القوية الجبارة تصرح بانها ستنشر تفسيرا « للكتاب الابيض » ثم يصدر تصريح بعد يومين بانه يسمح بهجرة عدد جديد من اليهود الى فلسطين ! . . . ولكن الصهيونيين لا يقبلون بهذا التصريح ويصرون على الغاء الكتاب الابيض وابطاله بتصريح رسمي مثله . وهكذا فان العالم يشهد لاول مرة تراجع الامبراطورية البريطانية امام العصبة الصهيونية تراجعاً مشيناً ويرى خذلاناً سياسياً لحكومة كان يظن انها لن تخذل في حياتها لا سياسياً ولا حربياً .

اجل ، ان الامبراطورية البريطانية سيدة البحار تتراجع امام الزئير الصهيوني في اوروبا واميركا ، وتنقض اليوم بالشمال ما برمته امس باليمين ... ويقف العرب واليهود في فلسطين وقفة هي اشبه بقول الشاعر : يرضى القتيل وليس يرضى القاتل !!...

هكذا تعمل الدعايات السياسية الصهيونية عملها في العالم فتضطر انكلترا الى الغاء تصريح سياسي تصدره حكومة برلمانية تحكم نصف البشر . بل هذه هي نتيجة التنظيم السياسي للجماعات اليهودية العزلاء التي لا تملك تحت السماء وطناً والتي لا تزال بعض دول اوروبا تعد وجودها في اوطانها وباء وبلاءاً ، والتي لا يزال شعب مدني كالالمان يهاجمها في اماكنها ويحطم زجاج محالها وبيوتها .. ان هذه الجماعات المضطهدة المشردة التي لم تكن تعرف لها وطناً بين الاوطان اصبحت اليوم بفضل تضامنها القومي والديني وبفضل تنظيمها السياسي وقدرتها على بث الدعاية لقضيتها الباطلة تحمل اعظم دولة في العالم على التراجع عن تصريح سياسي رسمي ، لا بل على الخذلان والهزيمة ! وما كان احد يظن ان انكلترا بعد ان نشرت الكتاب الابيض بالغاء الهجرة الصهيونية تعود فتبيحها في خلال اسبوع واحد ؟!

***

هذه امثولة ناطقة تشهد بفضل ما يفعله التضامن القومي من العجائب ، وتدل

على ان القلة في الشعوب اذا نظمت كفيلة بان تقف في وجه القوة حتى ولو كانت قوة بريطانيا العظمى . ولولا ان تكون الاقلية اليهودية المشردة تحت كل كوكب والمضطهدة حتى من ارقى الامم الاوروبية، منظمة متضامنة لما كان هناك وعد بلفور، ولا كان في فلسطين العربية المسلمة وطن قومي يهودي ، ولا كان بعد ذلك تراجع وخذلان وهزيمة لحكومة العمال البريطانية التي لم تستطع دول اوروبا ان تحملها على الهزيمة في مؤتمر نزع السلاح البحري والتي هزأت بزئير موسوليني في ذلك المؤتمر ، وبتهديد دول الحلفاء في مؤتمر التعويضات في « لاهاي » وبفوزها باكبر حصة من التعويضات الالمانية رغماً عن ان بلادها لم تصب من الحرب الكونية بسوء . ان هذه الدولة — اسمعوا ايها العرب ! — تراجعت وانهزمت امام اقل اقلية في العالم عندما رفضت هذه الاقلية ان تحدد انكلترا الهجرة الصهيونية الى بلاد عربية . بل ان هذه الاقلية وقفت في وجه انكلترا عندما ارادت ان تجعل نهاية لاستباحة فلسطين واخراج اهلها منها وحملتها — نعم حملتها رغماً عنها — على ان تعاونها على الظلم والشر وعلى ابادة شعب عربي في عقر داره ليحل محله طريدو العالم

ونحن العرب ؟!.. نحن الذين نعيش في بقعة واحدة من الارض لا يفصل بيننا بحر — ماعدا قنال السويس اخيراً — ماذا عملنا ، وما عسى ان نعمل لا لنسلب احداً وطنه كما فعل اليهود بفلسطين ، بل لنحتفظ باوطاننا على الاقل ، لا بل لنتساوى في اوطاننا مع الذين يحتلون منا هذه الاوطان ؟!

ونحن السوريين في هذا الوطن الصغير الذي هو كما يقال ارقى البلاد العربية ماذا عملنا لنحول بين فرنسا وبين خنق دستور هي نفسها دعتنا لوضعه ، لا لاخراجها وقذفها في البحر كما يقولون عنا ؟! ماذا فعلنا لنقاوم الدعاية المضرة التي ينشرها عنا فريق من الفرنسويين في فرنسا والتي نجني من ورائها هذه النتيجة الفظيعة في ادارتنا وسياستنا وثروتنا ؟!

هل استطعنا ان نتعاون على ارسال وفد الى فرنسا ينشر عن قضيتنا مايذهب باكاذيب الدعاة المضللين الذين يصوروننا باقبح الصور ؟

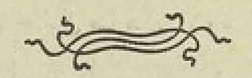
ان كل سوري لو دفع كل يوم قرشاً سوريا واحداً على قضيته لكانت اليوم

بلاده تتمتع باكبر قسط من الحرية والسيادة ، ولكننا نطلب الاستقلال من خمسة نواب وبضعة صحافيين ! . . . ونعدهم مسؤولين عن كل شيء ، ونقول لرجال الكتلة : ارسلوا وفداً . واصدروا صحفاً افرنسية وافعلوا كما يفعل الصهيونيون من غير ان نتكلف انفسنا دفع قرش سوري واحد في اليوم ، واحد من خمسة اجزاء مما يدفعه الواحد ثمناً لتلميع حذائه !

ان في مصر جالية سورية تملك مائة مليون جنيه ولكنها تعيش طويلا بلا وطن فليست هي لمصر ولا هي لسورية بينما في مصر جاليات تعمل لاوطانها فترى الخرجي اليوناني يكدح الليل والنهار ويعمل لعظمة اليونان ومجدها ، ولو دعاه داعي الوطن لجاد بثياب زوجته في سبيله وهكذا قل عن بقية الجاليات الاجنبية في اميركا واوربا اما الجاليات اليهودية فهي تعمل في سبيل وطن موهوم وتجود في سبيله باغلى ما تملك.

ايها السوريون !

ادفعوا كل واحد قرشاً في اليوم وثقوا انكم تنالون استقلالكم تاما ، فان الذي يهزم انكلترا لم يهزمها بقوة الاساطيل والجيوش ولكنه هزمها بقوة التضامن والبذل



الجـــــو المسموم (*)

تختلف القضية السورية عن القضية المصرية في نواحي متعددة اهم هذه النواحي ان القضية المصرية معروفة لدى الشعب الانكليزي معرفة تامة بينما القضية السورية مجهولة كل الجهل لدى الشعب الفرنسوي، لا بل حتى لدى رجال السياسة الفرنسوية من اعضاء البرلمان الذين هم ركن اساسي في الدولة التي نختلف واياها منذ نيف وعشر سنين ، فالقضيـة المصرية ومطالب المصريين ورجال السياسة المصرية على اختلاف احزابهم ونزعاتهم ــ هؤلاء جميعهم معروفون لدى الشعب الانكليزي والحكومة الانكليزية واعضاء البرلمان ، اما قضيتنا ومطالبنا ورجالنا فان معرفة فرنسا بهم لا تتعدى بضعة موظفين في المفوضية العليا في بيروت ، ودار المندوب في دمشق وثلاثة او اربعة من موظفي وزارة الخارجية في باريس اهمهم المسيو دوكيه الذي يتكلم امام لجنة الانتدابات عنا فينال في كل جلسة من جلسات هذه اللجنة وافر الشكر ، مهما كانت حججه ضعيفة وحججنا قوية لان حججنا لا يعرفها غيرنا ، ولا تنشر الا في جرائدنا ، بينما حجج مندوب فرنسا تتناولها بمجرها وبجرها جرائد فرنسا بالتحبيذ والتقريظ . اما القضية المصرية فان الجرائد الانكليزية تبحثها بحثاً دقيقاً في انكلترا وفي مصر ففي مصر نفسها توجد جرائد انكليزية وفرنسوية تدافع عن نظرية الوفديين ــ بل في مدينة القاهرة جرائد تصدر باللغة الفرنسوية والانكليزية يصح ان يقال عن بعضها انها وفدية .

اما في سورية فان قضيتنا نفسها ومطالبنا ووجهة نظرنا وحتى اخبارنا ، بالنسبة للموظفين الفرنسويين فانها عالة على جرائد تصدر باللغة الفرنسوية ، لا يتقي الله اصحابها وكتابها فينا فترى هذه الجرائد مملوءة اكاذيب ودسائس ، اذا قرأها الموظف الفرنسوي رسخت في ذهنه حتى اذا هبت جرائدنا لدحضها والدفاع عن

(*) نشرت في « القبس » بتاريخ ٢٦ شباط سنة ٩٣٢

حقيقتها ، كان هذا الدفاع محصوراً في خلاصة مترجمة يقدمها قلم المطبوعات الى بضعة اشخاص لا تستطيع هذه الخلاصة ان تمحو من اذهانهم ما طبعته فيها جرائد الاوريان ولاسيري .

لقد اصبح الجو السياسي الافرنسي مسموما من هذه الجرائد واصبحت قضيتنا ومطالبنا واخبارنا بايدي اعداء القضية السورية بايدي الخباز والنقاش وفيسيه، يعمون فيها دسا وكذبا وتهويشاً اما في فرنسا فان الفرنسويين لا يفهمون عنا الا ما تكتبه لهم الاوريان ولاسيري . وكلتا الجريدتين عدوة للقضية السورية عدوة للوطنيين وللشعب السوري نفسه . فحاجتنا الى جريدة افرنسية هي كحاجة الجائع للخبز ، اذا لم تستطع اقناع الفرنسويين بوجهة نظرنا فلا اقل من ان توصل اليهم اخبارنا على حقيقتها .

لقد برهن الشعب السوري في مناسبات متعددة على استعداده للبذل والتضحية، وكانت الاكتتابات لاطفال الصحراء وعائلات شهداء الانتخابات وجرحاها ، محكاً اظهر جوهر هذه الامة ولا سيما الفقراء منها ، فاذا نهضت لجنة موثوقة وفتحت اكتتابا لمشروع تأسيس جريدة افرنسية وطنية فان التبرعات الكثيرة بمبالغ قليلة تكفي لحياتها ودوام سيرها . وهذه الجريدة اذا صدرت فلا ينتظر من وراءها الربح بل تصدر لترسل مجاناً للموظفين الفرنسويين في سورية وفرنسا ، ولاعضاء البرلمان ورجال السياسة .

ويجب ان تصدر الجريدة في دمشق نفسها ، لان دمشق هي مبعث الحوادث السياسية ، وهي التي يتلقى الفرنسويون اخبارها باهتمام ولكنهم بكل اسف يتلقونها عن الاوريان ولاسيري فاذا اضربت المدينة مثلا احتجاجا على حادث سياسي لا يقرأ الفرنسويون في باريس اخبار هذا الاضراب في احدى هاتين الجريدتين الا مشوها وقد بلغ من كذب (لاسيري) ان مندوبها جاء الى دمشق يوم اضراب المدينة احتجاجا على صدور الدساتير والمادة ١١٦ فكتب الى جريدته يقول : ان هذا الاضراب كان من اجل اشاعة عن التجنيد الاجباري . وكتب مرة عن اضراب آخر ان هذا الاضراب كان من اجل اشاعة سرت في المدينة حول اجبار النساء

المسلمات على السفور وقد تناولت « القبس » هذه الاكاذيب في حينها وفندتها ولكن دفاع « القبس » يومئــذ لم يتصل بالفرنسويين الذين قرأوا (لاسيري) بل قرأه السوريون وحدهم .

اننا في موقف سياسي حساس ولكننا عاجزون عن ايضاحه للشعب الفرنسوي ولن يطهر هذا الجو المسموم الا اذا انتزعت اخبار القضية من ايدي اعداء القضية وصدرت في دمشق جريدة وطنية فرنسوية . اما اذا ظللنــا على جرائدنا العربية فنظل كما كنا : نحن نكتب ونحن نقرأ .



ابو الشهـــــــداء (*)

كتبت هذه المقالة يوم وفاة الوجيه الكبير المرحوم علي آغا العسلي والد الشهيدين شكري وحكمت العسلي وجد شهيد الشباب فائق العسلي .

الآن وقد استراح الشيخ المثقل بالاسى في قبره ، واصبح الصباح على مقبرة « الباب الصغير » فبدت هاتيك القبور البيضاء تلوح تحت اشعة الشمس كأنها اشرعة السفن المحطمة في عرض البحر لا تلمح العين منها اكثر ما تلمح من بقايا الاطلال والانقاض ! وفي كل مجموعة من هذه القبور رفات شهيد وجثمان بطل .

هناك ! اجل هناك ، في ضاحية المدينة المحترقة المتهدمة ، وعلى جنبات حي الميدان المملوءة حجارته وترابه بالقتلى الذين ماتوا برصاص الجيش واحترقوا بنيران الطيارات والمدافع ، يرقد علي العسلي الى جانب ولديه : الشهيد الاول شكري العسلي . والقتيل الثاني لطفي العسلي ضحية الافعى وشهيد العمل ، وعلى مقربة منه تقوم قبور بقية الشهداء الاولين عبدالوهاب الانكليزي ورفقائه . ولكن هذا القدر الظالم ابى على ابي الشهداء ان ينصفه حتى بعد موته فأبعد عنه قبرين عزيزين عليه : قبر ابنه حكمة وقبر حفيده فائق ، فقد كانا في احدى هضبات القنيطرة حيث سقطا قتيلين مجاهدين الى جانب الشهيد الكبير احمد مريود . وهكذا يموت العسلي الكبير بعد ان فجع باربعة شباب من ولده بينهم اثنان ودعهما يوم مشيا الى ميدان الثورة ، فاتا هناك ثم لحق بهما امس ، ولكنه لم يظفروا أسفاه حتى بان يكون قبره بجانب قبريهما . فكأن الدهر ضن عليه حتى ان يكون جاراً لهما في الموت ! فأية

(*) نشرت في « القبس » بتاريخ ٢٦ تشرين الاول سنة ١٩٣٠



ابو الشهداء علي آغا العسلي يحيط به اولاده واحفاده

وهم : الى اليمين نجله الشهيد شكري العسلي ، والى اليسار حفيده الشهيد فائق العسلي ، وتحته نجله الثاني الشهيد حكمت العسلي .

ذكرى هذه التي يطويها علي العسلي في موته ؟ ! انها ذكرى المجد والتضحية مجتمعة في ذلك التمثال الحزين الصامت الذي غيبه القبر بعد خمس وتسعين عاما !

***

لا يستطيع قلم كاتب ان يمر بموت علي العسلي كما يمر بموت شيخ في حوالي المائة من عمره مات بعد ان استوفى نصيبه من كل ما في الحياة من نعيم وبؤس . بل ان موت العسلي يطوي معه ذكرى نهضة امة كاملة في رجل واحد . ففي مقتل شكري العسلي ذكرى الوطنية الاولى التي ايقظت في نفوس هذه الامة حب التضحية والشعور بالكرامة القومية . وفي ذكرى حكمت وفائق ، الابن والحفيد ، ذكرى المجد صفحة يسجلها تاريخ الجهاد الوطني للامة الصغيرة المجتاحة بلادها . وفي مقتل العم وابن الاخ اسمى معنى من معاني البطولة في هذه العائلة الكريمة . وفي ابناء ذلك الشيخ المائت الذين تسابقوا الى الموت في العمر الذي تحبب فيه الحياة وما في الحياة من شباب وجمال !

عم وابن اخ ! كلاهما شاب في انضر ايام الصبا والمرح ، يصمدان لمقاتلة حملة عسكرية مجهزة بالمدافع والرشاشات ، فيقول العم لابن اخيه : اتركني هنا وانج بنفسك فانك احوج الى الحياة مني . فيأبى ابن الاخ ، ذلك الشاب الناعم اللاهي الذي كنا نرميه بالانوثة والنعومة ، الا ان يموت الى جانب عمه . وهكذا يسقط الاثنان معاً فيجمع الموت بينهما كما جمعت الحياة . وهكذا فالشباب يذكرون فائق العسلي بأفجع ما يذكرون رفيقاً لهم انسل من بينهم صامتاً ، فاذا بهم يسمعون صوت بندقيته في خمائل الغوطة وغابات الزور ، ويقرأون بيانات الثورة موقعة بتوقيع ذلك الكاتب الاديب الذي كانوا الى حين قريب يقرأون له بذلك العنوان الجميل « رسائل غرام » يترجمها في « الميزان » جريدة صديقه المرحوم احمد شاكر الكرمي .

ان في موت علي العسلي مثاراً لاشجان نفوس أمضها الحزن فاذواها ، بل ان في

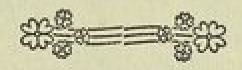
موت الجد ذكرى مصرع الحفيد . هذا يموت في حوالي المئة من عمره ، وذاك يموت في حوالي الثامنة والعشرين ، في سن الصبا والحب والجمال .

***

هذه هي الذكرى الضخمة التي شيعتها دمشق امس الى القبر ، وذاك هو علي العسلي ابو ثلاثة شهداء رآهم بعينه يسقطون قتلى في سبيل هذا الوطن الذليل المستباح . فاذا مشت عاصمة البلاد العربية وراء نعش العسلي ، فانما هي تمشي في نعش يحمل اقدس الذكريات وافجعها .

***

ايها الشيخ المثقل بالثكل والفجيعة ! لقد احسنت الى هذا الوطن المدين لك ولابنائك واحفادك بامجد ما تدان به الاوطان لرجالها . وانك اليوم لتموت وانت لا تنتظر غاية غير الموت الذي وجدت فيه احساناً لك وطمأنينة لنفسك وراحة لجسمك .



اما الاستعباد واما الثورة(*)

« فاما ان النظام السياسي الذي فرض على هذه البلاد غير صالح ويجب قلبه رأساً على عقب ، واما ان هنالك عزماً على متابعة السير في الخطة الخرقاء التي وضعت سابقاً . ان النظام الحالي لا يؤدي الا الى احدى النتيجتين اما الاستعباد واما الثورة . وهذا ما يجب ان يعلم في فرنسا . »

« جريدة لاسيري »

هذه شهادة كاتب افرنسي طالما اثنى على اعمال رجال الانتداب في هذه البلاد وطالما حمل على كل من يشكو من تلك الاعمال واذا به اليوم امام استرسال بعض الموظفين الافرنسيين في هذه الخطة الشاذة لم يسعه ان يحبذ الخطأ وان يناصر الجور فلقد اساءت الحكومة اللبنانية واساء بعض الموظفين الافرنسيين في الانتخابات للمرشحين والناخبين وكان التزوير والتدخل علنيين مفضوحين ، وهكذا كانت معركة طرابلس وكانت ضحاياها .

يتساءل صاحب لاسيري هل النظام الذي فرض على هذه البلاد غير صالح فيجب قلبه ام ان هنالك عزماً على متابعة السير في الخطة الخرقاء ؟ والحقيقة ان النظام والخطة معاً هما اللذان يجب قلبهما فقد يكون نظام من الانظمة غير صالح كثيراً

(*) نشرت في « القبس » بتاريخ ٢٤ حزيران سنة ١٩٢٩

في اساسه ولـكن الايدي التي تتوفر على تطبيقه بحكمة واخلاص تجعله صالحاً بعض الشيء . اما ان يكون النظام في اساسه غير صالح ويكون تطبيقه ايضاً فاسداً فهنا الفوضى وهنا النتائج الوخيمة وما اجتمع الداآن الا ليقتلا .

يقول المسيو فيسيه ان هذا النظام لا يؤدي الا الى احدى نتيجتين اما الاستعباد واما الثورة . اما الاستعباد فقد كان ولا يزال في لبنان وفي سوريا معاً وقد أدى في سوريا الى ثورة لم يكن عهدها بعيداً كلفت البلاد أغلى الاثمان وكلفت فرنسا ايضاً ما كلفته . نحن لا نريد ان نعـود الى ذكرى الماضي وان ننكأ تلك الجروح التي لم تندمل والتي ما تزال تنزف في قلوب السوريين . ولكننا نرجو أن يكون المـاضي عبرة لبعض الموظفـين الفرنسويين الذين لم تنفع فيهم تلك الحوادث فاذا بهم اليوم وقد ادركوا نتائج الضغط والاستعباد لا يزالون يوالون الشدة والارهاق في بعض المناطق التي ولوا الحـكم فيها باسم الانتداب .

لقد كانت خلال الثورة السورية تعابير وجمل ملأت الصحف وردّدها رجال الانتـداب ورجال سوريا معاً وهي ان الانتداب في هـذه البلاد لا يصلح في وضعه الحاضر بقـدر ما يصلح لو اقيم على تطبيقه رجال يفهمون الروح السورية . وكان بعض الموظفين الفرنسويين يقولون هذه خطيئات غيرنا ونحن لسنا مسؤولين عن الماضي وان التفاهم وحده كفيل بان يذهب بجميع الحوادث المؤلمة ، ولكن حينما حل التفاهم وكادت البـلاد به تنسى آلام الماضي برزت تلك العقلية القديمـة من مكمنها واعيد تطبيق الخطة الماضية فاذا بنا وقد عـدنا الى اسوأ ما كنا في السنين الاولى ذلك لان بعض الذين يتولون انفاذ الانتداب انما يطبقونه بالنسبة الى هواهم الشخصي اكثر من مصلحة الانتداب ومصلحة فرنسا .

والحقيقة اننـا حرنا في هذه السياسة ولم نستطع ان نعرف حتى الآن ماذا يريدون وماذا يطلبون حتى يستطيع الفريقان ان يعيشا متصافيين متحابين واصبح اشهر النـاس لا يعرف ما هي غاية الانتداب وماذا يبتغي فكأننا والانتـداب كما يقول المتنبي :

يقـولون لي ما انت في كل بلدة   وما تبتغي ! ما ابتغي جل ان يسمى

الى النــــاخب الاول (*)

هذه المقالة والمقالات الثمان التي بعدها، كتبت في النصف الاول من شهر كانون الاول عام ١٩٣١ حيث كانت المعركة المشهورة معركة « ٢٠ كانون » التي حبطت بها تدابير الحكومة في تزوير الانتخابات.

لم يبق للمعركة الاولى من الانتخابات سوى اسبوع واحد وهذه المعركة هي التي يخوضها الناخبون من اصغر صغير فيهم الى اكبر كبير . بل هي في الحقيقة مقياس الظفر او الانكسار !.

هذه المعركة هي الوحيدة التي لا يجوز لاحد ان يتخلى عن حمل نصيبه منها . فالشيوخ والكهول والشباب جميعهم يجب ان يشتركوا فيها . اما المعركة الثانية فهي يوم يتقدم الناخبون الثانويون الى انتخاب المرشحين للنيابة فيسجلون لعشرة منهم شرف الظفر ويكتبون على الباقي صك الانكسار . والانكسار في المعارك الانتخابية ليس عاراً على المرشح ولكن العار على امة تريد ان تنهض وان تتحرر من الذل فتسجل الظفر للذين امتصوا دماءها وتكتب الفشل على الذين بذلوا دماءهم من اجل كرامتها وشرفها .

ان الناخب الاول هو وحده الذي يستقل بعد اسبوع بهذه المفخرة وهو الذي ينتخب مندوبيه لينتخبوا نوابه . فعلى هذا الناخب ان يثق بالله وبنفسه وبالقائمة التي يختارها من الذين اختارهم في الانتخابات الماضية فأبوا ان يبيعوه وان يساوموا

(*) نشرت في « القبس » بتاريخ ١٤ كانون الاول سنة ١٩٣١

على صوته فعرفوا كيف ينتخبون وخرجوا من دار البلدية ورؤوسهم مرفوعة وضمائرهم مطمئنة .

غدا تفتح مراكز الاقتراع للانتخابات الاولى في جميع الاحياء ، في ساعة واحدة وتغلق جميعها ايضاً في ساعة واحدة . فعلى الذين يستطيعون حماية صناديق الاقتراع ان يعلموا ان نجاحهم في حمايتها افضل من نجاح المرشح بالنيابة . لا بل عليهم ان يعتقدوا ان شرف حماية الصناديق افضل واسمى من شرف النيابة .

***

ايها الناخب الاول :

انت في الحقيقة الذي ترسل النواب الى قاعة البرلمان . وانت وحدك الذي تملك حماية الصناديق ، وفي كفك ناصية الموقف فاقبض عليها كما تقبض على دينك الذي تدين به ، ودافع عنها كما تدافع عن شرفك الذي تفتخر به ، وعن كرامتك التي تعيش بها في هذه الحياة الفانية .

يقولون : ان المرشحين كثيرون ولكل مرشح قائمة سيدفعها الى ميدان الانتخابات ليحمل الناخبين الاولين على انتخابها . فاذكر ايها الناخب ان صوتك الذي يؤلف واحدا من نيف ومائة الف صوت ، له من القوة والاثر ما لهذه المائة الف جميعها . فالمعركة واحدة والانتخابات « كل » لا تقبل التجزئة . وصوت الناخب الاول والثاني من حيث النتيجة هما واحد .

***

ايها النائب الصغير !

انت من هذه الامة التي عرفت في هذه السنين العشر ، الاسود من الابيض . واستبانت كما يقول المثل — القرعاء من ذات الشعر . فلم تعد الدعاية مهما كانت بليغة ان تؤثر في نفسك فقد عرفت ان العقيدة الوطنية هي التي حدت بنوابك الاولين في المجلس التأسيسي الى رفض الموافقة على حذف المواد الست من الدستور وقد كان اولئك النواب كما تعلم هم القابضون وحدهم على اكثرية المجلس ولو ارادوا ان يهاودوا في حقك المغصوب ووطنك المحتل ، ومستقبلك الغالي لفازوا

بعدها برئاسة الجمهورية والوزارات ولمددوا مدة مجلسهم الى اربع سنين . ولكن العقيدة الوطنية هي التي حملتهم على الرفض وحملتهم على التضحية بجميع هذه المناصب

اما اولئك الذين قالوا بوجوب حذف المواد الستاو تأجيل تنفيذها فان المنصب والراتب والسيارة والبذخ هي التي حملتهم على ان يقبلوا ما املاه عليهم الاجنبي القوي لان ضمائرهم خلت من العقيدة الوطنية ، ولانهم لا يعرفونك ايها الناخب ولا يؤدون لك التحية ايها الناخب الصغير الا يوم يريدونك على انتخابهم وقد رتعوا اربع سنين في قلب امتك وولغوا في دماء ضحاياها وانتزعوا اللقمة من بين اشداق اطفالك الصغار لينفقوا ثمنها على بانزين السيارات التي ارمدت غبارها عيون ابنائك !

ايها الناخب الاول !

اذا عرفت من تنتخب مندوبا ثانويا . واذا قدرت ان تحمي الصندوق من « اللعب » فقد فزت بالشرفين شرف الظفر وشرف حماية هذا الظفر .



دمشـــــــــــــق ! (*)

ماذا تريد الحكومة من برهان على انها فاشلة في هذه الانتخابات حتما بعد اضراب دمشق احتجاجا عليها وعلى رصاص موظفيها الذي اطلق ظلما وغدرا في « القنوات » على الدومانيين العزل ؟

وماذا تريد « التدابير » التي تدرس وتهيأ كل يوم في غرف (السراي) بين الوزراء وكبار الموظفين ، من دليل على خذلانها وخذلان مدبريها . انصع من هذا الدليل الذي قدمته دمشق في اضرابها العظيم واحتجاجها الصامت !

بل ماذا يريد هؤلاء جميعا — ومعهم تدابيرهم وخطباؤهم وعصيهم .... — من حجة على ان دمشق هي معقل الوطنية المنيع ، وقلعتها التي لا تقتحم بعد ان مضى عليهم يوم الاثنين فكان اشد هولا على نفوسهم من يوم الفراق على نفوس الثواكل ؟

هذه هي دمشق بثوبها الحقيقي : وطنية وكتلوية ، من قمة الراس الى اخمص القدم !

***

ما لنا وللانتخابات ، نرقب يومها الصاخب ، ونتيجتها الصارخة ، وها هي دمشق تسجل في غضبتها يوم الاثنين في الرابع عشر من كانون الاول ، نفس النتيجة التي سجلتها في ٢٤ نيسان من عام ١٩٢٨ : نجاحا للوطنيين على طول الخط وسقوطا للحكوميين على طول ذلك الخط وعلى عرضه ايضا ...

لقد قلنا لكم : لا تتعبوا انفسكم بالتدابير المرهقة ، ولا تنفروا الناس من اعمالكم المكروهة ، لان البلاد التي صوتت لقائمة الوطنيين في انتخاب ١٩٢٨ لم تتبدل ولم يتبدل الذين صوت لهم فقالوا لنا : لقد صوت لكم تحت الضغط الوطني !.

واليوم ماذا تقولون ، وقد هاجم رجالكم المسلحون رجالنا العزل ، واعتدت شرطتكم وموظفوكم الرسميون على جماعتنا « البلديين » الدومانيين !... فغضبت

(*) نشرت في القبس بتاريخ ١٦ كانون الاول سنة ١٩٣١

دمشق لهم وعطفت عليهم واضربت في سبيل رفع الظلم عنهم ، — هل كان هنـاك ضغط وطني ؟ ! .. والوطنيون هم المضغوط عليهم ، المطاردون بمسدساتكم والمساقون الى سجونكم ، والمهاجمون في عقر دورهم برصاصكم ؟!...

اية نتيجة تنتظرون من الانتخابات ؟ والمدينة التي ترشحون انفسكم عنها قـد سؤلت رايها يوم الاثنين واستفتيت في من تريد نوابا عنها فكان جوابها الذي رايتم احتجاجا على اعمالكم واستنكارا لتدابيركم وتاييدالاوطنيين لا في اشخاصهم فحسب بل في اشخاص الدومانيين الغرباء عن بلدهم الذين هوجموا في مكان ليسوا من اهله ولا من سكانه والذين كانت ضيافتهم عندكم العصي والرصاص ومبيتهم السجن وطعامهم السياط في نظارة الشرطة !

اجل اية نتيجة تنتظرون من انتخابات ، اصحابها من جسر الصالحية الى بوابة الله في أقصى الميدان يضربون عن العمل وابناؤهم يغادرون مدارسهم ليسمعوكم في الشوارع وانتم في دوائركم الرسمية اصواتهم العالية باستنكار ما تعملون ؟!

هذه مدينة اسمها دمشق ،فلاتحرجوهاولا تحملوهاعلى ان تحب من تكره وتكره من تحب ، وتغدر بمن وفى بعهدها ، ورفع رأسها وذاد عن كرامتها فالانتخابات انما هي ثقة وحب ووفاء ، لا عصي ولا مسدسات ولامال ! فالعصي تتكسر والمسدسات تتبدل في ايدي حامليها والمال يزول ويفنى ولكن الكرامـة الوطنية هي التي تخـلد والذائدون عنها هم الفائزون !

***

دمشق !

لقد كنت يوم الاثنين في ١٤ كانون الاول عام ١٩٣١ في اضرابك وصمتك ابلغ منك في صخبك وضجيجك يوم ٢٤ نيسان عام ١٩٢٨ يوم وقف ابناؤك على صناديق الاقتراع فصبوا اصواتهم للوطنيين

ايتها المدينة التي لا تذل كرامتها ولا تفنى وطنيتها . اذكري قول شوقي فيك :

جزاكم ذو الجلال بني دمشق وعز الشـرق اوله دمشق

* * *

يوم النـــــــــــصر (*)

في هذا الصباح « الاحد » تستيقظ سوريا من حدود البلقاء الى الفرات على صوت واحد يتردد في النفوس وتهمس به القلوب : الانتخابات !

في هذا الصباح تبدأ المعركة !!

وفي هذا الصباح تهلع القلوب !

اما السلاح فليس عصيا ومسدسات !.. ولكنه ثقة تمنح ، وثقة تسلب، وكرامة تصان ، وشرف يسلم

واما النصر فليس فتحا لبلاد ، ولا اغتصابا لحقوق ، وانما هو تصويت لقائمة ، وخذلان لاخرى

ايها الناخبون :

ان النصر الذي يحرز في هذا الصباح ، ليس هو للمرشحين ، ولا للنواب فيما بعد . وانما هو لكم . فانتم محرزوه وانتم العائدون براياته الى بيوتكم . فاذا عرفتم كيف تبكرون الى صناديق الاقتراع وعلمتم ان الصندوق لن يسرق اذا كان عدد المقترعين فيه اكثر من ربع الناخبين وان القانون يوجب فتحه في الساعة الرابعة بعد الظهر . — تكونون حلتم دون العبث باصواتكم ، وتكونون سددتم الطرق على اصحاب الايدي « الخفيفة » .. الذين يتمنون ان لا ياتي من عددكم اكثر من الربع حتى يبيتوا الصندوق في مخافر الشرطة و (يبيتوا) له ما اعدوه من شر وجريمة واثم .

ايها الناخبون :

لستم في حاجة الى دعايات وخطب ومظاهرات . وهتاف لفلان وتسقيط لفلان . فقد عرفتم كل شيء ، وخبرتم كل رجل ، وبلوتم كل مرشح ، في الميدان رجلان :

(*) نشرت في « القبس » بتاريخ ٢٠ كانون الاول سنة ١٩٣١

واحد يطلب ثقتكم ليبادل بها وظيفة ومرتبا واخر يريدها ليقول للاجنبي المحتل : اني باسم الامة التي ارسلتني نائبا عنها الى هذا المجلس ارفض الذل واقبل الحرية ، طلب الاستقلال وارفض العبودية

ايها الناخبون :

لقد شهدتم باعينكم هذه الاستعدادات التي تقيمها الحكومة في الشوارع والاحياء ورايتم كيف كان يوم الجمعة في الجامع الاموي ، يوما تفيض فيه ثقتكم على الذين وقفوا من القوة في مجالسهم تلك الوقفة المشرفة لكم ولهم • ورايتم يوم الجمعة ذلك الاجتماع الذاخر وسمعتم خطباء الوطنيين ، وانتم كما قلت لا تحتاجون الى دعايات — فنحن نريد اليوم ان نسمع خطبكم ، نريد ان نشهد في الساعة الرابعة قوائم المندوبين الثانويين في احيائكم ظافرة باباء وناجحة بشرف !

صوتوا ايها الناخبون للقائمة التي تثقون بها ثم اطرحوا اوراقكم في الصندوق وبعد ذلك دعوهم يبدلوا زيدا بعمرو ان استطاعوا التبديل ،وانى لهم ذلك وانتم ترفضون الباطل • وهيهات ان يسرقوا وانتم تصبون اصواتكم على قوائم الوطنيين صبة واحدة

ايها الناخبون :

ان الحق مهما حاولوا ان يسرقوه فان له رجالا يحمونه فكونوا مع الحق اياً كان فالاصوات اذا سرقت في الصناديق فان اصحاب الاصوات لن يسرقوا



النتيجـــــــة (*)

تكتب هذه المقالة في صباح الاحد الباكر ونحن لا ندري قبل كتابتها كيف تكون الانتخابات على الصناديق ، وفي اي غمرة من الظلم وسوء النية يسبح الناخبون؟ ولكننا على ثقة من ان سوء الاستعمال هو الذي يهيمن على الانتخاب ، وان الذين عينوا رؤساء للجان الانتخابية في الاحياء ، انما عينوا جميعهم من خصومنا ليوجهوا التصويت الى الناحية الحكومية الرجعية المكروهة .

ما علينا : فالنتيجة من الانتخابات انما هي الثقة . ولن يصدق احد حتى ولا المسيو بونسو نفسه ان النتيجه تكون لقائمة الحكومة ولمرشحيها ، الا اذا كانت على الصورة التي يفهمها الذين سرقوا الاصوات في الانتخابات التكميلية . اما الغاية من الانتخاب فلن تتحقق ما دامت اصوات الناخبين عرضة للتبديل من قائمة لقائمة ، وما دام الناخبون يضعون اصواتهم في صناديق لا تراها اعينهم الا ساعة وضع الورقة.

نحن نعلم ان الذين عينتموهم على صناديق الاقتراع ، واحطتموهم ببعض موظفي البندرول والبلدية والشرطة ومسدساتهم — نعم ان هؤلاء سيسرقون

ونعلم ان اصواتنا نحن الوطنيين مسروقة حتماً في هذه الانتخابات ، وفي هذه التدابير ، ولكننا اردنا ان ندخل في هذه المعركة لنفضح الذين هيأوا حربها واعدوا اسلحتها ، ولنضع على انوفهم علامة ستظل عالقة بهم وبابنائهم ما دامت في ربوع سوريا عقائد وطنية ، ما دامت في النفوس نزوات شريفة للحرية والاستقلال — علامة يقرأها كل من عرف قوة الوطنيين في سوريا ، ومقدار ثقة الامة بهم . اما هذه العلامة فهي كلمة « سارق » !...

لقد اراد الفرنسويون من الانتخابات ان يكون في سوريا مجلس نيابي ، وارادوا ان يقلبوا احتلالهم فيها الى حالة مشروعة فيعقدون معاهدة مع حكومة دستورية تتمتع

(*) نشرت في القبس بتاريخ ٢١ كانون اول سنة ١٩٣١

بثقة المجلس الذي يمثل الامة . ولكن مع من يتعاقدون اذا كان النواب بعيدين عن ثقة الامة تسرق لهم هذه الثقة سرقة وتغتصب اغتصابا ؟

اية قيمة لمجلس يضم نوابا لا تثق بهم العناصر الوطنية القوية ذات الصوت المسموع والكلمة المطاعة ؟

واية معاهدة هذه التي تعقد مع اشخاص قال الفرنسويون عنهم انهم (محترقون) لانهم خسروا ثقة الشعب بهم ؟

لا يظن احد ان المعارضة تنتهي خارج المجلس اذا لم يكن فيه المعارضون انفسهم فقد يجتمع المجلس وقد تعقد المعاهدة ولكن القوة الشعبية ستظل خارج المجلس وستظل مكتسحة . وسيظل جو دمشق يملي ارادته على النفوس فتاهب ، وعلى المجلس فيخذل ويذل . ولست ادري كيف يستطيع الفرنسويون ان يقولوا امام جمعية الامم انا عقدنا معاهدة مع الشعب السوري ؟ وهذا الشعب يصرخ ويقول : لقد عبث بحقي وحيل بيني وبين انتخاب نوابي ، وسرقت اصواتي التي منحتها للمخلصين من ابنائي ، واعطيت للذين ما نالوا يوما من الايام تأييدي ؟

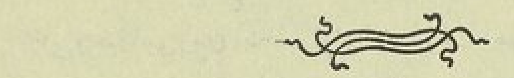
لا يهم الوطنيين ان تسرق اصواتهم وان لا يكونوا نوابا في المجلس ، فلقد برهنت هذه الانتخابات نفسها للفرنسويين وللاجانب النازلين بيننا ، على ان البلاد مع الوطنيين وعلى ان هذه الانتخابات لن تكون ناجحا مئة بالمئة الا معهم ، اذا لم يعبث باصوات الناخبين .

ان للوطنيين في هذه البلاد خصوما شرفاء كانوا يأخذون عليهم امورا في سياستهم او في امزجتهم ومع ذلك فقد وقف هؤلاء الخصوم الشرفاء في جانب رجال الكتلة الوطنية . واعلن رجل محترم منهم في جمع ضم كثيرا من الناخبين انهم يصوتون للوطنيين ولو كانوا خصومهم ما داموا قرروا دخول الانتخابات

هذا اذن مقدار ما يحمله الوطنيون من ثقة في البلاد حتى من خصومهم ، فهل يعقل ان تكون نتيجة الانتخابات للشيخ تاج ووزرائه الذين اذاقوا هذه الامة في حكمهم من العذاب

لا باس ان النتيجة الحقيقية لنا . واذا هي لم تكن معنا في الصناديق فهي لنا في نفوس الامة .

وليس البكاء على الاصوات وانما البكاء على الثقة وهيهات ان ينال مرشحو الحكومة غير البكاء !



يرحم الله الشهداء. وليعاقب القاتلين (*)

صمتا ايتها المدينة ، وخشوعا ايها الناس ، فلقد انتهت الانتخابات ، ولكن ثمنها كان غاليا وضحاياها اغلى !

***

هذه هي الكلمة التي يجب علينا ان نفتتح بها تحرير هذا العدد من « القبس » الاسود الحزين .

بل هذا افضل ما يقال في يوم لم تحص قتلاه ولم تعد جرحاه. اما نحن الصحفيين فلقد ادينا واجبنا نحو المفوض السامي ومندوبه في دمشق ونحو الفرنسويين جميعا

واذا كان العدل يوزع على الناس في هذه البلاد فيمن من يجب شكرهم ومن يجب عقابهم فان الصحافة هي وحدها التي تستقل بالشكر ، ورجال الحكومة المحلية وموظفيها هم الذين يجب ان يستقلوا بالعقاب !

سيدي المفوض السامي

لقد وثقنا بوعدك يوم قلت في كتابك الى رئيس الوزارة الذي يحمل من هذه الدماء المسفوحة امس اكبر نصيب : « وستجري في كانون الثاني انتخابات حرة » وثقنا بهذه الكلمة ودعونا الى دخول الانتخابات على شرط ان يسمح بالمراقبة في الدرجة الثانية وبتطبيق القانون في الدرجة الاولى ، فلما رفضتم هذا الحق ، قلنا لا باس ايضا فلندخل الانتخابات لان المفوض السامي وعد ان تكون حرة . ولكننا حذرناكم من هؤلاء الذين خدعوكم وقالوا لكم : ان الوطنيين دالت دولتهم ، وتلاشت قوتهم ، وانفض من حولهم الشعب . وان هذا الشعب نفسه يساق الى انتخاب مرشحي الحكومة بعصي موظفي البندرول ومسدسات الشرطة . غير ان كل ماقلناه من اخلاص ونصح سددتم دونه اذ انكم وسمعتم « نصائح » الذين تعهدوا بان تجري

(*) نشرت في القبس بتاريخ ٢٢ كانون اول سنة ١٩٣١

الانتخابات على مسؤوليتهم ، والذين قالوا : انها انتخابات لا يتناقر فيها ديكان !
ولكنها يا سيدي العميد بكل اسف وبمنتهى اللوعة ازهقت فيها ارواح غالية وسفحت في سبيلها دماء عزيزة .

لقد ادينا واجبنا وتوقعنا حدوث كل ما حدث ، وهذه مقالاتنا فراجعوها يتضح لكم اننا ما خدعناكم ولا غششناكم فنحن احرص منكم على سلامة الانتخابات على ان ينال كل مرشح حقه من ثقة الشعب او خذلانه ولكن لا راي لمن لا يطاع..

***

ايها الشهداء الذين لم يموتوا في سبيل احد غير الحرية ! ليرحمكم الله فلقد متم وانتم تنادون لتحيي الانتخابات الحرة ، ولكن قاتليكم عادوا الى بيوتهم ينسمون في سبيل نصرة الشيخ تاج وزملائه في الانتخابات

لا باس فانتم ابناء المدينة التي عزاكم شوقي في قصيدته يوم نكبتها فقال

وللحرية الحمراء باب   بكل يد مضرجة يدق



ظفر . مجد . تضحيـة ! (*)

مشت دمشق يوم الاثنين الى مقبرة الباب الصغير الكبرى ، تشيع القافلة الاولى من شهدائها ، ومشى حي بكامله الى مقبرة متواضعة نائية في سفح قاسيون ! فالمدينة في الجنوب تزحف وراء خمس جنائز والحي في الشمال يمشي وراء جنازة واحدة .

هذا هو المأتم الاكبر الذي لم تشهد دمشق مثله الا يوم فاجعتها بواضع الدستور فوزي الغزي ، ولكن مأتم الغزي كان كله حزنا وفجيعة ، واما مأتم هؤلاء فقد كان كله ظفرا ومجدا وتضحية ، ثم احتجاجا صاخبا على القتلة المجرمين الذين صوبوا مسدساتهم الى صدور الجمهور الاعزل على مرأى الكثيرين من موظفي الحكومة الذين كانوا يشهدون المعركة باعينهم من شبابيك دوائرهم المطلة على الساحة التي صبغت بالدم ، والذين اقسموا على ان القتلة قتلوا عمدا وابتغوا الجريمة من غير ان يدفعوا اليها

ستة قتلى في يوم واحد ؟! وعلى حساب التزوير في الانتخابات التي قالوا ووعدوا بانها ستجرى حرة ؟ !...

ستة قتلى ليست بالكلمة الهينة ، لم يقتلوا في ثورة ولا في معركة حربية ، وانما قتلوا في مظاهرة مشوا فيها احتجاجا على موظفين سرقوا اصوات الناخبين وعبثوا بقانون الانتخابات فيصوب الرصاص الى صدورهم ويرمون كما ترمى العصافير ؟!

اللهم اننا لا ندري كيف تكمن الجريمة في نفوس اناس اقيموا ليمنعوا الجريمة ولا نعلم كيف يطيق المفوض السامي ان يظل هؤلاء المجرمون يرتعون في هذه المدينة ويرقصون على قبور ضحاياها ؟ !

لقد كانت النتيجة ظفراً لدمشق ومجداً لها ، وتضحية جديدة تضيفها الى ضحاياها الكثيرة التي اصبحت لا تعد ، بل كان يوم الاثنين يوم شهداء جدد يضاف الى ايام ميسلون وشهداء الحرب والثورة السورية ، ولكن الثمن كان غالياً والفجيعة كانت مرة المذاق !

(*) نشرت في القبس بتاريخ ٢٣ كانون الاول سنة ١٩٣١

لسنا ندري كيف يستطيع القتلة ان تذوق عيونهم النوم وآباء ستة قتلى وامهاتهم لا يعرفون للنوم طعما ولا للدمع انقطاعا .

بل لسنا ندري كيف يطيق هؤلاء ان يجلسوا الى اهلهم ويروا اطفالهم وابو سليم المنجد «١» الطفل القتيل وامه ينظران الى بعضهما البعض ويتساءلان : اين سليم ؟ انه في القبر قتل برصاص الشرطة والبلدية ، انه ينام في التراب لا في سريره الصغير !

***

ايها الرجال الذين اقامتكم القوة على رؤوس حرابها حكاما علينا !! اذكروا ان لكم اطفالا ... وسيعيشون في هذه البلاد واذكروا ان ما تنعمون به من مرتبات انما هو يؤخذ من مال هؤلاء الذين قتلتموهم برصاص رجالكم .

اذكروا ان ثوب الوظيفة مستعار وانكم راجعون الى صفوف المعزولين مهما طالت ايامكم ، فالخلود لله وحده ، واذكروا ان كل شيء ينسى وينمحي الا الدم المسفوح ظلما فان ذكراه هي التي تدوم ما بقي للمقتولين اباء وامهات واخوان !.

وانت ايتها الحزينة ، ام ذلك الطفل القتيل . وانت ايها الاب المفجوع بطفلك. وانتم جميعا ايها الاباء والامهات الذين دفنتم امس ابناءكم . اذكروا ان الله اعطى وان الله اخذ ، واذكروا ان دمشق هي التي فجعت جميعها لا انتم وحدكم .

اجل ان دمشق بجميع من فيها — عدا الذين قتلوا وامروا بالقتل — قد مشت امس الى القبور تواسيكم وتشارككم مصابكم لان المصاب مصابها ولكنكم انتم السابقون الى المجد والشرف .

اما انت ايها الكردي الذي دفنت ابنك وحده في سفح قاسيون ، فلقد اثرت في نفسي ذكرى ما تبرح جديدة ، هي ذكرى الثكل . فاني اودعت في هذا السفح قبلك اثمن ما ملكت وما املك وما سوف املك «٢» فانا شريكك في ذكراك وخدينك في بكاك !

---

(١) الطفل الصغير الذي اصابته رصاصة في حوادث ٢٠ كانون

(٢) يشير الكاتب الى طفله الوحيد الذي فجع به قبل هذه الحوادث بشهرين تقريبا .

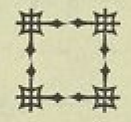
وانت ايها الطفل الذي حملتك امك بين ذراعيها الى القبر ، لقد كنت وحدك مثار اللوعة والشجن ، وكنت في كفنك الصغير ، في هذا العلم السوري الذي لم ينشر الا على نعوش الموتى ، كنت وحدك الذكرى الناطقة لدستور الجمعية التأسيسية الذي قتلوه في مهده صغيراً مثلك !

وانت يا دمشق !

لقد غدوت في هذه السنين العشر كالنخلة كلما رموك فانك تؤتين خير الاثمار .

***

ايتها البلد الصبور والمدينة الانوف لقد شبعت من التضحية فاهدأي ، ومن الظفر فاستريحي !...



الرجعيـــــــــــــة (١)

قال لي امس شاب مفكر : اسمح لي ان أهنئك على مقالاتك الاخيرة التي طاردت بها الرجعية هذه المطاردة العنيفة

— ولكن مقالاتي لا تكفي ما دام في السراي رؤوس من هذه الرجعية ، تحمي نفسها وتحمي اذنابها . واخاف ان يكون في المشيرية(٢) من يحميهم

— اذا كان صحيحا ما تقول فهناك البلاء . ولكن مهما كان من امر هؤلاء الاذناب او الفلول كما تسميهم فيجب ان تعلم ان سورية فتحت للرجعية يوم ٢٠ كانون الاول قبرا وان هذا القبر عميق جدا يسع الرؤوس والاذناب . فعلينا جميعا ان نسوق البقية المجرمة من هذه الرجعية الى هذا القبر بلا هوادة

— والفرنسيون ياسيدي ؟ ! الا ترى ان « كبارهم » يحمون كبار الرجعية وصغارها

— لنقض كما قلت لك على الرجعيين ، ونحن لناشان بعد ذلك مع الفرنسويين واقسم لك ان الاتفاق معهم سيكون سهلا ومثمرا اذا بقينا نحن واياهم في الميدان . اما ما دام في البلاد واحد من الرجعيين يشغل اصغر وظيفة ويكلمه اصغر افرنسي فان الدسائس لن تنقطع ، والاتفاق يكون مستحيلا

***

هذا حديث موجز كان تقريبا « على الماشي » ، انقله اليوم الى قراء « القبس » بما فيه من صراحة مفرطة . ولست ادري اذا كان الفرنسويون لم يؤمنوا حتى الان ان الرجعية في البلاد ماتت يوم ٢٠ كانون الاول بـل لست اعلم اذا كان المفوض السامي نفسه الذي عمل مع هؤلاء الرجعيين خمس سنين كاملات لم يؤمن بان عمل فرنسا في سورية لن يثمر الا اذا قام على مناكب الديموقراطيين الوطنيين وانه لمن

---

(١) نشرت في « القبس » بتاريخ ٣١ كانون الاول سنة ١٩٣١

(٢) المشيرية هي مقر مندوب المفوض السامي في دمشق

اعجب المجائب ان لا تعيش في فرنسا غير الديموقراطية ويموت كل ما عداها وان يكون الامر في سوريا على العكس مع كثرة الديموقراطيين فيها ووفرة الاكفاء النزهاء منهم ؟ ولا نستطيع حل هذا اللغز الذي زاده المفوض السامي تعقيدا . وهو: كيف يهضم المسيو بونسو ان يكلم هؤلاء الرجعيين ؟ الا ينفر من اخلاقهم ؟ الا « يقرف » من اساليبهم السياسية؟

لقد اصبحنا مع الفرنسيين كالجاهليين في بدء الاسلام فقد كان بعض اهل مكة يعملون اصناما من التمر يعبدونها . فاذا جاعوا اكلوها !... وكان بعضهم يصنع هذه الاصنام من الخشب فاذا رجا حاجة منها ولم تقض عمد اليها فحطمها . ثم يندم فيعيد اجزاءها المحطمة ويعبدها مرة اخرى !... افلا يشبه عمل الفرنسويين في احياء الاشخاص الذين اماتوهم في سوريا عمل اولئك في مكة ؟!

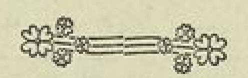
وهذا فلان ... اقاموه صنما ثم حطموه ، ثم جربوا ان يعبدوه وان يدعوا الناس الى عبادته فرفض الناس هذه العبادة ثم رجوا ان لا يعودوا جاهليين ، فاحتجوا ثم صاحوا فاديرت عليهم افواه المسدسات فتلقوها بصدورهم فجرحوا ثم ماتوا ! ...

لقد افلست ثورتنا المسلحة وستفلس كل ثورة مثلها ولكن ثورتنا السلمية الديموقراطية على الرجعيين قد بدأت الان فيجب ان تنتصر

***

رد الله غربتك يا خير الدين الزركلي عند ما تقول :

تلك الغرانيق حطمنا هياكلها   فلن نعود اليها جاهليينا



المعركة الحقيقيـة في حماة (*)

اذا كانت دمشق لم تلتذ كثيراً في ظفرها الوطني الذي سجلته يوم الاربعاء، فان نشوة الظفر في حماة كانت قوية، فملت في نفوس الناس ما تفعله لذة النصر في نفوس الجند العائدين من المعركة، ذلك لان دمشق لم تألف في معاركها الوطنية ان يكون نصيبها من الانتصار (قناعة) بالثنتين او بالثلاثة ارباع!... بل تعودت اما ان تكون منتصرة على طول الخط، او منكسرة على طول الخط

هكذا كان الفرق بين انتصار دمشق وانتصار حماة: قناعة هنا واكتساح هناك. فليهنأ الظافرون بظفرهم وليذكروا ان الذي فاز ليست هي الفكرة الوطنية فقط بل ان هناك فكرة اسمى: هي الروح الشعبية العاملة، بل هم العامة الفقراء الذين سجلوا لاول مرة في حياتهم الانتخابية، اول ظفر يرفعون به رؤوسهم امام دمشق التي تحررت قبلهم من قيود الماضي واعبائه. ففي حماة اذن ظفر كامل لان شعبها الذي عاش مئات السنين في كل شيء من حياته بقاعدة «القناعة كنز لا يفنى...» رفض هذه المرة ان يكون قنوعاً كما رفض ان يكون خنوعاً، فوقف في صباح ٣٠ اذار يطلب احد امرين: اما ان يكتسح واما يكتسح، وقد قدر له ان يظفر الظفر الكامل فكان له ما اراد وها هو الان ينعم في ظلاله فخوراً يهنيء بعضه بعضاً، لابل ان في حماة ظفراً مزدوجاً: ظفر الفكرة الوطنية التي اعلن المرشحون انهم يرشحون انفسهم عليها، وانهم انما يدخلون الانتخابات باسم الكتلة الوطنيـة، وظفر الفكرة الديمقراطية الشعبية التي لم يكتب لها النصر الا في هذا اليوم. ولكن هناك معركة ثانية بل هناك ساعة حاسمة هي التي تسمى حقيقة (ساعة النصر):

(*) نشرت في القبس بتاريخ ٥ نيسان سنة ١٩٣٢ بمناسبة الانتخابات في حماة وعدم قبول الوطنيين فيها الاتفاق مع الفرنسويين على قائمة ناقصة وقد فازت قائمة الوطنيين بالاجماع وسقطت قائمة مرشحي الحكومة بالاجماع.

هي عندما يستطيع الظافرون ان يحموا ظفرهم الذي دفعوا ثمنه سلفا في ٢٠ كانون الاول ، دما مسفوحا وارواحا غالية ، وعززوا هذا الثمن في ٣٠ اذار بتضامن شعبي جعلهم صفا واحداً يتقدمون تحت رايته الى صناديق الاقتراع فيصبون اصواتهم لقوائم الوطنيين صبة واحدة بثقة وقوة ايمان .

ان هذا التضامن الذي كفل الظفر للمنتخبين الثانويين في ٣٠ اذار هو الذي يجب ان يكفل الظفر للمرشحين الوطنيين يوم ٦ نيسان .

***

ايها الناخبون الثانويون في حماة :

اذكروا ان الناخبين الاولين الذين انتخبوكم منهم ، انما اودعوا في اعناقكم امانة غالية ، وثقة ثمينة ، وان اولئك الناخبين اذا كانوا قد ظفروا بكم مندوبين عنهم فانهم جعلوا حماية هذا الظفر في ايديكم فانتم المسؤولون وحدكم عن ضياعه والمشكورون على صيانته ، فليس المهم ان يظفر الرجل بل المهم ان يحمي ظفره .

اذكروا ايها الناخبون الاولون والمنتخبون الثانوين ، اذكروا انتم ايضاً ايها المرشحون الظافرون — اذكروا جميعاً وانتم في خلال نشوة الظفر ، اولئك الذين متعوكم بهذا اليوم وايقظوا نفوس هذا الشعب الذي لم يكن ليشعر من قبل بانه موجود ، اذكروا سيد هذه النهضة وواضع اسسها ، وباني اركانها — اذكروا الشهيد الغالي الدكتور صالح قنباز ، وتلاميذه الذين عملوا بتعاليمه من هؤلاء الشباب المتعلمين الشجعان ، الذين وقفوا وحدهم في المقدمة وتلقوا عنكم الضربات الاولى والصدمات القاسية فصبروا وصابروا وجاهدوا فكانت هذه العاقبة الطيبة التي تنعمون بها والعاقبة للمتقين .



من ٢٠ كانون الى ٢٠ كانون(*)

سواء لدينا اباحت الحكومة او السلطة والجمهورية والدستور ايضا .... الاحتفال الشعبي العام بشهداء ٢٠ كانون الاول ام لم تبح ، فان هذه الذكرى تملأ نفوس السوريين اكبارا وتغمر قلوبهم عزة واجلالا . واذا كانت دمشق في مثل هذا اليوم من العام الماضي وهي تحت وطأة الادارة الاستثنائية التي كانت في يد الجيش الافرنسي يومئذ قد استطاعت ان تشيع شهداءها الى قبورهم فتحييهم وتتبادل التعزية فيهم ، ثم لم يبح لها اليوم في ظل الدستور ان تبكي حتى على الموتى ... فما كان ذلك لينقص من قيمة الذكرى او ليقلل من شرف التضحية ، فان شهداء ٢٠ كانون الاول في دمشق وحماه وداريا واخوانهم بعد ذلك في حلب ، قافلة جديدة من قوافل الموتى التي تتابعت الى القبور في سبيل هذا الوطن الصغير ومن اجل هذه الحرية الضئيلة التي تنازعنا اياها منذ اربعة عشر عاما سياسة (تحرير الشعوب) ! .. فالذكرى مقدسة والامه التي لم يبخل رجالها وشبابها بالموت في سبيل مثلها الاعلى تعرف كيف تكرم اصحاب هذه الذكرى وتعرف كيف تحفظ تاريخ ٢٠ كانون بين الايام التي كانت وثائق في يدها على حقها في الحياة وثمنا غاليا لها تنشدها وستظل تنشدها حتى تنالها بين عدل السماء وظلم الارض .

فالذين يطلبون الغالي يدفعون الاعلى ، والذين ياخذون يعطون ، وهيهات ان تنال امة الحرية منحة من السماء او هبة من الاقوياء !

***

على اننا نتساءل في ظل هذه الذكرى الغالية وفي صباح هذا اليوم الاغر ماذا اخذنا وماذا اعطينا في خلال عام كامل ؟

« * » نشرت في القبس بتاريخ ٢٢ كانون الاول سنة ١٩٣٢ بمناسبة مرور عام على شهداء هذه الحوادث .

اعطينا القبور نصيبها الاوفى من شبابنا الناضر في دمشق وحلب وحماه واخذنا مجلسا لا نستطيع ان نذكره الا ونحن مطرقون بابصارنا الى الارض .

اعطينا الامهات ثكلا واخذنا دستوراً في اوله الرحمة وفي آخره العذاب ! واعطينا الاولاد يتما والاباء حسرة واخذنا قانون قمع الجرائم فوق هذا المجلس ومع ذلك الدستور ! ... وابدلنا بهنانو والجابري ، شاكر الشعباني ولطيف غنيمة !...

« ربحنا » العفو عن الحشاشين والحرامية والنشالين ... وخسرنا عودة الوطنيين والمجاهدين والمخلصين .

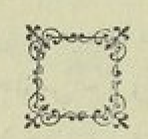
كانت الجرائد تعطل بقرار من رئيس وزارة معين وبعد تصديق المفوض السامي الفرنسوي فاصبحت تعطل اليوم بمرسوم من رئيس الجمهورية المنتخب وباسم الدستور ايضا ! ...

***

هذا بعض ما اعطينا وذاك بعض ما اخذنا ، بل هذه عملية حسابية بسيطة نستعرضها في صباح ٢٠ كانون لعل فيها عبرة وذكرى .

***

فالى الشهداء الراقدين في سفح قاسيون والباب الصغير في دمشق والى اخوانهم في حماه وحلب وداريا ، تحية عطرة نبعث بها الى ارواحهم ونحن لا نملك غيرها وهذا جهد المقل .



خـــالد الخطيب (*)

خالد الخطيب مريض : خالد الخطيب ينازع ! ... واخيراً !. لقد مات خالد الخطيب.

هذه هي الاخبار الثلاثة التي مرت علينا مر السحاب في خلال ثمان واربعين ساعة ! فما نكاد نتحقق خبر المرض حتى يفاجئنا خبر الاحتضار ثم تأتي قاصمة الظهور فاذا خالد صريع بين اظفارها ، واذا بالمحكوم عليه بالموت ، المنفي النازح ، يطلبون له الاذن ليدفن في ثرى وطنه وقد كان محرما عليه امس ان يدنو من حدود هذا الوطن بغير عفو وبغير جواز ... ولكنه اليوم يدخل هذه الحدود لا في ظل الدستور ولا في حماية قانون العفو وانما يدخلها في حماية الموت وفي ظل المنية. يدخل وطنه لا بين التصفيق والهتاف بل بين البكاء والنواح فيالتعساء نحن نحرم الحياة على فريق من رجالنا وشبابنا المخلصين في بلادهم ثم تباح لهم بعد الموت ليتخذوا منها قبوراً واجداثا !...

***

والان!! لقد مات الشاب الذي قضى انضر ايام شبابه في سجن ارواد وفي كهوفها المظلمة ، قضاها ثمانية عشر شهرا مرحا طروبا لم يتبرم بالسجن ولا شكا من النفي ، بل شهد الله انه كان اكثرنا جلدا واصبرنا على عذاب السجن وشقائه. كان اكثر الناس نشاطاً ، واقوامهم صحة وعافية ، واغزرهم مروءة في خدمة اخوانه ، ثم التحق بالثورة فقضى في ميادينها ما قضى بين الغوطة وجبل الدروز والازرق فحكم عليه بالاعدام في جملة من حكم في عام ١٩٢٥ ، ومنذ ذلك اليوم وخالد الخطيب لا تجمد عزيمته ولا يخفت صوته بل كانت حياته جهاداً وعملا حتى لقي وجه ربه في عمان التي اتخذها مقاما منذ اربع سنين واذا به اليوم يموت في ريعان

(*) نشرت في القبس بتاريخ ٩ كانون الثاني سنة ١٩٣٣

شبابه ونضارة صباه واذا بذلك الوجه الصبوح المشرق وبتلك القامة الطويلة وذلك الجسم القوي وهاتيك الطلعة المؤنسة تصبح جميعها ملكا للتراب !

من كان يظن ان خالد الخطيب الذي كان يضرب المثل بقوة جسمه وصحته يصاب « بالكريب » فلا ينجو منه ؟ ولكنه الاجل الذي لاحيلة في تأخيره والقضاء الذي لامرد لحكمه والموت الذي لايفرق بين القوي والضعيف .

ان المصيبة في خالد الخطيب اجل من ان يعزى بها ، بل ان الفاجعة فيه فاجعة الشباب الوطني، والنكبة فيه انما هي نكبة الرجال العاملين . فوالهف نفسي عليك ايها الصديق الاعز . ووالوعتاه على امك التي لاتنفع في حرقتها عليك كلمات التعزية والتصبر وكل ما في اللغة من كلام ، فلتبك عليك ماشاءلها الحزن وليبك اخوانك بكل ما عندهم من دموع فعلى مثلك يبكى ويناح

***

يا صديق الصبا ورفيق السجن والمنفى !

لقد ارسلت الي تعزيني في العام الماضي في طفل احتسبته فمن يعزيني اليوم فيك انت ؟

ثمانية عشر شهرا في جزيرة ارواد ، في سجن واحد وفي غرفة واحدة ، قضيناها معا ورفيقنا الثالث الاستاذ سعيد حيدر رد الله غربته ، وكنت انت بيننا العزاء والسلوى بل كنت في نفسك المرحة ومزاجك الطروب تنسينا آلام السجن ومرارة النفي . اما اليوم فمن ينسينا مرارة فقدك والام الفاجعة بك ؟

لقد حرمت عليك السياسة القاسية دخول دمشق التي احببتها فاذا بك تمر بها لا للاقامة في ربوعها ومغانيها المحببة الى نفسك بل في طريقك الى القبر محمولا على الاعناق باستقبال حزين باكي وقد دخلتها منذ عشر سنين محمولا على الاكف فيالله ما اعظم الفرق بين استقبال اليوم واستقبال الامس وما امر الذكرى بين العودة من منفى عمان ومنفى ارواد ؟؟

احكم بالاعدام ونفي وتشريد وبعد عن الاهل والوطن ، ثم موت في الغربة

وثكل للام وترمل للزوجة ويتم لهذه الطفلة التي خلفتها من بعدك وحرقة للاخوة والاخوات ومرارة لا تزول لاخوانك واصدقاءك !

***

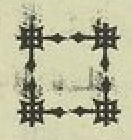
ايها الصديق الغالي

اني احاول ان اكتب فيك كلمة اخفف بها من لوعتي عليك ولكني لا اعلم كيف ابدأ جملتي وكيف اختمها فلقد حسبت ان اكتب في تهنئتك بالعودة الى الوطن ولم احسب انني ساكتب يوما في موتك وفي رثائك ؟ بل لقد توقعت كل شيء فيك يوم التحقت بالثورة، توقعت ان تموت برصاصة او بشظية من قنبلة واذا بك تموت من اصابة (كريب) وانت الطبيب والشاب القوي !

وا لهف نفسي عليك ايها المخلص في عقيدتك الشجاع في رأيك والطموح في آمالك ومستقبلك ، افي خلال بضعة ايام تفاجئك المنية المفجعة محكوما عليك بالاعدام ممنوعا من دخول بلادك غريبا عن اهلك واخوانك .

لا بأس عليك بعد الموت امت في عرينك ام قضيت في غيره فقد كانت بلاد العرب وطنك وقبلة آمالك ويرحم الله شوقي القائل :

يموت في الغيل او في غيره الاسد　　كل البلاد وساد حين يتسد



حاضـــــــــــر

كتبت هذه المقالة في ١١ حزيران سنة ١٩٣٠ بمناسبة ذكرى افتتاح الجمعية التأسيسية. وقد كانت الكتلة الوطنية قررت اقامة الاحتفال في بيت فخري بك البارودي، ولما جاءت قوة الشرطة وصدت الناس عن دخول المنزل ذهبوا الى منزل جميل بك مردم بك في الصالحية واقيمت الحفلة

هذه الامة ايام يجب ان تدعى « الايام الكبرى » هي أشبه بالمعارك الفاصلة في التاريخ لان الحق فيها قد وضح وضوحاً يحول بين الباطل ودعاته ان يشوهوا الحق غداة ينادي به اصحابه ويقولون بملء افواههم : هذا حقنا لا نريد عنه بديلا . اما ان نحمل على انكاره او التنازل عنه او الاعتراف لأحد بحق في هذا الوطن فلا ، والف لا .

هكذا يوم ١١ حزيران : اعلان للحق وتثبيت له ، واعتصام به ، وشيء آخر قد يكون اجل من الاعلان هو الاستعداد للدفاع عنه . واذا لم يتح لهذه الامة المغلوبة على امرها ان تأخذ حقها كما تريد وكما تؤخذ حقوق الامم من ايدي الاقوياء ، فحسب الضعفاء ان تكون لهم ايام معلومة يتنادون فيها من هنا وهناك في تأييد حقهم ورفض باطل غيرهم . اما ان لا ينالوا هذا الحق فوراً وان لا يترل الذين سلبوه عند ارادة اصحابه ، فليس اغتصاب حريات الامم ومصادرة حقوقها بفقدان هذه الحقوق وتلك الحريات شيئاً من قوتها الشرعية بطول الزمن وتمادم

العهد لان قاعدة « وضع اليد » في القوانين الحقوقية لا تشبه وضع اليد في قضايا الامم السياسية . فالاولى تكون على ارض او مزرعة اما الثانية فعلى اوطان وشعوب . وهيهات ان تنام الشعوب على وطن مسلوب كما ينام هذا المزارع على دونم من الارض سلبه اياه جاره وادعى ملكيته بقاعدة « وضع اليد » او طلب شراءه بالشفعة !! ... فسورية لا تفقد حقها في وطنها واستقلالها الكامل فيه بمرور عشر سنين ، وفرنسا لا تملك هذا الوطن بحق الشفعة لانه اذا جاز للاوطان ان تباع بين الدول وان تدعى بها الشفعة فاهل سورية احق من فرنسا بادعاء الشفعة في وطنهم !

قالوا ان السوريين راضون عن هذا الدستور قانعون به ؟ ! ولست انا وانت الذين قالوا هذا القول بل صحف فرنسا ورجال فرنسا . اذن فلتسمع هذه الصحف وليفهم هؤلاء الرجال ان السوريين لن يرضوا عن دستور ممسوخ وحرية مغلولة وبلاد ممزقة ، وان يوم ١١ حزيران الصامت قبل الظهر كما اراد الوطنيون — والصاخب بعد الظهر كما ارادت الحكومة — ان هذا اليوم هو استفتاء واضح على هذا الدستور وعلى مقدار « رضاء » الامة عنه ! ...

وقالوا ان الوطنيين فقدوا قوتهم بعد ان حلت الجمعية التأسيسية ، وانهم اعجز من ان يحملوا عشرة دكاكين على الاغلاق، وانهم اذا خاضوا معركة انتخابية فلن يفوزوا بربع اصوات الناخبين

قد يكون هذا القول صحيحا اذ يفقد الانسان قوته اذا جرد من وظيفة او منصب ، ولكن الوطنيين — يا اعداء الوطنية ويا انصار الاستعباد ! — ليسوا وزراء حتى اذا زالت عنهم الوزارة يقبعون في بيوتهم ، يتملقون الناس ويتواضعون لهم ويفقدون قوتهم في حمل عشرة دكاكين على الاغلاق . فالوطنيون نوابا كانوا او غير نواب لم يستمدوا قوتهم من غير الشعب ، فمن صفوفه نبتوا وبثقته صاروا نوابا ، وبقوته هو يحملونه على كل شيء . فقوة الوطنيين غير مقيدة بصفة او زمن لانهم استمدوها من حيث فقدها غيرهم ، وفازوا بالنيابة عن الامة من حيث سقط فيها سواهم . واذا دعا الوطنيون الناس الى الاحتجاج والاضراب فلا يدعونهم تاييدا لاشخاصهم او توطيدا لنفوذهم فقد ضحوا باشخاصهم واموالهم ومصالحهم في سبيله

الامة وضحوا بالنفوذ الذي يتهالك عليه الآخرون . ضحوا بالنيابة وبالمجلس الذي كان اجماعه في قبضتهم والذي لو قبلوا ما عرض عليهم فيه لكانوا اليوم رؤساء جمهورية ووزراء ونوابا ، يحكمون البلاد حكما حقيقيا لا اجراء ولا مستخدمين . ضحوا بهذا جميعه لانهم يعملون لغرض اجل من النفوذ واسمى من الحكم ، يعملون لتخليص وطن من عذاب وانقاذ امة من خراب . وها هم الان يقولون للامة: نحن هنا فاين انت ؟! فقالت بلسان ١١ حزيران : حاضر !! ولكن قادة جيوش الاطفائية وضباط «بطاريات» المضخات وخراطيم الماء ... قالوا للناس : لا تضربوا ولا تغلقوا حوانيتكم ، فاجابوهم لا . سوف نضرب وسوف نغلق فافعلوا ما انتم فاعلون !!

قالوا لفخري البارودي : ان الحفلة ممنوعة لانها مخالفة لقانون الاجتماعات العامة فقال لهم : الحفلة خاصة وفي بيت خاص ، ولا دخل فيها لقانون الاجتماعات العامة لاننا لا نقيمها في حديقة ولا في ساحة . وان الحفلة ستقام احببتم ام كرهتم !ولكن جوابهم على ذلك كان استهزاء وابتساما ، فحشدوا قوتهم وحاصروا بيت الامة وضربوا من حول المنطقة الواسعه التي يقع فيها هذا البيت الكريم نطاقاً من الشرطة واقاموا في الشوارع المؤدية له دبابات ... عفواً بل مضخات تقذف الماء على الناس ... وراحوا يهاجمون الجماهير بها ويصدونها عن الوصول الى الدار ولكن فخري البارودي كان صادقاً عندما قال لمفوضي الشرطة ان الحفلة ستقام فقد اقيمت تحت انف الحكومة وبين سمعها وبصرها ، وفي بيت كبير يقوم في اكبر شارع وعلى الجادة العمومية . واذن فالوطنيون اذا قالوا فعلوا واذا عاهدوا اوفوا ، فلقد كان موقفهم يوم ١١ حزيران كما كان ايام ٢٤ نيسان و١١ آب ، وكان موقف الامة منهم موقف الجيش الشجاع من قواده المخلصين . يقول القواد : ايها الجيش المعركة غداً والوطن في خطر . فيكون جواب الجيش مختصراً جداً ، بل كلمة واحدة ولكن فيها كل شيء هي : حاضر !

هكذا كان يوم ١١ حزيران يوماً من ايام الامة الكبرى ،وستظل الايام الباقية كما يريد الوطنيون لان ارادتهم من ارادة الله وصوتهم من صوت الوطن .

خمسة ايام في خمس ليال (*)

« ايها الناس ! ان كنتم تعبدون محمدا فان محمدا قد مات ، وان كنتم تعبدون الله فان الله حي لا يموت »

ابو بكر الصديق

« ان لقريش صقرين : عبد الرحمن بن محمد الاموي ، وفيصل ابن الحسين الهاشمي »

مؤرخ عربي حديث

« ايها الاخوان ! انكم تريدون استقلالا ، وانا اريده قبلكم ، لقد عملت له جنديا في ساحة الحرب ، وسياسيا في مؤتمر السلم ، ولكن يجب ان تعلموا : ان الاستقلال يؤخذ ولا يعطى »

فيصل ابن الحسين

في النادي العربي بدمشق عام ١٩١٩

هذه خمسة ايام في خمس ليال ، تنقضي على صوت النعي يصيح في جوانب الدنيا : ايها العرب التعساء ، لقد مات فيصل !

وهذه دمشق — يا للوعة دمشق ! رعية فيصل الاولى ودار ملكه المحطم ، وقاعة عرشه الضائع ، تشرق بالدمع وتغص بالالم مرة ثانية ، فقد خسرت في ميسلون العرش والاستقلال ، وها هي اليوم تخسر في « برن » صاحب العرش ورمز الاستقلال ! نكبة مزدوجة عليك يا دمشق ، تفقدين في خلال ثلاثة عشر عاما التاج ، وصاحب التاج !

***

(*) نشرت في « النهار » في ١٥ ايلول ١٩٣٣ بعد موت الملك فيصل بخمسة ايام ثم نقلت الى « القبس » بعد صدورها عقيب التعطيل ونشرت فيها بتاريخ ٣٠ ايلول سنة ١٩٣٣

خمسة ايام في خمس ليال تنام دمشق وتستيقظ واسم فيصل الميت ملء الافواه والاسماع والعيون ، اما الامهات اللواتي سمين اطفالهن في عام ١٩٢٠ بهذا الاسم المحبب الغالي « فيصل » فقد كان نشيجهن ملء الصدور . فوارحمة لكم ايها الاطفال « الفياصل » فقد مات الذي حملتم اسمه فخورين في احضان امهاتكم ، وطوى الردى من كنتم تدلون به على اترابكم في حجرات المدارس طوال ثلاثة عشر عاما كاملات !

اجل ! لقد مات فيصل الكبير ايها « الفياصل » الصغار ، فقولوا لامهاتكم ان يبدلن اسماءكم فقد ذهب الذي سميتم من اجله وانطوى من تيمنتم باسمه !

***

من مات ايها الناس ؟

وجوم واطراق ، ونظرات حائرات ، وهمسات خفيات ، لم تكن الا صدى لنشيج الصدور : أفيصل يموت ؟ ان الامة العربية لا تريد ان يموت املها المرجى وامنيتها الغالية ، فكيف تريد ان تصدق هذا النبأ القاصم للظهور !

خمسة ايام في خمس ليال ، اقسم انني ما ذكرت لها شبيها في تاريخ الامة العربية في خلال الف وثلاثمائة وخمسين سنة ، الا يوم مات النبي ! فكيف يصدق المسلمون وهم بعد حديثو عهد في الاسلام والاستقلال ، والتحرر من سلطة الجاهلية الوثنية ، كيف يصدقون ان من حمل لهم الاستقلال والاسلام والتحرر يموت ؟! بل من كان يجرأ ان يقول : ان محمدا قد مات . وهذا عمر ابن الخطاب اقوى رجل في قريش اعصابا وايمانا بالله وبالموت يقف في مسجد المدينة واضعا يده على قبضة سيفه يقول صاخبا حائرا مهددا : من قال ان محمدا قد مات علوت راسه بهذا السيف .

اجل ! هذه الايام كانت في دمشق اشبه بتلك في المدينة . من كان يصدق ان محمداً يموت ؟ حتى عمر ابن الخطاب لم يصدق ، بل هدد بالقتل من يصدق او يفوه بالموت ! ولكن هناك رجلا انقذ الناس من حيرتهم ، واخرجهم من شكهم وذهولهم فقد كان اقوى اعصابا منهم جميعا حتى من عمر ابن الخطاب ، ذلك الرجل هو ابو بكر ، فقد تخطى الناس ولم يبال بتهديد ولا وعيد ، وصعد المنبر ثم قال : « وما

محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم » حتى اذا سكن اضطرام النفوس الثائرة الملتاعة ، وجلس الناس هادئين في المسجد يستمعون الى اقرب المقربين الى النبي ، فاجأهم بخبر الموت في كلمته المأثورة الخالدة : « ايها الناس من كان يعبد محمداً فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لايموت » وهكذا صدق الناس ان النبي قد مات ، وانه بشر يجري عليه قضاء الله وقدره .

أترى دمشق وبيروت وبغداد ومكة والقدس وعمان كانت اقل ذهولا وحيرة يوم موت فيصل من المدينة يوم موت النبي ؟

هاتوا لي حادثة واحدة في تاريخ الامة العربية منذ اربعة عشر قرناً تشبه حادثة موت فيصل ؟ اني مسلم عربي اعرف تاريخ العرب والاسلام ، فوالله ماوجمت الامة العربية هذا الوجوم ولا ذهلت مثل هـذا الذهول ، ولا قصم ظهرها نبأ مثل هذا النبأ الا مرتين في حياتها ، يوم مات النبي ويوم مات فيصل ! ولكن انا لا اجرأ ان اقول : من كان يعبد فيصـلا فان فيصلا قد مات . فليقلها غيري ومن هو اكبر مني شأناً ومقاما .

***

مات فيصل ؟ !!!

هذا كل ما يستطيع قوله ضعيف مثلي ، مفجوع بحرية وطنه ، منكوب باستقلال بلاده ، محترق على تخاذل رجاله وتفرق شبابه ، وتنابذ زعمائه .

هذا كل ما استطيع قوله : لقد مات فيصل ، مات ابن القضية العربيـة البكر ، مات ابن الثورة الاولى والاخيرة ... مات الوطني المخلص ، مات القائد والمحرر ، مات رئيس حزب الاستقلال العربي من عدن الى خليج فارس . واخيرا ؟؟... مات امبراطور العرب وماتت الامبراطورية العربية ، واخاف ان اقول : ماتت الوحدة العربية التي كانت تسمو فوق الاقاليم والاديان والطوائف ؛ وحتى فوق الانتدابات !

نعم ! مات هؤلاء جميعا . وهذا ابو غازي جثة محمولة من برن الى بغداد !

أترى هل علم شوقي في قبره يوم ارسل عبدالوهاب يغني في قصر فيصل قصيدته المحبوبة :

يا شراعا وراء دجلة يجري   في دموعي تجنبتك العوادي

أترى علم شوقي ان هذا الشراع لم يعد يجري لا في دجلة ولا في بردى وان الموت القاسي حطمه وطواه ؟!

اجثة محمولة يا ابا غازي تعود الى بغداد وقد ودعتك بالامس طائرا الى جنيف لا مستشفيا في جبال سويسرا ، ولا متنزها على ضفاف البحيرة ... ولا مصطافا تنعم بالمياه المعدنية في فيشي وكار لسباد ، بل ودعتك وانت متعب قلق على العراق وعلى ما « بيتوا » للعراق من شر في دار عصبة الامم فحملت همك في اعماق نفسك الحزينة وطرت ثلاثين ساعة وانت مريض مضطرب ، لتدافع عن العراق واهل العراق وتبسط ظلامة الضعيف المعتدى عليه امام القوي الذى حرك الفتنة وراح يستغلها باسم الاقليات « المذبوحة » والاكثرية « الهمجية » المتعصبة !..

اجثة محمولة يا ابا غازى تعود الى العراق الذي حررته من الاستعمار ، وقد دخلته وهو تابع لحاكم الهند ومستعمرة التاج البريطاني فتركته عزيز الجانب مستقلا يحتل كرسيه في عصبة الامم الى جانب الدول المستقلة !

هل حررت العراق ثم رضيت منه بقبر تدفن في ترابه المستقل بعد ان تحملت مضض الاستعمار والانتداب ، وآلام المعاهدات واختلاف الاحزاب وفتن الاكراد والاشوريين ، طوال اثني عشر عاما ؟

الآن تموت يا ابا غازي بعد ان فهمك العراقيون واحبوك وقدروا جهودك واعترفوا باخلاصك لوطنهم الصغير ولوطن العرب الكبير ، وبعد ان انكر فريق منا ومنهم تلك الجهود وذاك الاخلاص ، واتهموك بانك صنيعة الانكليز ومؤيد انتدابهم على العراق ، فما كان مثلك علم الله الا صنيعة نفسه وقومه ، وامل العرب المرجى ، ورمز استقلالهم وامانيهم .

لقد عشت في دمشق نحوا من سنتين فما نعمت بيوم هانيء ، بل كنت تعاني من مطامع الاستعمار ودسائس الرجال واختلاف الاحزاب ما ضحيت من اجله بعرشك . والملوك قد عودونا ان يضحوا باستقلال بلادهم وشعوبهم في سبيل

عروشهم . اما انت فوالله لقد ضحيت بنفسك وعرشك ، في سبيل سوريا وهناء سوريا و كرامتها ثم خرجت من بيتنا وقد جرحت القوة كبرياءك ومستك في عزة نفسك ، فودعت دمشق في منتصف الليل ، والحريق يضيء لهيبه الجو ، فتجلت امامك ماذن الاموي وقباب صلاح الدين حزينة مذلولة ، فخاطبتها في سكون الليل : الى الملتقى يا دمشق في مكة او في بغداد .

***

اي صقر قريش !

لقد صدقت وعدك لدمشق وثارت لكبريائك المجروحة فطلعت عليها من بغداد بعرش وتاج واستقلال ، وحققت كلمتك الخالدة التي لم تفهمها دمشق — حققت تلك الكلمة على ضفاف دجلة والاستقلال يؤخذ ولا يعطى ، فاخذت للعراق استقلاله اخذاً وحملت تاجه بعد ان اديت الثمن غالياً . فما اشبهك بالاموي الطريد : خسر الملك في الشام فعوض خيراً منه في الاندلس

ويأبى الله يا ابا غازي ان تطوى رايات بني هاشم في دمشق كما طويت رايات بني امية ، وتأبى نفسك الكبيرة ان يستقل الاموي بنشر رايات قومه مرة ثانية في الاندلس ، ولا تنشرها انت مرة اخرى في بغداد .

اجل لقد طويت رايات بني هاشم في الشام وفي مكة ، ولكنك استطعت ان تنشرها مرة ثانية وان ترغم المؤرخ العربي ان يضيف الى تاريخ العرب والاسلام صقراً آخر بجانب الصقر الاموي بعد الف سنة ؟! وابيت ان تموت الا ان تبدل وجه التاريخ وان يقرأ بعدك « الفياصل » الصغار في مدارسهم هذه الجملة الخالدة : ان لقريش صقرين اثنين : عبد الرحمن ابن محمد الاموي وفيصل ابن الحسين الهاشمي



مات جريح العراق بلا انين

الخطاب الذي القاه صاحب «الأبس» في بغداد في حفلة التأبين الكبرى التي اقيمت للمغفور له الملك فيصل يوم ٢٤ تشرين الاول سنة ١٩٣٣ ونشر في جريدة «الاخاء الوطني» البغدادية بتاريخ ٢٦ تشرين اول ١٩٣٤

مولاي صاحب الجلالة ، سادتي واخواني!

قد قضى الله ان يؤلفنا الجرح   وان نلتقي على اشجانه
كلما ان بالعراق جريح   لمس الشرق جنبه في عمانه

***

ليت شوقي ظل حيا ليرى بعينيه اي جرح يؤلفنا اليوم واية اشجان نلتقي عليها . انه جرح في القلب واشجان تحز في الصميم ! فلقد مات جريح العراق بلا انين ، ولكنه ملأ الدنيا من بعده انينا والعيون دموعا والنفوس حسرات .

ليت شوقي توهب له الحياة ليرى ذلك الجرح القديم كيف اودى بصاحبه بعد ان حمله في نفسه الكبيرة نيفا وثلاثة عشر عاما لايشكو ولا يتألم ، يداويه بالصبر ويخفي آثاره وراء ابتسامة كلها تجلد امام العدو ، وامل وتعزية امام الصديق .

اجل ! ليت امير الشعراء يبعث مرة ثانية ليرى كيف الفنا الجرح في حياة الجريح ، وكيف يجمعنا اليوم موته من الشام الى القدس ومن عمان الى لبنان واللاذقية ومن جبل عامل الى السويداء على مقربة من قبره وفي ظل روحه المنيرة علينا وفي الوطن الذي مات وهو يعمل من اجل كرامته وفي سبيل الحلم الضخم حلم الدولة العربية الكبرى

لم يكن الجرح وحده هو الذي يؤلفنا بل كان الثأر للجرح والامل بالشفاء والعقيدة والفكرة مجتمعة في فيصل ،هذه كلها كانت تجمعنا . اما اليوم فقد مات فيصل ولكن الجرح والثأر والعقيدة والفكرة جميعها باقية لن تموت .

فاللهم لاتجعل يوم فيصل كيوم الردة ، وان جعلته فاجعل خلفاء فيصل كخلفاء محمد وهبهم القوة يضربون الردة في وجهها حتى يقضوا عليها كما قضى عليها ابو بكر وخالد بن الوليد .

***

ايها السادة :

الجود يفقر والاقدام قتال !

هذه كلمات سمعتها من المغفور له شيخ بني هاشم الملك حسين ، سمعتها من فمه في معان عام ٩٢٣ فنسيتها حتى كان يوم من شهر حزيران الماضي في عمان وقد وقفنا في المطار نرقب طيارة الفقيد العظيم تحمل على متنها آمال امة ورجاء وطن . وكانت العاصفة في ذلك اليوم مخيفة مرعبة حتى اذا هبطت الطيارة بعد كفاح شديدورأينا تلك القامة العالية تطل علينا وذلك الوجه الضاحك يشرق على الجموع ، التفت الي صديق يقول : اطيار مغامر ام ملك يحرص على الحياة ؟ فذكرت كلمات الملك الكبير : الجود يفقر والاقدام قتال ! وعدت الى عمان فالتقيت بالنائب العراقي المحترم حامد باشا الوادي ، وابدى كلانا مخاوفه لصاحبه اذا نزل مكروه بحياة ابي الغازي فاذا بهذه المخاوف واحسرتاه تتحقق ، واذا بحامد الوادي يذكرني في دمشق بحديثنا في عمان فلقد نزل المكروه وحم القضاء .

***

لقد اقدم فيصل ، ثم جاد باثمن ما ملك وملكنا ونملك وسوف نملك . جاد بنفسه جاد بحياته حتى اصبحنا من بعده فقراء

لقد شبهوا فيصل بالجندي في قلب المعركة حتى اذا مات قالوا مات الملك الشهيد. ولكن لماذا لا يقولون مات الجندي الفدائي شهيدا يقتحم الموت ويرمي بنفسه عليه ؟ ان الجندى في قلب المعركة مهما كان شجاعا ومغامرا فقد لا يقتل اذا انتهت

المعركة ولم يصب برصاصة . ولكن فيصل ايها السادة دخل المعركة لا يحميه جدار ولا يظلله شيء ، حاسر الرأس والجسم تحت وابل من النار . فكيف تريدون ان لا يقتل ؟ ! انه كان مريضا وهو يعلم انه مريض والاطباء يصارحونه كل يوم بان الاجهاد يؤذيه والعمل يقضي عليه ولكنه لم يكن ليبالي بالنتيجة .

اسألوا رجال البلاط كيف قضى ايامه بعد عودته من اوربا حينما نشبت الفتنة المشؤومة ؟ اسألوهم كم ساعة كان ينام وكم ساعة كان يعمل ؟ حتى اذا قضى على الشر وعاد الى اوربا قالوا انه ذهب للاستشفاء ، وما علموا انه ذهب ليعمل ويجاهد ، يحمل جراحا جديدة بعد ان نكأ الجرح القديم فتوالت الجراح على الجراح فمات مغمورا بنزيفها وبقينا نحن نغص بالآمها . فيا لك من جندي شجاع هزأ بالموت ، وجريح مات بلا انين ، وشهيد قضى بلا احتضار !

***

ايها السادة :

لقد انتهى الندب واتينا اليكم لنعلن واياكم خاتمة البكاء . وجئنا لنسألكم عن الفكرة والعقيدة والثأر والارث اهذه باقية لن تموت ؟!

اما الفكرة والعقيدة والثأر فنحن واياكم مسؤولون عنها ، شركاء في حملها . نعاهدكم الله على قبر فيصل وامام خليفة فيصل ، باننا سندخلها في طعامنا وشرابنا ورقادنا ، لن نعمل الا من اجلها ولن نقبل عذرا لمتخلف عن العمل المستمر في سبيلها مهما كانت الظروف والاسباب ، وسنكافح الردة وسنضرب في وجوه المرتدين حتى يفيئوا الى امر الله .

اما الارث الذي خلفه فيصل فهو في ذمتكم يا خليفة فيصل ويا وزراء فيصل ورفقاءه في ثورته وحربه وسلمه وسياسته . انه ارث العرب من بعده ، انه ارث سوريا والعراق معا ، ارث اولئك الشهداء الذين ماتوا على ضفاف دجلة والفرات وميسلون والغوطة والجبل ، ارث المجاهدين في الصحراء المقيمين في الازرق ووادي السرحان الصابرين على الجوع والظمأ ، ارث المنفيين النازحين المشردين في بلاد الله ، ارث الذين تضيق بهم السجون في الشام وفلسطين .

يا خليفة فيصل ويا وزراء فيصل ويا رجال العراق ويا شباب العراق .

لقد ترك لكم ابو الغازي ميراثا ضخما انتم اكفاء لحمله قادرون على حمايته ، فهو وديعة الامة العربية في ذمتكم تهتف به في كل صباح ومساء . اما سوريا فانها تتوجه بقلوبها اليكم من خلال رمال الصحراء تناشدكم صلة الرحم والقومية والالم المشترك وتستحلفكم بروح فيصل ان تعتبروها جزءاً من العراق فهي تعتبر العراق وطنها وملجأها ومفزعها .

لقد قالوا لنا في جرائدهم الاستعمارية يوم هتفنا بوحدة القطرين ، ويوم هللنا لدخول العراق في عصبة الامم . قالوا لنا : مالكم وللعراق تتغنون به وتعتزون بحريته وبينكم وبينه الفواصل السياسية والحواجز الطبيعية . فما اشبهكم بالقرعاء تفتخر بشعر جارتها ؟... قلنا لهم هونوا عليكم : ان شعر العراق شعرنا ورأس العراق رأسنا وعرش العراق عرشنا ومليك العراق مليكنا ، واستقلال العراق استقلالنا فلنا نصيب من حرية العراق احببتم ام كرهتم وللعراق نصيب من استعبادنا شئتم ام ابيتم ، اما الفواصل السياسية فقد أثرت في جوازات السفر فقط . واما الحواجز الطبيعية فقد ذللناها على ظهور الاباعر ، قبل ان تكون السيارات والطيارات . فقولوا هذا لغيرنا ، قولوه للذين لا تجمعهم القومية واللغة والالم المشترك . اما ان تقولوا ذلك لأهل الشام والعراق فانتم تتجاهلون تاريخ الف وثلاثمائة وخمسين عاما في سبيل عشر سنين استطعتم في خلالها ان تلعبوا على الالفاظ وان تسموا هؤلاء عراقيين واولئك سوريين ، وان تطلبوا منهما معاً جوازات على الحدود

ثم قالوا لنا : ان كان وضع العراق يعجبكم فما عليكم الا التروح اليه . فقلنا لهم نحن لا نذهب الى العراق ولكننا سنأتي بالعراق الى الشام

لقد شمتوا بيوم فيصل . فقالوا : ان حلم الوحدة قد تلاشى وبناء الأمبراطورية العربية قد انهار . فقد مات الرجل الذي لو عاش عشر سنين فقط لاستطاع ان يجعل من سوريا والعراق دولة واحدة تحت عرش واحد وتاج واحد . فقلنا لهم ايضا لئن مات فيصل صاحب الفكرة فقد اورثها من بعده خليفته ووارث عرشه في العراق فياصل وفي الشام غزاة .

هذا بعض ما قالوه لنا ايها السادة ويقولونه لنا في كل مناسبة . اما اليوم فيجب ان نقول لهم نحن قبل ان يقولوا هم شيئا جديدا

نريد ان نقول لهم : ان العراق ليس مستعدا ان يموت خنقا في الصحراء وان سوريا ليست مستعدة ان تموت غرقا في البحر .

ايها العراقيون :

ان مستقبلكم على البحر وعلى قمم الجبال وفي ظلال الصفصاف والثلج ، اما نحن فمستقبلنا في الصحراء وفي قلب النخل وعلى ضفاف دجلة ، فقربوا صحرائكم ونخيلكم من بحرنا وغوطتنا نجعلها دولة واحدة وشعباً واحداً في ظل عرش واحد.

هذه ايدينا نمدها اليكم معاهدين وللخليفة فيصل بالبيعة مجددين وعلى قبر ابي الغازي مقسمين .



رحم الله الكرامة في عمان (*)

في الاسبوع الذي تحتفل فيه الامة العربية في الشام والعراق وفلسطين ومصر ولبنان، بذكرى مرور العام الاول على فاجعتها الكبرى بفيصل الوطني والقائد والملك، والذي تقام فيه مآتم بني هاشم في طول البلاد وعرضها وتنكس رايات بيت الحسين على فقيد بيت النبوة الذي لا يعوض. في هذا الاسبوع الحزين التاعس، تقام في ناحية اخرى من نواحي هذا الوطن العربي المجاهد مآتم ذليلة للحرية والكرامة في ظل رجل من بني هاشم وفي حماية امير من امرائهم ويطارد فيها كل مخلص حر تأبى عليه مروءته ان يؤمن برسالة الاستعمار : في عمان وفي ظل صاحب السمو الامير عبدالله امير شرق الاردن تنتهك حرمة الحرية ويستباح حمى القانون وفي حكومة على رأسها استاذ من كبار اساتذة القانون هو ابراهيم بك هاشم رئيس محكمة الجنايات في دمشق ومدرس قانون الجزاء في معهد الحقوق العربي سابقا :

نعم ! في هذا الاسبوع المملوء بذكرى المجد والحرية وفيصل وبني هاشم، تتلفت دمشق عاصمة الهاشمي الشهيد، الى بقعة عزيزة اقتطعت من مهجة هذا الوطن المجزأ فترمق من خلال هذه الذكريات اشباح الاضطهاد والعسف، وتلمح البقية الباقية من احرار الاردن بين مصفد بالاغلال يساق الى السجن، وبين مطارد تعدله التهم وتهيأ لاعتقاله الاسباب، فما اسوأ هذه المصادفة وما اذل هاتيك المناسبة: ذكرى كلها فخر و كرامة في بغداد وحادثة كلها خزي وعار في عمان !

***

بالامس احتجت الكتلة الوطنية في دمشق على اضطهاد الكتلة الوطنية في عمان وعلى اعتقال عميدها الكبير حسين باشا الطراونة في الوقت الذي يدعى فيه الاردنيون الى انتخاب اعضاء المجلس التشريعي واذا كان في اعتقال عميد

(*) نشرت في القبس بتاريخ ١٤ ايلول سنة ١٩٣٤

الوطنيين في عمان افظع صورة من صور الحياة الوطنية والسياسية في شرق الاردن فان في احتجاج الكتلة الوطنية في سورية اروع صورة من صور التضامن الوطني بين رجال هذه الامة رغم ما فعله الاستعمار والاحتلال في بلادها من تجزئة وتهشيم وما حاول ان يشغل به ابناء كل قطعة عن مصائب ابناء القطعة الاخرى ، ونحن اذا تألمنا لاعتقال الاحرار هناك فاننا لنغتبط بهذا الالم الذي جمع بين الكتلتين الوطنيتين في عمان ودمشق . اما حسين الطراونة المعتقل ، والدكتور ابو غنيمة المطارد وعادل العظمة المنهم واخوانهم الآخرون المضطهدون ، فان اعتقالهم ومطاردتهم واتهامهم ليست الا بدء حياة جديدة لزحزحة نير الاستعمار وانذار وخيم العاقبة للذين نموا على يديه اربعة عشر عاما مطمئنين الى حبه وتأييده وقد استلموا تلك المنطقة قطعة مستقلة من سورية المستقلة فاذا بهم بعد هذه السنين يصيرونها اذل مستعمرة في بلاد العرب قد تكون لحج وحضرموت اكثر منها حرية واعزشأناً !

لا بأس ان يعتقل حسين الطراونه فليس الرجل بعيداً عن اضطهاد الاقوياء ولا غريباً عن مقارعة الظلم فلقد اضطهده الترك وظلموه فصمد لهم بشجاعة ورجولة وآذاه الانكليز فصبر على اذاهم ، وعاداه الامير عبد الله ، فاستقبل عداءه بنفس عزيزة وانفة شامخة ، فما استطاعت هذه المظالم كلها في مختلف عهودها ان تنال من عقيدة الرجل او تهين من كرامته . وليس عجيباً ان يطارد الدكتور ابو غنيمة وهو الذي افهم الانكليز والامير وحكومات الامير جميعها ان في شرق الاردن البدوي الساذج نفوساً لا تذل اذا اوذيت ، وكرامات لا تخضع اذا طوردت . اما عادل العظمة فاذا ضيق عليه وحورب في مصالحه وطورد في حياته فان في هذا الرجل صدراً ارحب من فضاء عمان واعصاباً اقوى من جبالها .

اجل ! لا بأس ان يعتقل الوطنيون ويطاردوا ويتهموا فنحن لا نحزن من الظلم ولا نتبرم بالالم فهما مهماز الشعوب يوقظها كلما نامت ويحفزها الى النهوض كلما استكانت . ولكننا نخجل ان يصبح القانون في حكومة رجل القانون وسيلة للانتقام بينما يجب ان يكون وسيلة للانصاف ، نخجل ان نقارن بين شرق الاردن البقعة التي ظلت بقية مصونة من سورية التي استقلت في ٨ آذار عام ١٩٢٠ والتي

دخلها الامير عبد الله قبل ان يدخلها احتلال افرنسي او انكليزي فالتف حوله فيها جميع رجال الاستقلال وابطاله فاذا بها بعد خمسة عشر عاما تصبح اذل مستعمرة ويصبح اهلها بين لاجئ من الفقر الى الصهيونية يعرض عليها ارضه ورزقه ، وبين صبور انوف يضطهد ويطارد ويعتقل ويتهم . اما هاتيك المجموعة الطيبة المخلصة ، فقد فرقها الانكليز والامير واعوان الامير تحت كل كوكب وفي بطن كل قبر ، فرشيد الطليع اول رئيس حكومة في الاردن السوري المستقل يرقد في قبر من قبور شهداء بني معروف وفؤاد سليم يسقط صريعاً في الساحة التي خلق ليموت فيها واحمد مريود يلاقي منيته في ارض الوطن الذي احبه واخلص له . والبقية الباقية من هؤلاء الرجال منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر يومه شريداً مطارداً تحرم عليه بلاده وترفضه الحكومات والدول .

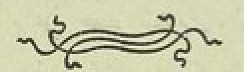
نخجل ان نقارن بين شرق الاردن في خلال اربعة عشر عاما وما صارت اليه في حكم الانكليز والامير ، وما صار اليه الرجال الذين آووا اليها ليرفعوا علم الاستقلال على رأسها ، وبين العراق وقد دخله فيصل والامر فيه للانكليز والرأي في شأنه لحاكم مستعمرة الهند ، فاذا بالعراق دولة مستقلة ذات جيش وادارة وثروة ليس له مثيل في جميع بلاد الشرق العربي من مصر الى بلاد فارس . فيا لحظ العراق من فيصل ، ويا لنصيب الاردن من عبد الله ! هنا انكليز وهناك انكليز ، وهنا عرب وهناك عرب ولكن في بغداد فيصل وفي عمان عبد الله !

سيدي الامير !

الناس هنا يحتفلون بفيصل الميت ، ويبكون على الملك الشهيد . والناس هناك في عمان وفي ظلك ، يطاردون ويعتقلون ويجوعون ومن اعمالك وسياستك يبكون ! ....

الا حرمة يا سيدي لذكرى فيصل الذي تنعم ببقعة من بقاع مملكته الاولى ، ورحمة يا مولاي بميراث شيخ بني هاشم وانت واحد من صلبه وبقية من ابنائه فوالله ان لم تتخذ من هؤلاء الذين تضطهدهم اعواناً وانصاراً فلن يكون لك احد

من بعدهم نصيراً . واذا ذكرت الانكليز وتأييدهم فاذكر اباك ومصيره منهم ! اما « القبس » يا سيدي فاذا ساءك هذا القول الصريح المخلص منها واردت حكومتك ان تمنعها من دخول امارتك ، فلسنا صحفيين تجاراً ولكننا صحفيون وطنيون وهيهات ان تجتمع التجارة والوطنية في صحيفة واحدة .



يوم الانكسار (*)

لتهنأ الامم القوية باعيادها الوطنية ، ولتحتفل فرنسا بيوم ١٤ تموز من كل عام ، ولتستعرض جيوشها تحت اقواس الظفر ، وليحمل ابناؤها اكاليل الزهور الى قبور ابطال الجمهورية الاولى — وليقف القواد في ساحات النصر في باريز يزهون ببزاتهم المقصبة واوسمتهم اللامعة ومن حولهم الوزراء ورجال السياسة يحيون برهبة واحترام ارواح الذين وضعوا حقوق الانسان ! وليقم الجنرال غورو حاكم باريس العسكري في ذلك اليوم على حفظ النظام ، وليذكر ان في الشرق المحكوم بقعة اسمها سوريا فيها شعب ضعيف يحتفل في كل سنة بيوم ٢٤ تموز كما يحتفل الافرنسيون الاقوياء بـ ١٤ منه !

***

أما نحن فاننا نحتفل بيوم ميسلون ونجتمع حول ذلك القبر المتواضع القائم في وسط الصحراء على ضفة تلك الساقية الصغيرة من غير جيوش ومن غير اقواس ظفر ، ليس لنا قواد يزهون ببزاتهم واوسمتهم وسيوفهم ولا وزراء يتباهون بمفاخر تحرير الشعوب ، بل نتقدم الى كعبة الوطنية القتيلة والبطولة الشهيدة المدفونة في تراب ميسلون لنحيي يوسف العظمة ونذكر بكل بساطة وانكسار آخر يوم من ايام استقلالنا المضاع واول يوم من ايام القوة التي اجتاحت بحديدها ونارها هذا الوطن الصغير باسم تحرير الشعوب ونشر مبادئ حقوق الانسان . فهم يحتفلون اذن في يوم ١٤ تموز بعيد حريتهم وجمهوريتهم ونحن نحتفل بمصرع حريتنا وملكنا ورايتنا تلك الراية التي لا تخفق الا في ظلال القبور ولا تنشر الا على نعوش الموتى .

(*) نشرت في القبس بتاريخ ٢٤ تموز سنة ١٩٢٩ بمناسبة الاحتفال بذكرى ميسلون .

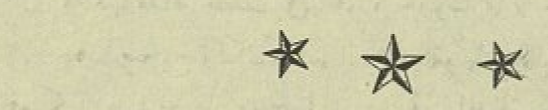
نحن نسير أصيل هذا اليوم الى ميسلون لنحتفل بيوم انكسارنا . لا بأس ! فالامم التي لا تحتفل بما تمها لا تحتفل بافراحها . والشعوب التي ليس لها ايام انكسار ليس لها ايام انتصار . والسوريون يحزنون اليوم ويبكون ولكنهم لايخجلون من حزنهم وبكاءهم بل هم يفتخرون حتى بذكرى انكسارهم بانهم كتبوا وثيقة جديدة بحقهم في الاستقلال ، كتبوها بازكى دم ، في أشرف يوم ، بيد أبسل قائد حياه حتى الذين قتلوه .

وماذا يضيرنا ان نخرج من انكسار الى انكسار ويخرج غيرنا من ظفر الى ظفر وما علينا ان لا ننتهي من الاحتفال بمأتم الا الى الاستعداد الى مأتم . أليس للاستقلال ثمن ؟ وهل تكون حرية بدون ضحايا وشهداء ؟

فنحن اذن نتقدم بايام انكسارنا وذكريات شهدائنا الى الذين يسألون الشعوب الطامحة الى الاستقلال عن وثائقهم فيه وعن الثمن الذي أدوه من اجله ، وها هي ميسلون احدى هذه الوثائق ، وها هوذا يوسف العظمة وجنوده الشجعان والشباب الذين ماتوا معه في يوم ٢٤ تموز ، ها هم جميعاً بعض هذا الثمن .

***

في هذا اليوم الذي ودعنا فيه منذ تسع سنين آخر أمنية من أمانينا وطوينا في مساءه القاتم راية خفقت على ربوعنا عشرين شهراً ، فظللت هذا الشعب من جنوب معان الى حلب . في اصيل هذا اليوم نجتمع من مختلف البلاد السورية شباباً وشيوخاً وكهولا لنفي البطولة بعض حقها من تمجيد واجلال ، ولنقول للراقد في ميسلون : اننا لم ننس يومك ولم تكن انت آخر شهيد .



الحريات المهـــــددة (*)

كتبت هذه المقالة في اليوم الثاني من انتخاب رئيس الجمهورية السورية وقد كانت المدافع تعصف في جو دمشق ابتهاجاً ، وكانت « القبس » معطلة شهرين فصدرت في ذلك اليوم بعد ان اكملت مدة تعطيلها .

عند ما انطلقت المدافع في صباح السبت معلنة انتخاب رئيس الجمهورية السورية قال لي صديق افرنسي : امسرور انت من هذه النتيجة ؟ لقد اصبح لكم جمهورية وحكومة دستورية وبرلمان وسيكون غداً اول مرسوم باول رقم يصدره رئيس الجمهورية هو الافراج عن « القبس » ! ..

— ولكن « القبس » يا سيدي ينتهي تعطيلها غداً فلا حاجة لها بالافراج وليكن الرقم الاول للمرسوم الاول للرئيس الاول للجمهورية الاولى — ليكن هذا الرقم الوطني الذي يخلو لاول مرة من كلمات « شوهد وصدق » ! ... لقرار ذي قيمة وطنية . اما السرور الذي تسئلني عنه فانني اسمع قصف المدافع فقط !

— ولكنها مدافع تقصف في الجو فرحاً وسلاماً لا حزناً وحرباً .

— هذا صحيح ولكنكم انتم الذين تطلقونها . فالبارود بارودكم والمدافع مدافعكم ! ... ونحن الذين سمعنا اصوات هذه المدافع خلال ثلاث سنوات من عام ٩٢٥ الى ٩٢٧ لم نعد ندهش لها سواء اكانت تقذف حمماً وويلات أم ترسل سلاماً

(*) نشرت في القبس بتاريخ ١٦ حزيران سنة ١٩٣٢

ومسرات . واحسب ان انطلاقها في هذا اليوم لن يعادل من حيث النتيجة انطلاقها في هاتيك الايام ، فالذي قبضناه في ١١ حزيران عام ١٩٣٢ قد دفعنا اضعافه في ايلول عام ١٩٢٥ . ومن عجائب المصادفات اننا نعمل حساب الدفع والقبض تحت اصوات المدافع ايضاً ! ...

— ماذا تريدون اذن ؟

— ماذا نريد ؟ — ان الذي نريده حقيقة هو ان نطمئن على حرياتنا المهددة .

— ان الدستور الذي تطلق المدافع ايذانا بتنفيذه قد نص على ضمانة هذه الحريات .

— صحيح ! ... لقد نص على ان حرية الكتابة والخطابة والطباعة مصونة ! ونص على ان التعذيب الجسدي ممنوع ... وانه لا يجوز ابعاد السوريين عن مواطنهم وقد سمعت انت منذ هنيهة نائب حماه الدكتور توفيق الجيجكلي من على منبر المجلس يتكلم عن التعذيب الجسدي ويحتج عليه ! ... كما سمعت زميله نجيب البرازي يطلب اعادة الحرية للمبعدين السوريين الوطنيين . ولكن هل في مقدور هذا الدستور ان يحمي نفسه ويعيد الحريات المسلوبة الى اصحابها ؟ وهل في قدرة هذه الجمهورية ان توقف تنفيذ قانون قمع الجرائم او تلغي تعطيل الصحف التي كفل الدستور حمايتها ؟ لقد كان المفوض السامي هو الذي يعطل الصحف في سورية وها انا ذا تراني امامك معطلاً ! ... — فهل تمنع جمهوريتنا هذه الجمهورية التي سميتها من قبل « جمهورية الشحادين في المدن الاربع » اثناء البحث في وحدة سورية والعراق — هل تمنع تعطيل الصحف الاداري وتكتفي باحالة « المجرمين » الصحفيين على المحاكم ؟ اننا في الحقيقة لا نفرح لاصوات المدافع تدوي احتفالا بالجمهورية ولكننا نفرح لو دوت احتفالا بالحرية .

نعم ! ان مواد الدستور مملوءة بالحريات العامة والخاصة ولا سيما الصحافة والطباعة . ولكن لا تنس المادة ١١٦ فقد انتهكت حرمات هذه الحريات . فالدستور والجمهورية والبرلمان وحتى الوزارة الدستورية الاولى التي ستؤلف برياسة

من يقال انه سيؤلفها ... — ان هذه جميعها تتلاشى وتذوب اذا غضبت عليها يوما ما فقرة واحدة من فقرات المادة ١١٦

***

انهم عطلوا « القبس » بحجة انها تهيج وتخل بالامن . . . والمادة ١١٦ تقول « يطبق هذا التحفظ بنوع خاص على المواد التي تتعلق بالمحافظة على النظام وعلى الامن » .

فمن هم الذين يفسرون دائماً من مقالات الجرائد معاني التهييج والاخلال بالامن ؟ انهم الذين وضعوا المادة ١١٦ انفسهم .

اننا لا نريد من هذا الدستور وهذه الجمهورية وهذه المدافع التي تنطلق فرحاً بها اكثر من ان تؤمن الحريات المروعة ويطمئن اصحابها عليها . اننا نريد ان يشعر الناس بطعم هذه الحرية فعلا وان يتذوقها الكاتب في جريدته والنائب في برلمانه والوزير في مكتبه ، وان يعتقد كل من هؤلاء انهم احرار في ضمائرهم واعمالهم .

اننا لا نفهم كيف تعطل جريدة بقرار يصدره شخص واحد مهما اختلف عنوانه والقضاء الذي ائتمنه الناس على ارواحهم واموالهم واعراضهم لا يؤتمن على الحكم على جريدة اتهمت بالاخلال بالامن او النظام ؟

***

اللهم اننا نخشى ان لا يكون لنا ملكا حلالا وطنياً من هذا الدستور وهذه الجمهورية اكثر من هذه الراية التي خفقت لاول مرة بعد اثني عشر عاماً على غير نعوش الموتى وارتفعت في غير المآتم الوطنية .

ومع ذلك ، فان فيها متسعاً لخيال الشعراء وغذاء لمطامع الوطنيين وعزاء لنفوس المفجوعين بآمالهم القومية واغراضهم الوطنية .



العائدون الى بلادهم بالاستقلال (*)

« عندنا جيش زيد عدده في المدة الاخيرة وعندنا طيارات حربية وسنهتم بانشاء احتياطي للجيش . ولنا الحق ان نشترك في جمع لجان عصبة الامم »

نوري السعيد

***

« لقد اصبح العراق مستقلا استقلالا تاما من جميع نواحيه . فموقف دولتنا الآن هو كموقف كل دولة مستقلة كاملة السيادة تضمها دائرة عصبة الامم ولا ينازع في استقلال العراق الا واحد من ثلاثة : عراقي خائر العزيمة لا يفقه مزايا الانتقال الى العهد الجديد بسبب نقص استعداده له . او شرقي ضعيف النفس قد تحجب تأثير الواقع عنه عاطفة لا تخلو من الحسد ... او اوربي لا يريد ان يعترف افطر شرقي بالاستقلال لنزعة قديمة في النفس »

محمد رستم حيدر

امس مساء احتفلت سورية باستقلال العراق احتفالا حقيقيا . وامس وجها لوجه امتدت يد الزعيم ابراهيم هنانو تصافح يد الرجل الذي استقل وطنه على يده فقد اقبل نوري السعيد برأسه المرتفع وبقامته المربوعة المشوقة ، يعانق زعيم الشمال ويقول له : ليس الهناء لنا وحدنا بل لكم ايضا ، فالعراق الذي استقل انما هو وطنكم انتم .

(*) نشرت في « القبس » بتاريخ ٢٦ تشرين الاول سنة ١٩٣٢

امس مساء في قصر امية ، وعلى ضفة بردى الشمالية ، التقى نواب الكتلة الوطنية ، برئيس وزارة العراق وبوزير ماليتها وبنائب كريم من نوابها وفي قصر « دامسكوس بلاس » عانقوا تحسين قدري كبير امناء مليكها ورئيس التشريفات في بلاط الرافدين ، فالتقى طلاب استقلال سورية والمجاهدون في سبيله ، بالعائدين من معركة الظفر ، وبالقادمين من جنيف ، والمنتصرين في عصبة الامم والحاملين استقلال العراق الى العراق . وكثيرا ما التقوا من قبل ولكنهم كانوا من الذين يؤلفهم الجرح ويلتقون على اشجانه يوم كان العراق في قبضة السر برسي كوكس وفي جيب المستر كرونوالس ... اما اليوم فقد تبدل الامر واصبح العراق في قبضة ابنائه ، واستقرت امانيه الجسام في صدر مليكه المفدى فيصل ابن الحسين ، وغدت مقدراته في ايدي نوري السعيد وياسين الهاشمي ورستم حيدر وناجي السويدي وبقية رجال الاستقلال المجاهدين ، بينما سورية لاتزال في قبضة المسيو بونسو ومقدراتها في ايدي المندوبين والمستشارين من هالو وفيبر ولافاستر ودوريو . اما هاشم الاتاسي وابراهيم هنانو وفارس الخوري وجميل مردم واخوانهم فما زالوا وما برحوا يطلبون ويطالبون ويعملون ليكونوا كاخوانهم في العراق . وهيهات ان يستوي الوطن المجزء والبلاد المبعثرة ، المحكومه بالوطن المستقل والبلاد الموحدة والكيان القائم على شعب انقذه الله من بلاء التقسيم !

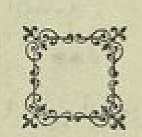
***

هكذا كانت ليلنا امس ، وهكذا كان الداخلون الى قصر امية و« دامسكوس» بلاس يفاجئون بهذه المشاهد المؤثرة : هاشم الاتاسي رئيس المؤتمر السوري الذي اعلن استقلال سورية من على منبر المجلس ، والذي توج فيصل ابن الحسين ملكا دستوريا على عرشها يصبح اليوم نائبا . وابراهيم هنانو الرجل الذي اذا قال : لا . لايجرؤ نصف مليون انسان في حلب وملحقاتها ان يقولوا : نعم لايدخل نائباً في هذا المجلس ثم لايخجلون ان يقولوا عنه انه سقط في الانتخابات وان الشعب لم ينتخبه ... ونواب ووزراء وشباب وصحفيون يروحون ويغدون بين فنادق العاصمة ودار رئيس الجمهورية ليطمئنوا على كلمة بشرى قالها المسيو بونسو في حفلة الشاي ،

عن اسس المعاهدة وهل هي طيبة تحقق لهذا الوطن التعس شيئاً من سيادته ووحدته، ام هي احاديث عن الجو والمطر وانواع الشاي والكانو وعلم الاثار وحفريات القلعة في حماه وما اكتشف فيها من جرات واباريق وفخار !...

والى جانب هذه المشاهد المبكية تقع عينك على مشهد آخر: طيارون عراقيون بطيارات عراقية طاروا من بغداد الى دمشق جاؤوا الى قصر امية ليقولوا لرئيس وزارتهم ووزير ماليتهم واحد نوابهم: الطيارات حاضرة ياباشا ونحن على استعداد للسفر في الساعة التي تعينونها ؟! فيقول الزعيم هنانو مداعباً: هنيئاً لكم فقد اصبحت لكم طيارات ؟ اما نحن فالله يساعدنا... ولكن نوري السعيد يقول بحزم وجد: لا ياسيدي هذه طياراتكم واذا قالوا لكم ليس عندكم طيارات وجيش واستقلال فقولوا . اجل هاهي عندنا في بغداد ، ولن تكون بغداد بالبلد الغريب عن دمشق او البعيد عن حلب ، واذا نحن سبقناكم بها فانتم سائرون اليها .

هذه هي صورة الامس في القصر الاموي ، كانت تمر امام عيوننا ، وهاهو حديث نوري السعيد ورستم حيدر منشور في صدر هذا العدد من « القبس » ويشهد الله فقد شعرنا لاول مرة في خلال اثني عشر عاما بكرامة قومية وشمم وطني . ولا نريد ان نقول عن انفسنا اننا كالقرعاء الفخورة بشعر جارتها فوالله ان شعورنا كانت مفخرة الجارات ، واذا كان العراق قد اسبل شعره اليوم فلطالما جزت الحوادث من شعورنا واشتملت القبور على رفات شهدائنا .



الشهداء الثـــــــــلاثة (*)

كتبت هذه المقالة بمناسبة اعدام شهداء فلسطين الثلاثة في عكا عام ١٩٣٠ عقب الثورة على الصهيونيين الذين هاجموا العرب وفتكوا بالاطفال والنساء .

اراد الانكليز في فلسطين ان يكون اليوم السابع عشر من حزيران مأتماً جديداً للعرب فابوا الا ان ينفذوا حكم الموت صبراً بثلاثة من شباب سورية الجنوبية ، واراد العرب ان لا تكون العداوة بينهم وبين انكلترا عـداوة الدم المسفوح في سبيل الصهيونيين لان عداوة الدم لا تنسى ، وضغينة القتل لا تزول . وهكذا مضى كل فريق في وجهته ، ولكن الله شاء ان يكون يوم استقلال الامة العربية اقرب مما يظن الانكليز فكان لفلسطين شهداء جدد تضاف اسماؤهم الى قوائم الشهداء الاخرين الذين ماتوا في سبيل سورية الشهيدة . وكلما كثرت ضحايا الاستقلال في امة من الامم كان يوم حريتها قريبـا ، فلتخلد اذن اسماء شهداء فلسطين الثلاثة ولتحفظ في نفوس العرب كما حفظت اسماء شهداء الثورة في الجبل والغوطة وقلمون والاقليم . وليكن لهذه الامة من دم شبابها المطلول نور يضيء على شعوبها المقهورة طريق الحرية المقدسة .

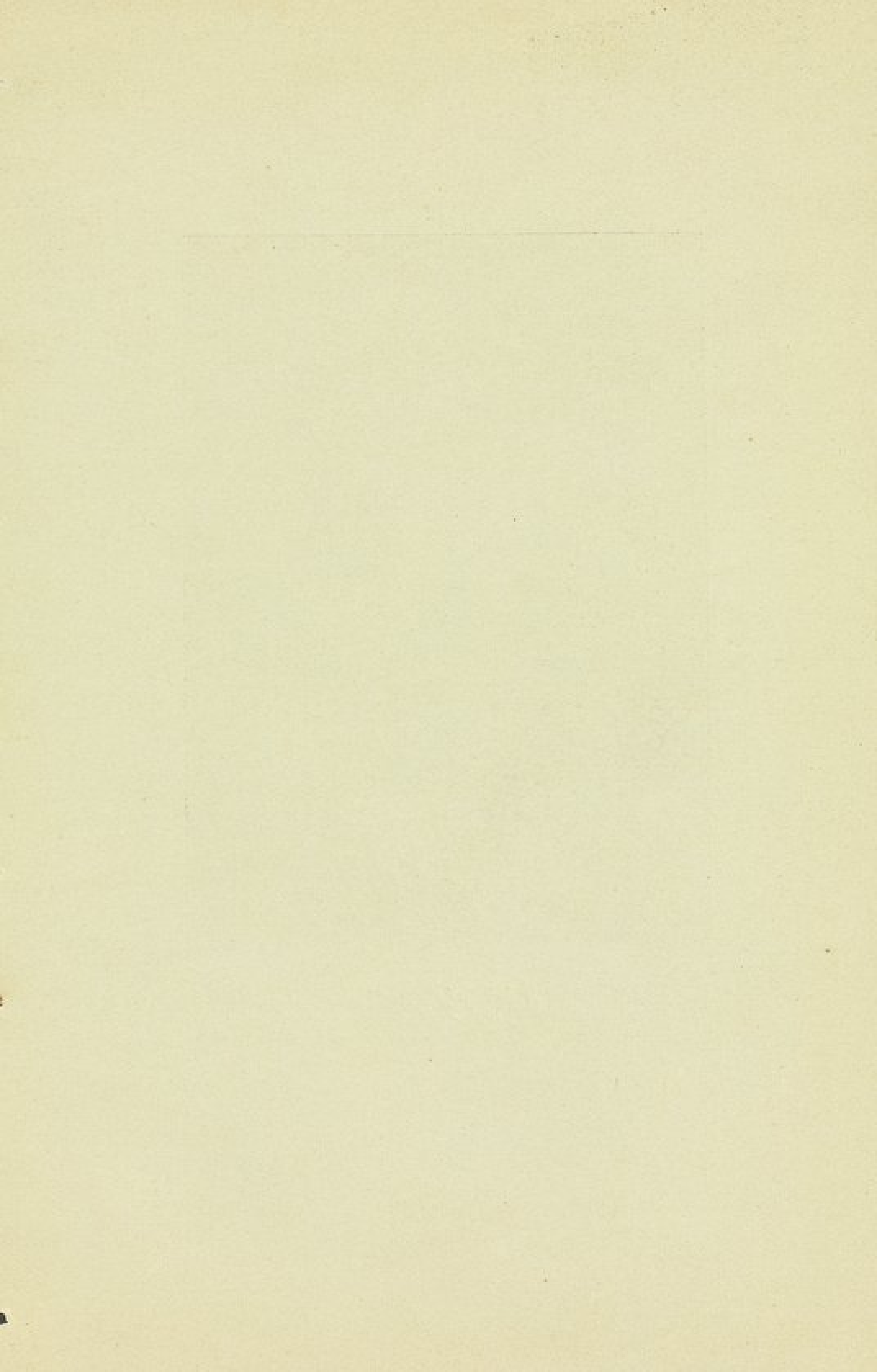
***

لقد سجلت انكلترا في يوم ١٧ حزيران على نفسها ان العدالة لا قيمة لهـا في سبيل سياستها ، وان هذه العدالة التي تتغنى بها ليست مطلقة ، فقـد كان لها في فلسطين لونان ومقياسان . فالعربي يقتل صبراً ويساق الى الموت بايدي الجنود

« * » نشرت في القبس بتاريخ ١٩ حزيران عام ١٩٣٠



الشهيد فؤاد حجازي



الانكليزية لانه دافع عن وطنه . والصهيوني يفتك بالعرب ويهاجم نساءهم واطفالهم في قلب المنازل والبيوت حتى اذا جيء به الى القضاء كما جيء بالعربي من قبله وقفت السياسة بين القاضي وضميره ، فاذا بهذا الصهيوني المعتدي ينجو من الموت ، واذا بهذه الايدي الانكليزية التي دفعت بالعربي الى القبر تمسك بالصهيوني وتحول بينه وبين ما صار اليه الاول !! فاية عدالة هذه التي تأبى العفو عن الشهيد فؤادحجازي لانه في نظر الانكليز لم يقم بواجبه اذ اشترك رغم كونه موظفاً في مصلحة الصحة والاسعاف ، وتعفو هذه العدالة نفسها عن الضابط الصهيوني حانكيز الذي اعترف القضاء البريطاني نفسه بانه خان واجبه وانه بدلا من ان يدافع عن العزل القابعين في منازلهم الذين لم يشتركوا في الثورة فتك بهم شيوخا ونساءاً واطفالا وسخر وظيفته كضابط في الشرطة لشهوة الانتقام من العرب الآمنين ، فقتل بنفسه وبمسدسه عائلة « عون » العربية المؤلفة من خمسة اشخاص بين نساء ورجال ؟! اية عدالة هذه ، واي قضاء ذلك القضاء ، واية ضمائر تلك الضمائر التي يعترف اصحابها بهذه الحقائق في قرار حكم المحكمة ثم لا يخجلون ان يوفروا هذا الصهيوني الجاني ويعدموا ذلك العربي الذي دافع عن وطنه المجتاح ، وبلاده المقهورة ، شعبا مهاجماً جاء من اطراف العالم ليستعمرها ويقضي على اصحابها بقوة الانكليز ؟!

***

هذه مأساة انسانية ستظل وصمة عار في جبين اوروبا ، ونقطة سوداء في تاريخ القضاء البريطاني ، وهيهات ان تبررها السياسة مهما حاولت التبرير . ولكن الامة العربية التي قدمت اول امس قائمة جديدة من الشهداء تسجل في تاريخ نهضتها ، وثيقة جديدة تضاف الى مجموعة الوثائق التي هي وحدها حجة الاستقلال ، تلك هي الدماء المهراقة على التراب في ساحة الشرف ، والنفوس الزاهقة على اعواد المشانق صبراً في دمشق وعكا وبيروت .

***

لقد احتفلت فلسطين اول امس بمأتم شهدائها الثلاثة ، وعم الحداد عليهم البر والبحر ، ولكن مآتم الاستقلال لاتشبه المآتم التي تقام على الموتى الآخرين لان

هؤلاء يموتون باجلهم ويصيرون الى مايصير اليه كل حي مهما طال عمره ، اما الذين تتم عليهم المآتم في سبيل الحرية فان لهم اعراساً خالدة ستظل حية مابقي للحرية طلاب وللعدالة انصار . فليمعن الاستعمار في هذه الامة تنكيلا وتعذيباً ، فانه يحسن اليها رغم ارادته ويعمل على تقريب يومها المنشود ، ولن يكون للامم الطامحة الى الاستقلال حافز يدفع بها في هذا السبيل اقوى من الدم الذي تريقه على مذبح الحرية

ان لكل شيء في هذه الحياة ثمناً قد يختلف نوعه وتتبدل صفته . اما الحرية فان لها ثمناً واحداً لايقبل التبديل ولا يجوز معه العوض ، هو الدم ! فبقدر ماتراق دماء امة من الامم في سبيل حريتها الغالية ، يكون يومها المنشود قريباً .

وللحرية الحمراء باب   بكل يد مضرجة يدق



حكاية مدينة النحاس(*)

كتبت هذه المقالة عن مدينة بيروت بمناسبة حفلة «معركة الزهور» وفي اثر اضطراب الحالة التجارية وتدهور فريق كبير من التجار

يعرف الذين قرأوا كتاب «الف ليلة وليلة» تلك الحكاية العجيبة (حكاية مدينة النحاس) وما فيها من عجائب ومتناقضات: قاعات مملوءة بصفائح الذهب وكيزان اللؤلؤ الى جانبها اقبية مظلمة تكدست فيها جثث الموتى، وهناك ... على يمين المدخل وادي احتلته الافاعي يقوم على مقربة منه قصر تنبعث من نوافذه الانوار وتسمع من فرجاته اصوات الضحك والمرح، فيه نساء راقصات، ورجال سكارى، يتمتعون باجمل ما في الحياة من ملذات ولهو ... بينما يجاور هؤلاء القوم جماعة فقراء يأكلون قشور الفاكهة وفضلات الطعام ويبكون الليل بطوله ولكنهم يضحكون طيلة النهار كأنه لم يكن في نفوسهم من آلام الليل ما يذهب بمسرات النهار!! ثم تجد في هذه القصة من المتناقضات والمدهشات ما يبعدك عن تصديق كل ما قرأته بينما كنت قبل ان تلقي الكتاب من يدك مأخوذاً بجمال الوصف وروعة خيال المؤلف حتى تكاد تصدق انك حقيقة في «مدينة النحاس»! ......

ان الذين قرأوا هذه القصة او الاسطورة لا يلبثون ان يتمثلوها امامهم ويروا انفسهم في (مدينة النحاس) عندما يقيمون في بيروت بضعة ايام ويتعرفون الى حياتها في الليل والنهار، فهناك فعلا قاعات مملوءة بصفائح الذهب الى جانبها وديان مفعمة بجثث الموتى ... ولا ندري لم نلوم بعض الكتاب الفرنسيين الذين يزورون

(*) نشرت في «القبس» بتاريخ ١٦ ايار سنة ١٩٣٠

بيروت فقط ويكتبون عن بلادنا انها في نعيم الخلد وان الانتداب اخرجها من النار الى الجنة — لم نلوم هؤلاء الاجانب وانت وانا السوريين ابني هذه البلاد نكاد نعتقد ان ما ينفق في بيروت في خلال كل اربع وعشرين ساعة على البذخ واللهو يدل على النعيم المقيم والهناء الخالد ويكذب كل من يدعي ان البلاد تتردى في مهاوي الافلاس والفقر والتعاسة ، وان المسيو دوكه عندما يعلن في لجنة الانتدابات هناء سوريا ورخاءها يكون واثقا من عدم وجود من يرد عليه ، بل هو يعزز اقواله ببعض الاجانب الذين زاروا بيروت وشهدوا مظاهر الترف فيها و كتبوا عنها المقالات والفوا الكتب .

***

هذه هي بيروت في الليل ، بل هذه هي حياتها المرحة الهانئة تبدأ منذ الساعة السادسة بعد الظهر الى الساعة الرابعة بعد منتصف الليل . اما في النهار ، فالويل لبيروت من النهار ! : سوق تجارية مخيفة ليس فيها غير حوادث الافلاس المتتالية اما المحاكم فقد غصت قاعاتها بالمتداعين : هذا بائع طرابيش يعلن افلاسه على خمسة وعشرين الف ليرة عثمانية ذهبا يطل على دائنيه من نافذة غرفة التوقيف يساومهم ويساومونه على دفع الدين ثلاثين في المائة ثم يتدخل السنديك فيرفع النسبة الى الخمسين ... وهناك كتلة من المحامين « باروابهم » السوداء الجميلة يتحدثون عن محلات تجارية كبرى افلست او طلبت التصفية القضائية وان فلانا عرض مايته ستين فرفض الدائنون وقدم املاكه ضمانة على الدفع فوضعت القضية تحت البحث !... ثم تغادر قصر العدلية الى بنك دي روما او غيره مثلا من البنوك الاخرى فتجد المدير او المفتش في خلوة مع رجال الاستخبارات ولكن هؤلاء غير رجال الاستخبارات السياسية : انهم جواسيس على السوق وعلى سير التجار يقدمون له التقارير الشفوية عن هذا المحل وعن ذاك : فلان تدل ظواهر حاله على انه يهيء طابقه وينظم دفاتره استعداداً لطلب التصفية او التوقف عن الدفع . والآخر تنطق اسارير وجهه على ان حاله مرتبكة ولن املاكه تسد العجز ، هذا اذا لم يكن عليه استحقاقات لمعامل اوروبا .

لقيت شاباً من التجار فقال لي : سيظهر في هذا الاسبوع شيء خطير . فقلت له: افي القضية السورية ؟ وهل ستعلن الحلول السياسية ؟ فابتسم وقال : في السوق... هناك قائمة مخيفة ستعلن افلاسها وهي مؤلفة من كبار المحال التجارية .

هكذا ينقضي النهار في بيروت : احاديث كلها افلاسات ونكبات ... ولكن عندما تدق الساعة السابعة تشهد اسراب السيارات تدفع مقدماتها مؤخراتها . وتشهد قاعات الرقص في « الميرامار » و « الريستوران » كانها بعض مشاهدمدينة النحاس.. واذا بهذا التاجر الذي اعلن توقفه عن الدفع في النهار لايخجل ان ينتحي في الليل ناحية من قاعة المرقص وامامه مائدة صفت فوقها اقداح الشمبانيا والى يمينه بعض اصدقائه وندمائه والى يساره هذه « الارتيست » المجرية او الرومانية بنسى في جمال عنقها ونعس عينيها عشرات « الكمبياليات » التي رفض دفعها بوقاحة قائلا لقواصي البنوك : ارسلوها الى « البروتستو » او الى الجهنم !...

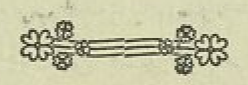
هذه بعض مشاهد بيروت في الليل والنهار . ولكن الحقيقة ان اشراف التجار هم وحدهم الذين يرزحون تحت وقرها بينما اولئك الذين نبتوا في السوق بعد الحرب فضلا عن انهم اساءوا الى السمعة التجارية العطرة لايهمهم الا ملاذ نفوسهم ، تجد الواحد منهم لايتجاوز رأسماله الفي ليرة يملك سيارة وله خليلة يسكنها بيتاً مفروشاً بفاخر الفرش ، ويصطاف في عاليه او صوفرويلبس افخرالثياب من جوخ وحرير ، ثم هو لايخجل ان يتوقف عن دفع اموال الناس ولا يتغير لون وجهه عندما يقول لقواص البنك : ارسلوها الى « البروتيستو » !...

ان بيروت تتمثل بهؤلاء في مظاهرها رغماً عن انف الشعب الشريف الذي يكدح ليأكل الخبز فقط لاليشرب الشمبانيا... ولكن هذا الشعب وعلى رأسه اشراف التجار لا يخرجون من منازلهم بعد الساعة السادسة او السابعة مساء «فدوكه» وامثاله الذين يقولون عن بلادنا انها تسبح في الهناء والسعادة لايرون هؤلاء التعساء بل يرون اولئك الوقحين الذين اساؤوا الى السوق التجارية والى حقيقة الحالة الاقتصادية .

***

اقيمت في بيروت اول امس حفلة «معركة الزهور» وانفق عليها نيف وخمسة عشر الف ليرة مثلت فيها انواع البذخ والاسراف فكانت السيارات والمركبات والسفن والهوادج والجمال والطيارات المصنوعة من ثمين الزهور والورود، تتناثر في جادة الافرنسيين من ايدي بعض الفتيات الجميلات اللاتي لايعرفن اكثر من ان آباءهن ملاكون او موظفون او مديرو شركات اجنبية، فيحسبن ان الشعب جميعه ملاك او مدير شركة او موظف كبير!... لقد كانت هذه الحفلة عبارة عن الرقص على القبور. ولكن ماذا يهم الذين اقاموها مثل مسيو فيسيه صاحب «لاسيري»، وبعض الاغنياء البيروتيين الذين قامت ثروتهم على انقاض العائلات العريقة المدمرة، وبعض الذين يقبضون من موارد «مستورة» اموالا عظيمة، ماذا يهم هؤلاء ان ينثروا الزهور على جوانب الشوارع ويملأوا الطيارات والمركبات والهوادج من غالي الورد والزنبق وليتهم مثلوا سوريا، وبيروت في مقدمتها، بنش ملوه بزهورهم، اذن لكانوا اعربوا عن الحقيقة الواضحة.

لقد كانت حفلة معركة الزهور رغماً عن اصحابها افصح مثال على بيروت الميتة التي يحتفلون بدفنها وينثرون الزهور على قبرها. ولكن هذه المدينة هي في الحقيقة مدينة النحاس في الف ليلة وليلة! في جادة الافرنسيين مظاهر النعيم والثروة، وفي اسواق «الطويلة» و«اياس» و«الجميل» مآتم الافلاس المفزع بمئات الوف الليرات. واين عيناك يامسيو دوكه لتشهد هذه الحفلة فتكتب في تقريرك فصلا جديداً عن سوريا؟!



الاحتفال بالدولة العربية المستقلة (*)

كتبت هذه المقالة بمناسبة اول عيد من اعياد جلوس جلالة ملك الحجاز ونجد عبد العزيز السعود . وقد احتفلت دمشق بذلك اليوم احتفالا منقطع النظير ، وذلك في ٨ شعبان عام ١٣٤٨ ه

شهدت مكة المكرمة امس يوماً من ايام المجد القديم واشرقت عليها شمس اليوم الثامن من شعبان فاستقبل نورها اعلاماً ورايات ارتكزت فوق القباب التي انبثق من تحتها ذلك الملك العربي العريض ، فضرب بجرانه على بلاد ما كانت لتتذوق طعم الاستقلال القومي لولا تلك العزيمة الصادقة التي انبتتها صحراء الجزيرة فمشت الى النصر كتائب العرب تقودها اليه قلوب ماحسبت الا لله حساباً ولاعرفت لغيره خشية وهكذا يأبى الله الا ان يجعل من هذه الصحراء العربية حيث لازهر ولا ورد ، ولاجنات تجري من تحتها الانهار ، البطولة والانفة ومقت الاستعباد مهما حيط بزخارف الترف والرفاه ، ومهما اغدق عليه من القاب التعظيم المصطنع والاحترام الزائف .

في مثل هذا اليوم ومنذ ست سنين دخل عبد العزيز بن السعود مكة بعد اشهر انقضت في حرب قومية كان وقودها العرب وحدهم ، وصفت جدة وبقية السواحل الحجازية لهذا الرجل العربي ، وغادرها آخر ملك من الهاشميين ، فانطوت بذلك اعلام دولة لم يقدر لها ان تعيش ، ولم يكتب للذين تولوا زمام امورها ان يضطلعوا

(*) نشرت في « القبس » بتاريخ ٩ كانون الثاني سنة ١٩٣٠

باعباء هذا الملك الذي تخلت عنه الدولة العثمانية بعد ان نشرت اعلامها على ارجاء الحجاز نيفاً وخمسة قرون واذا كان في انطواء صحيفة الهاشميين من الحجاز مأساة قومية ممضة ، فسرعان ماتلاشى في نفوس العرب هذا المضض الذي تركه زوال دولة آل الحسين ، ذلك لان الذين ازلوا اعلام هاتيك الدولة لم يكونوا اعداء العرب ، وما كانوا صنائع الاجانب ، وانما كانوا من صميم العرب ، واذا كان في زوال التاج عن مفرق الملك الهاشمي نكبة في الشام ، فلم تكن هذه النكبة في الحجاز يوم زال التاج عن مفرق ابيه ، ذلك لان الذي وضع التاج على رأسه انما هو الرجل العربي الذي نبت في قلب صحراء نجد ، بعد ان سادها وحكم امراءها وشيوخها بقوة عزيمته ، وساسهم بقوة الشريعة التي يفهمها من هذا القانون الابدي الخالد ، والذي يأبى على العرب وعلى المسلمين ان يستكينوا لذل الاجنبي او يستسلموا لعار الفاتحين ، ذلك القانون ، بل ذلك الدستور انما هو القرآن .

فالنكبة اذن التي كانت في زوال دولة الهاشميين من الحجاز قد حال دون نزولها بالعرب قيام دولة السعوديين واذا فقدت مكة شيخها الجليل الذي حمل تلك الشيخوخة اعباء الثورة العربية على الترك ، فقد استقبلت على اثره سيد نجد ومحررها ، ودعت عربياً ناءت به السنون وناء بها ، لتستقبل مكانه رجلا مشى فوق السنين وامتطى غارب الايام لايحس وهناً ولا ضعفاً ، ولا يعرف للتردد اسماً : ذهب الحسين الاول فجاء من بعده عبد العزيز الاول ونحمد الله ان بدل العرب ملوكا بملوك واشرافاً باشراف ، ولم يبدلهم عربا بعجم او اسياداً بعبيد . فاذا احتفلت الحجاز ونجد والشام بيوم تتويج عبد العزيز ملكا على الحجاز ونجد وملحقاتها فانما تحتفل بيوم اعلن فيه استقلال العرب اعلاناً تؤيده قوة رجاله ، وتحمل اكبر دول الارض على الاعتراف به . واذا احتفلنا نحن السوريين في هذا اليوم فانما نحتفل بقوميتنا الاصلية ، نحتفل بالعربية مستقلة عزيزة الجانب ، متمثلة في شخص رجلها الابر عبد العزيز السعود . واذا بالغنا في هذا الاحتفال واغتبطنا به ، فانما نحن نكرم الدولة العربية المستقلة الوحيدة في شبه جزيرة العرب ، ونكرم الملك الوحيد المستقل الذي لم يكن تاجه من صنع باريز ولندن وانما هو من صنع الرياض ومكة ، فقد لبس عبد العزيز تاج

الملك بيده وبنفسه ، ولم تلبسه اياه ا كف طالما البست التيجان بعض الرؤوس ثم مالبثت ان انتزعتها ساعة ارادت وهي تنتزعها ساعة تريد !...

بل نحن اذا كرمنا اليوم الثامن من شعبان ، فانما نكرم فيه يوماً ابت علينا سياسة الاقوياء ان يكون لنا يوم مثله . واذا لم يقدر لك في وطنك وفي بيت ابيك ان تحتفل بعرس الاستقلال والحرية ، فلا بأس ان تحتفل بها في بيت بني عمك وعند قومك الاقربين .

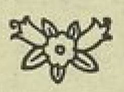
***

اليوم يرفع العرب رؤوسهم ويقولون ان لنا وطناً مستقلا وملكا سيداً ، واليوم يستطيع السوريون ان ينظروا الى ذاك الوطن المستقل فيقولون اذا ادلهمت بهم الخطوب : ان لنا وطناً ثانياً في مقدور ملكه ان يظللنا برايانه يوم نفقد الكرامة والحرية في وطننا .

ايتها الحرية الغالية التي تخفق اعلامها في جبال مكة وسهول الرياض .

ويا ايها الاستقلال المقدس الذي تملي ارادتك على المستقلين والمستعبدين على السواء .

ويا ايها الملك الذي كتب له ان يمتع وطن العرب الاول بهما ، اننا نحييك جميعاً ونهتف بيومكم الاغر .



الذين لا يبكون على الكراسي (*)

كتبت هذه المقالة يوم استقالة صاحبي المعالي جميل بك مردم بك ومظهر باشا رسلان من الوزارة

اليوم نرد « التحية » لا بمثلها فقط بل باحسن منها ... على اولئك الذين حاولوا ان يبيعونا الوطنية وان يعلمونا المعارضة سواء اكانوا من اخواننا الاقدمين الذين لم تقو نفوسهم ولا اعصابهم على التضامن الذي يوحد بين الرجال فراحوا يلقون اسوأ امثولة على الامة في السرعة الى شق الكلمة والخروج على الجماعة ، ام كانوا من الذين لم تعرف الوطنية في حياتها سبيلا الى قلوبهم والكرامة طريقا الى نفوسهم بل كانوا عبيدا ومحاسيب لكل صاحب سلطة في البلاد مهما كان لونه ومذهبه ، والذين تعودت اكفهم التصفيق لكل فتنة ولكل تفرقة تدب بين المخلصين

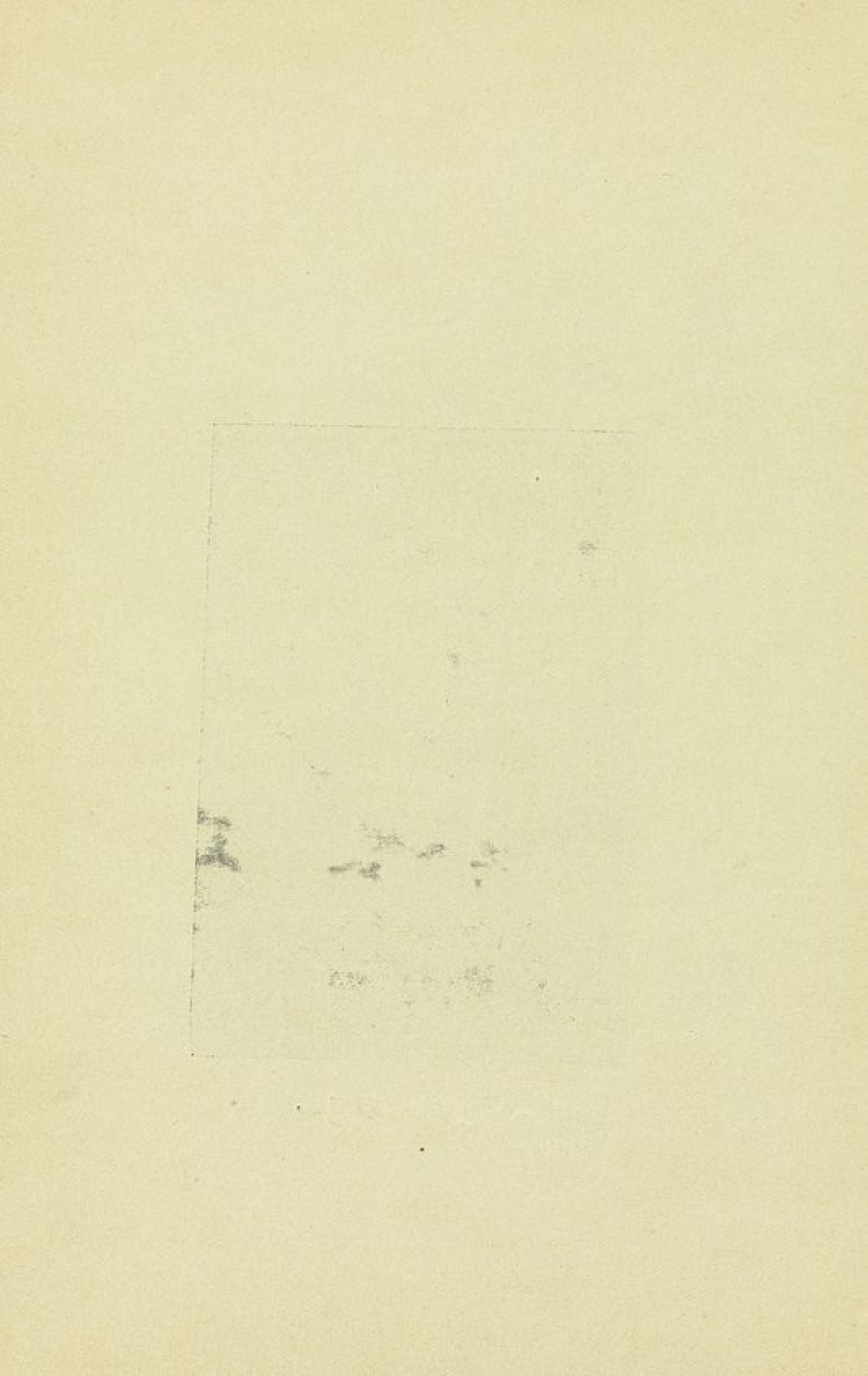
هذه هي تحيتنا اليوم للذين حيونا في خلال هذه الشهور العشرة تحيات كثير كلها ظلم وافتراء وتضليل ، بل هذا هو ردنا على تحياتهم ، ونحن لا نفاخر بهذا الرد بل نحن نثأر لكرامتنا وماضينا وتضحياتنا التي تضيق بها ساحات الجهاد على اختلاف الميادين ، والتي كان اتفه شيء منها امس ، خروج جميل مردم ومظهر رسلان من وزارة قيل انهما لن يخرجا منها !... فقد قال جميل مردم وهو محمول على اكف الشعب : ليس خروجي من الوزارة هو العمل الوطني الذي قمت به بل ان الاعمال الوطنية انما هي التي قمت بها في الماضي والتي اقوم بها اليوم وغدا وفي كل ميدان تدعوني الامة اليه .

فنحن لا نفاخر بالخروج من الوزارة لان الوطنيين في هذه البلاد هم وحدهم

(*) نشرت في القبس بتاريخ ٢١ نيسان سنة ١٩٣٣



معالي جميل بك مردم بك





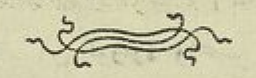
معالي مظهر باشا رسلان

الذين لايبكون على الكراسي ، بل ان الوزراء الذين يخرجون من الوزارات بين هتاف الشعب وتصفيقه هم الوطنيون دون سواهم ، بينما يخرج غيرهم متواريا عن اعين الناس منسلا في الظلام يحاذر ان تراه عيون الامة التي ترمقه بنظرات السخط والازدراء .

ليقل لنا اولئك الذين باعونا الوطنية عشرة شهور : من هم الذين خرجوا من الوزارة غضبا لوطنهم غير رجال الكتلة الوطنية ؟ ومن هم الوزراء الذين غادروا مقاعد الوزارة في المساء فسيقوا الى المنفى في الصباح لانهم رفضوا الخضوع للاجنبي غير رجال الكتلة الوطنية ؟! وليقولوا لنا ايضاً : اي رجال هؤلاء في هذه البلاد يقبضون على اكثرية ساحقة في مجلس منتخب انتخابا صحيحا شريفا وفي متناول يدهم رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزارة ورئاسة المجلس وجميع كراسي الوزارات والوظائف ، يرفضون ان يسايروا الاجنبي في تأجيل البحث في ست مواد من الدستور فيقولوا لهذا الاجنبي القوي : انا نرفض مسايرتك فحل المجلس بقوتك وسلام على الرئاسات والوزارات والنيابات ؟ ليقولوا لنا من هم هؤلاء في الاولى والثانية ؟! انهم الوطنيون في وزارة الداماد والوطنيون في المجلس التأسيسي ، والوطنيون امس في هذه الوزارة .

هذه كلمة عجلى نقولها الآن تعليقا على يوم امس وردا على تحيات ماضية !... وتحقيقا لما قاله « التبس » منذ اول التجربة . اما تحياتنا المقبلة واقوالنا الآتية فان في مستقبل الايام متسعا لها .

وقالت لنا قولا اجبنا بمثله   لكل مقال يابثين جواب !...



الكتلة الوطنية بين الانقسام والوحدة (*)

كتبت هذه المقالة على اثر ماشاع من ان رجال الكتلة الوطنية سيعقدون مؤتمراً في بعلبك وانهم ربما يقررون الانقسام ولكن هذا الاجتماع لم يعقد والكتلة الوطنية والحمد لله لم تنقسم .

وصل الى دمشق مساء الامس حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل هاشم الاتاسي ومعالي الزعيم الكبير ابراهيم هنانو والدكتور عبد الرحمن الكيالي كما وصل اليها من حماة النائبان المحترمان الدكتور توفيق الجيجكلي ونجيب البرازي ، وسيسافر الجميع مع اخوانهم رجال الكتلة الوطنية في دمشق الى بعلبك حيث يوافيهم اليها كل من سعد الله الجابري ورياض الصلح وهناك في مدينة الشمس وفي ظلال العظمة الصامتة المدفونة بين الانقاض والخرائب ، حيث تملي العظات وتوحي الى الناس ان كل شيء زائل الا الله وان كل انسان مهما عظم وكل دولة مهما سمت، وكل فتح مهما ترك من آثار الخير والشر ـ هذه جميعها سائرة الى الفناء . اما الخلود فلوجه الله وهذا الوطن .

هناك ! في كنف هذه العبر وفي ظل تلك العظات . وفي وسط هذا الالهام، يعقد رجال الكتلة الوطنية اجتماعهم او مؤتمرهم ، بعد انقضاء ستة اشهر لم يعقدوا اجتماعا مثله منذ قرار الانسحاب من الوزارة والمجلس فتجتمع اعظم هيئة وطنية تألفت في هذه البلاد منذ وضعت الثورة اوزارها وتلتقي شخصيات كبيرة يحمل

(*) نشرت القبس بتاريخ ١٥ تشرين الاول سنة ١٩٣٣

كل واحد منها في نفسه آمال امة ورجاء وطن فترقب سورية من ضفاف بردى الى شاطيء الفرات هذا الاجتماع الخطير ، ويرمق السوريون من خليج اسكندرون الى اللاذقية فطرابلس وجبل عامل واقاصي الجزيرة ، يرمق هؤلاء بصبر فارغ وقلب هلوع قرار بعلبك ونتيجة اجتماع بعلبك ويتوجهون الى الله بقلوبهم وبما في نفوسهم من امل ويأس ان يملي هذا الاجتماع على اصحابه نعمة الخير والبركة ويملأ قلوبهم بكل مافي الخير والبركة من محبة والفة واتفاق . فليس افجع على هذه الامة بعد ان هزتها الفاجعات واضنتها المصائب من ان يقال ولو همساً بان الكتلة الوطنية غير متفقة ، بعد ان استباح اناس لانفسهم ان يقولوا علناً وفي كثير من الشماتة : بان الكتلة « تفسخت » وانها صائرة الى الانقسام حتماً .

***

يارجال الكتلة الوطنية :

اذكروا وانتم ذاهبون الى بعلبك ، ان هذا الشعب الذي اولاكم ثقته بعد ان ضن بها على غيركم ، والقى اليكم بمقاليد وكالته ومقدرات وطنه وسار معكم في التأييد المطلق الى مالا حد له . اذكروا ان هذا الشعب لم يؤيدكم هذا التأييد الا لان ماجمعكم انما هي الآلام لا الآمال وما الف بينكم انما هي العقيدة التي اسبغت على وحدتكم نعمة الاتفاق والثقة في بعضكم البعض وان هذا الشعب لولا اتفاقكم ووحدة صفكم لما سار معكم في جميع مراحل السياستين السلبية والايجابية اذكروا ذلك جيداً واستعرضوه في انفسكم واحداً واحداً جماعة وفرادى واستلهموا من اطلال مدينة الشمس ان الاشخاص تزول والجماعات تفنى والدول والحكومات والمجالس والجمهوريات والعروش تنقرض وتنهار وان الوطن باق لاهله ، وانكم انتم المسؤولون وحدكم مادمتم احياء عن وحدة صفه واتفاق كلمته وقوة صرحه ومتانة بنيانه .

اذكروا ذلك كثيراً وكرروه في نفوسكم مئات المرات ، واعقدوا اجتماعكم هذا وضعوا امامكم انكم افضل هيئة في البلاد العربية ، جمعت بين رجالها تقوى الله ومحبة الوطن . وانكم انتم في كتلتكم واتفاقكم حملتم فرنسا بعد ثلاثة عشر عاما انكرت فيها لهذه الامة حق تقرير المصير ، على ان يصرح مندوبها في قاعة عصبة

الامم ان سورية لم تعترف بالانتداب وان السوريين اهل لالغاء هذا النظام عنهم وابداله بمعاهدة تقرر الحقوق والواجبات ، وان السوريين ايضا بلغوا الرقي السياسي الذي يجعلهم اهلا ليؤلفوا طرفا مستقلا يتعاقد مع فرنسا ويدخل عصبة الامم .

اجل ! اذكروا هذا كثيراً ولا تستهينوا به ، فقد اصبح حقا معترفا به لسوريا ومسجلا فى سجل اعظم هيئة دولية عالمية . وافتخروا بان هذا الحق قد ناله البلاد في عهدكم وفي ظل اتفاقكم . وانكم بقدر ما تكونون متفقين وتخرجون من اجتماع بعلبك اكثر اتفاقا تجلبون لسورية الخير وتدفعون عنها الشر .

***

ايها الاخوان الكبار !

لقد ذهب المسيو بونسو من هذه البلاد فقالوا انه لم يذهب خائبا ، بل اخذ معه اثمن ما يطمع به مندوب كل دولة محتلة ، هو وحدة الكتلة كما اخذ السير بيرسي لورين معه وحدة الوفد في مصر وجعله فريقين وهيئتين وناديين ، فمزق تراث سعد زغلول وفرق بين رجال جمعهم حب مصر والفت بينهم زعامة سعد حتى اصبح النحاس خصما للباسل ، والشمسى مفترقا عن مكرم ، لا يلتقي هذا بذاك الا في مآتم الدفن ومجالس التعزية .

نعم : لقد قالوا عن المسيو بونسو ذلك كما قالوه عن السير بيرسي لورين . وهاهو ذا الكونت دي مارتيل يأتي خلفا للمسيو بونسو اترى يقال له ان الكتلة « متفسخة » ولنها منقسمة أو صائرة الى الانقسام حتما ؟

ان اجتماع بعلبك يجيب على هذه الاشاعة . واجتماع الاطلال كفيل وحده بصدقها او بطلانها بل ان مؤتمر الخرائب وحده في مقدوره ان يحمل كل ما في هذه الخرائب من حجارة ضخمة واعمدة فخمة ويلقيها في اساس الكتلة الوطنية يدعم بها بنيانها الشامخ وصرحها العالي فلا هدم الله هذا الصرح ولا اعان الايدي التي تحمل المعاول ان تمس ترابه .

اجل ! ان مؤتمر الخرائب في مقدوره ان يزيد في البناء عمرانا وفي مقدوره ايضا ان يزيد في هذه الخرائب اطلالا جديدة فيضيف الى الحجارة الضخمة المبعثرة

بين التراب والتي كانت تؤلف القلاع والحصون عندما كانت متماسكة متراصة — ان في مقدوره ان يضيف اليها حصنا جديداً وطنيا تداعت حجارته وانهار بنيانه ، فانظروا ايها الرجال كيف في مقدوركم وحدكم ان تدفنوا حصنكم بين الحصون الخربة ، وتنقلوا حجارة قلعتكم المنيعة التي عجز الدهر عن فتحها وتلقوا بها بين تلك الحجارة حتى اذا جاء السائح الاجنبي لزيارة اطلال بعلبك يقول له الترجمان : هنا آثار الرومان ، وهنا قلاعهم وصروحهم اصبحت خرابا ، ولكن في تشرين الاول من عام ١٩٣٣ جاءت الى هنا قلعة وطنية صمدت في وجه الفاتحين طويلا وفي وجه انصارهم فعجزوا عن فتحها واكتساحها جاءت من دمشق يحملها حماتها بانفسهم فخربوها بايديهم والقوا بحجارتها بين الخرائب !...

***

ايها الرجال !

ان في مقدوركم ان تدفنوا انفسكم في مدافن بعلبك فتدفنوا هناك امال امة ورجاء وطن . وفي مقدوركم ان تعودوا الينا تحملون الحياة والقوة ، وتستلهموا من حجارة الاطلال واعمدة الخرائب صروحا منيفة تدعمون بها صرحكم الوطني وتحفظون اساس بنيانكم القومي ، فتكون سواعد الشباب الوطني وارواحهم واجسادهم حجارة لهذا البناء ودعائم لذلك الصرح تحفظه بالقلوب وترعاه بالمهج

لقد بديت لكم في كلمتي اليوم خائفا وجلا يزجيني اليأس ويتلقفني الرجاء ، بين تشاؤم وتفاؤل ، يرتفع بي واحد وينحدر بي آخر ، بديت لكم في هذه الصورة المبهمة لان هناك من يهمس بالافتراق ويبشر بالانقسام ويقول : ان هذا الاجتماع هو اخر اجتماع للكتلة بهيئتها الحاضرة فاما ان تنقسم انقساما لا وحدة بعده واما ان تخرج اكثر قوة واتفاقا مما كانت عليه ، فتستقبل البلاد مساء الاثنين جثة الكتلة محمولة في نعش التفرقة وعلى ايدي البلى والانهيار فكذبوا هذه الهمسات الخفية . واذكروا انكم اذا افترقتم فلن يجد واحد منكم في غير صاحبه بديلا فلقد بلوتم الناس وعرفتم العامل من المتبجح ، وخبرتم القول من الفعل .

اذهبوا الى بعلبك بحراسة الله وحفظه واذكروا قبل افتتاح جلستكم اخوانكم

الشهداء الذين ماتوا والقوا عليكم اعباء الحياة ، اذكروا رفيقكم وزميلكم فوزي الغزي كيف مات وانتم على قبره كتلة واحدة واذكروا ان اول اجتماع للكتلة بعد انتخابات الجمعية التأسيسية في عام ٩٢٨ انما كان في بعلبك وكان فوزي جالسا بينكم وابتسامته العذبة تفيض على الاجتماع نوراً واشراقا وابتهاجا فهل تفترقون في نفس المكان الذي جمعكم جريمة الافتراق وروح فوزي تطيف بكم هناك ؟!

افتحوا اجتماعكم بذكرى المصائب الوطنية وقفوا على اقدامكم صامتين واذكروا فيصل ومصاب الامة العربية بفيصل وتصوروا ذلك الصقر الذي طواه الردى كيف كان يفيض صدر صاحبه حلما واخلاصا ومحبة ، ولاتنسوا كيف مد يده في سبيل وحدة العرب يصافح اليد التى قوضت عرش ابائه واجداده ومحت ذكر بني هاشم من الحجاز فهل بلغ اختلاف الرأي بينكم كما بلغ العداء بين فيصل وابن السعود ؟

***

ايها الاخوان الكبار :

لا تطمعوا ان تؤيد الامة الانقسام والتفرقة مهما كان دعاتها ، وثقوا ان الشباب الوطنى وجرائده التي حملت لوائكم متفقين لن تحمل لواء احد منكم مختلفين فنحن معكم ما دمتم كتلة واحدة اما اذا انقسمتم فلسنا مع احد ، فانتم ونحن كما قال الشاعر

ستقطع في الدنيا اذا ما قطعتني — يمينك فانظر اي كف تبدل



الوطن المستباح والدم المراق (*)

ايها الفلسطينيون !

بالامس ودعتم يوما من ايامكم الخالدة ، وغدا تستقبلون يوما آخر هو اليوم الثالث والعشرون من شهر آب . في مثله من عام مضى استحلت دماؤكم واستبيحت حرماتكم واستشهد مائة وعشرون من ابنائكم فانتظرتم كلمة القضاء فيهم وفيكم ، وما حسبتم انهم سيكيلون بمكيالين ويزنون بميزانين . فاقتصوا منكم لا لكم وذهبت دماء شهدائكم هدراً وارواحهم ضياعاً وتلك الاعواد ناطقة باحكامهم والسجون شاهدة عليهم وما تخفي صدورهم اعظم لو كنتم تعلمون

ان طريق الحرية وعرة المسالك جمة المهالك فاصبروا عليها صبر الجبابرة . ان هذه النهضة بالغة مداها واصلة منتهاها فانزعوا بها الى الحرية فلا كرامة للشعوب الا بالحرية ولا حرمة للامم الا بالاستقلال .

« من منشور اللجنة التنفيذية في القدس »

لله هذه الامة العربية ما اكثر ذكرياتها الدامية وما اشق طريق الحياة امامها فهي لا تنتهي من احتفال بمأتم حتى تستعد الى الاحتفال بمأتم آخر ، فكأن الله اراد ان يفني نصف رجالها قبل ان تستقل وقبل ان تنعم بحريتها المضاعة وحقوقها المغصوبة وقدر عليها ان لا ترقا لها دمعة ولا يسكن لصدرها وجيب او يندمل لقلبها

« * » نشرت هذه المقالة في « القبس » بتاريخ ٢٥ آب سنة ١٩٣٥ بمناسبة ضراب فلسطين العام بعد اعدام شهدائها الثلاثة .

جرح ما دامت للاجنبي المحتل راية تخفق فوق ربوعها وسلطة تمتد على اطرافها .

انتهت دمشق بالامس من الاحتفال بكارثتها الكبرى وما كادت دموعها تجف من البكاء في يوم ميسلون الفاجع حتى تلفتت الى الجنوب من هذا الوطن فاذا هناك وراء الطور وفي كنف صحراء سينا وبجانب المسجد الاقصى وعند مربط براق النبي وفي مهد المسيح ومصلبه ، اذا هناك امة تبكي شهداء تسقط ومشانق تنصب واذا هناك وطن مستباح ومشاعر تهان وحرمات تنتهك واجنبي غاصب يحمي بحرابه وقوته وبعطشه المعتدين الظالمين ، الذين اجتاحوا فلسطين باسم الوطن القومي الصهيوني

اليوم تتلفت الشام والعراق والحجاز ونجد واليمن — ولا ندري اذا كانت مصر تشعر ايضاً — ناحية بيت المقدس ، فاذا بشعب صامت حزين ، لايسمع في دياره غير قرع النواقيس واصوات المؤذنين ودعاء المصلين وبكاء المشائخ وضراعات القسس بان ينقذ الله فلسطين من كيد الصهيونية ومن كابوس الاحتلال وان يحفظ حرماته المقدسة وقبور انبيائه ورسله من هذا الخطر المحيق .

واليوم يخرج الناس من المساجد والكنائس الى العراء ليقفوا على قبور المائة والعشرين قتيلا وليبكوا هؤلاء الضحايا الذين سقطوا شهداء الدفاع عن حرمات الله المقدسة وعن وطنهم المغزو بشراذم الصهيونية وطريدي العالم ولكن لهذا اليوم صفة خاصة يمتاز بها عن بقية ايام لذكريات هي العبرة الماثلة في هذا الصراع القائم بين العرب والصهيونية وفي هذا «الحكم» الذي نصب نفسه للفصل بين الفريقين المتقاتلين ، فان عدل انكلترا السياسي والقضائي ايضاً سيكون موضع العبرة في ٢٣ آب ، ذلك العدل الذي اقام للعرب في ديارهم المشانق وحفر لهم فيها القبور ، والذي حمى الظلم الصهيوني وسهر على الجلادين الشيوعيين يقتلون النساء والشيوخ ، حتى اذا نصب ميزان القضاء كان للصهيونيين العطف والحلم والكرامة ، وللعرب التعساء الحبال والقبور والسجون .

ان يوم ٢٣ آب اول وثيقة كتبتها فلسطين بدم الشهداء ودموع الاطفال اليتامى والنساء الثواكل ، وهذه الوثيقة هي التي ستظل خالدة في مجموعة وثائق القضية الفلسطينية بل القضية العربية ، ذلك لان كل وثيقة لايكون مدادها الدم لاتحلها

السياسة محلها من الاحترام . وهيهات لوطن مستباح ان يسمع لاهله صوت اذا كانت وثائقهم التي يطالبون بها باستقلاله مكتوبة بحبر على ورق ، لان السياسة الناجحة اليوم هي سياسة الدم والاشلاء ، فعلى دماء الشعوب واشلائها تقام الحريات وعليها وحدها تستعبد وتساد ، وقد يكون الشعب الوحيد الذي كانت دماؤه سبب استعباده هو الشعب العربي بينما كانت دماء الشعوب الاخرى سبب استقلالها ، فلولا ان يقاتل العرب في صفوف الحلفاء ويريقوا دماءهم لما كانت لاوروبا في هذه الديار راية مرفوعة ولا ظل مبسوط .

لقد اذاعت اللجنة التنفيذية بيانها المنشور في « قبس » امس والذي صدرنا هذه المقالة ببعض كلماته فاذا به قطعة محزنة لابلغ مرثاة قيلت في فلسطين ، وهو في الوقت نفسه دعوة للتضحية وشحذ للهمم ونسيان للاحزان ، وطرد لليأس المستولي على العرب لان اللجنة تقول للفلسطينيين « ان طريق الحرية وعرة المسالك وان هذه النهضة بالغة مداها واصلة منتهاها » .

نعم ان العدل اذا فقد من على الارض فهو لن يفقد في السماء ، وان الفلك الذي اذل عزة الدول قادر على ان يديل هذا الظلم القائم فوق رؤوس العرب ، وان الامم التي تجعل طلب الاستقلال عقيدتها هي واصلة حتما الى غرضها المنشود .

***

فيا شهداء فلسطين الشجعان ، تحية نبعث بها اليكم من وراء هذا الافق القاتم ، ودمعة نسكبها على قبوركم الريانة بدموع الامة العربية .

ويا احياء فلسطين ، ان هذا يوم له ما بعده ، وان القضية اليوم ليست قضية فلسطين ووعد بلفور ، بل هي قضية العرب والاسلام والشرق . ونحن واياكم من خلال هذه السلاسل نعمل لهذه القضية .

وعلينا كما عليكم حديد   تتنزى الليوث في قضبانه



الرجل الذي مات ثلاث مرات (*)

« كتبت هذه المقالة يوم وفاة المرحوم عمر نبهان بعنوان : « مات
اذكى شاب في دمشق » ، وقد كان الفقيد اعز صديق
لصاحب القبس

قد تكون الميتة التي ماتها عمر نبهان افجع ميتة عرفناها في هذا البلد ، وقد يكون مصابه والمصاب به مما اوجع مصاب بين العائلات والاسر

شاب في مقتبل العمر وريعان الصبا عاش ثلاثين سنة وليس له في هذه الحياة سوى ام وشقيقة ما رايت شابا اكثر حبا لهذه الام ولتلك الشقيقة من عمر نبهان . اما الشقيقة فقد ماتت في اول الاسبوع الماضي واما الشقيق فقد مات امس في نهاية الاسبوع نفسه ، واما الام فلست اعلم في اللغة العربية كلمة تنطبق عليها بعد هاتين الفاجعتين العاجلتين غير كلمة « ثكلى » ولكن ثكل ام عمر نبهان قد فاق في وجعه وفجيعته والمه ثكل الثاكلات !

لقد مات عمر نبهان ثلاث مرات في اسبوع واحد !... ماتت شقيقته امام عينيه ، وانا الذي اعرف مقدار حب عمر لهاتيك الشقيقة اقول ان موتها كان بالنسبة اليه موتا له بكل ما في الموت من معنى ، فقد تهدمت قواه وتضعضعت اعصابه فلم يقو على حمل هذه المصيبة ، حتى اذا نزل به المرض نزل في جسم متهدم وسطا على قلب واجف هالع سحقه المصاب سحقا فلم يستطع ان يقاوم الداء اكثر من ستة ايام فاستسلم للموت قبل ان ياتيه الموت واعلن لاصدقائه في اليوم الاول من مرضه انه

(*) نشرت هذه المقالة في القبس بتاريخ ١٠ شباط سنة ١٩٣٣



المرحوم عمر نبهان

مائت لا محالة ، ولما سئلته في اليوم الثاني كيف انت ياعمر اجابني قائلا : لقد انتهيت !.

هاتان هما المرتان اللتان ماتهما عمر نبهان في اسبوع واحد ، واما الثالثة فقد تكون اوجع وافجع من الاثنتين هي هذه الام التاعسة التي اصبحت بحد ذاتها كتلة حية من حزن وتفجع تدب على الارض في شخص امرأة عجوز ثكلى ليس في مقدور المعزين ان يتمنوا لها اكثر من الصبر ولكن اين للصبر واين للزمن واين لجميع بهارج الحياة ان تنسي اماً مثل هذه الام ذكرى ولد ما نامت لها عين في خلال ثلاثين سنة قبل ان تنام عيناه ، فقد كان عمر في كثير من الليالي يعود الى البيت متاخرا ولكنه مهما تاخر ومهما سهر فان عين امه ساهرة تنتظره

لقد كان اخوف ما يخافه من الموت هو المصير الذي ستصير له امه بعد موته لما كان يعرف فيها من حب له يكاد يكون عبادة وكان يعلن لجميع عواده انه سيموت ولكنه كان يتجلد امام امه فقط ويعلن لها انه في خير ... وكانت الام هي ايضا تتصنع الطمأنينة امامه وتخفي جزعها وهلعها عليه بل كان عمر يغمر وجهه باللحاف ليخفي دمعة تنهمر من عينه كلما ذكر شقيقته ونفسه ومرضه ، وكانت الام في الوقت نفسه تنتهز فرصة وجود الزوار والاطباء في غرفته فتخرج الى غرفتها لتبكي ماشاء لها الله ان تبكي حتى اذا خلت غرفة المريض من الناس عادت اليها بابتسامة مصطنعة اقتطعتها من صميم اليأس وقلب الحزن والتفجع فكان كلاهما يخدع صاحبه بمظاهر الخير والاطمئنان وكان الاثنان يعرفان انهما يخدعان بعضهما بعضا ! وهكذا يموت عمر نبهان افجع ميتة بل هو يموت ثلاث مرات في اسبوع واحد .

***

لقد يعذرني قراء « القبس » حتما اذا وقفت صدر الجريدة في هذا اليوم على بكاء عمر نبهان ، وانا الذي ما كنت اطيق ان لا اراه في اليوم الواحد اقل من ثلاث مرات .

كنت اذهب الى السراي لاصطاد خبرا لجريدتي على ان اعود لاكتبه فورا ولكن عمر كان يصطادني بحديثه العذب ونكتته المبهجة فانسى الخبر والاخبار

والجريدة ، فاذا دخلت ديوان وزارة الداخلية فلا يقدر لي الخروج منه الا بين غبار الكناسين والفراشين وبعد انصراف جميع من في السراي

واليوم يموت عمر نبهان فتشيع دمشق اذكى شاب من شبابها ، وتفقد حلقات الادب والسياسية والسمر شخصية فذة هيهات ان تعوض

لقد اشتغل الفقيد في الصحافة نيفا وخمس سنين فكان مثال المخبر الذكي الذي يستدرج كبار المتكتمين من الرجال الرسميين بخفة روحه وابتسامته الطبيعية المحببة الى الافضاء بما في رؤوسهم من اخبار وآراء ، فقبض على ناصية خمس صحف يومية في دمشق في خلال الثورة فكان يغذيها باخبار الثورة والثوار والمعارك التي تنشب في جميع انحاء الغوطة وضواحي دمشق ، باسلوب موجز لبق يأمن به شر قلم المراقب الاحمر في ظلال الادارة العرفية العسكرية ، اما الاخبار اليومية العادية فقد كان يكتبها بعبارات مختصرة جدا حتى اني اذكر يوما ان الاستاذ فارس بك الخوري سأله : اتكتب انت اخبارك يا عمر بلغة التلغرافات ؟ .

كانت تتألف في قهوة الكمال في الشتاء وقهوة الحاج علي في شارع بغداد في الصيف ، حلقة يومية بين الساعة السادسة والتاسعة من شعراء وصحفيين منذ خمس سنين فكان الملازمون على حضورها يوميا الاستاذ شفيق جبري والزميل الاستاذ معروف الارناؤوط والسادة شفيق شبيب وظافر الاتاسي وكاتب هذه السطور وغيرهم من بعض الصحفيين والموظفين الذين يرتادون هذه الحلقة بين يوم واخر ولكن واسطة عقدها كان الفقيد وحده فالحديث حديثه والنكتة نكتته فاذا جاء الى دمشق اديب مصري او عراقي او لبناني فان حلقة عمر نبهان مثواه ومبتغاه . واليوم تفقد هذه الحلقة محدثها الذي لا يمل حديثه وسميرها الذي لا ينضب معين ادبه ونكاته الحلوة المبهجة

لم يكن عمر نبهان شاعرا ولكنه كان يحفظ افضل الشعر القديم والحديث وكان له ذوق في نقد الشعر يندر ان يكون لغيره وكان شغوفا بشعر المتنبي وشوقي يروي منهما الروائع الطيبة . فاذا نظم شوقي قصيدة جديدة كان عمر نبهان اول من يحفظها ويرويها في دمشق .

ولم يكن كاتباً سياسياً ولو اراد هذه المكانة لما زاحمه احد عليها في دمشق ولكنه رحمه الله كان لا يكلف نفسه عناء كتابة المقالات اليومية اما اذا كتب بين حين وآخر قطعا صغيرة سياسية فان له اسلوبا لاذعاً تهكميا يلبسه ثوب النكتة ولكن في طياته السم الزعاف .

كان يقرأ المقالة السياسية فيملي رده عليها فور انتهائه من قراءتها . ولست اخجل اذا قلت انني انا مدين شخصيا باكثر مقالاتي التي اثنيت عند الجمهور استحسانا لملاحظات عمر نبهان وافكاره ، لا سيما بعض المقالات التي كتبت في هاتيك الغمرة السياسية قبل عشرين كانون وبعده .

ان خسارة عمر نبهان ليست خسارة عادية فقد كان ذكيا الى ابعد حد وكان عصاميا بنى نفسه بنفسه فوصل الى وظيفة مميز في ديوان وزارة الداخلية بكفاءة يشهد له بها كبار الموظفين القدماء .

والان يطوي الموت هذه الصفحة المشرقة من الادب والذكاء والسمر فنقف على قبر عمر نبهان باكين مودعين وداعا لا لقاء بعده في هذه الحياة العابثة المستهزئة التي لا تستحق كما قال امس بعض الاصدقاء ان يغضب في سبيلها انسان صديقا كان او عدواً .

***

ايها الصديق الغالي !

انني ابكيك بدموع كنت تعلم انني لا اذرفها الا في كبار المصائب ، ومصابك انت يا عمر احدى هذه المصائب الكبرى التي لقيتها في حياتي

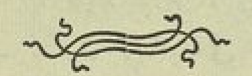
انني اودعك واذكرك بالموت الذي كنت تحفظ فيه اجمل ما قيل من الشعر . ولطالما رددت على مسامعي قول شوقي :

اخ كان يملأ امس الفضاء	ويحيى الحياة ويجري العمر
نزيل لعمري غريب الوطاء	غريب الغطاء غريب الحجر
لدى منزل كبيوت الكراء	مررا خلا ومرارا عمر
وليس ينافعه الزائرون	وليس بضائره من هجر
يزار كثيرا فدون الكثير	فغباً . فينسى كأن . لم يزر

فياميت امس عـدتك الرياح | وحيـاك في الـفترات المـطر
لقد نفض الليل منك اليدين | وادرك فيك النهـار الوطر
فاين شبـاب كحلم العروس | ضحوك العشيات طلق البكر
فقل للصديق طوينـا الحديث | وقل للعدو دفنـا الخـبر
وهيء مكانهما في الـتراب | فان ركـابهما منتظر !...

اجل ! ايها الصديق لقد فقدناك وها انا ابكيك وارثيك باجمل شعر كنت تحبه وتحفظه وها نحن اصدقاؤك ورفاقك وقد طوينا الحديث ، وها هم اعداؤك وقد دفنوا الخبر . ولكن اي خبر افجع من خبر دفنك ؟ واي حديث اغـلى واعذب من حديثك ؟

وها انا الساعة اكتب آخر كلمة فيك وقد مرت جنازتك بي وسمعت صوت المؤذن امامها يقول : لا اله الا الله في كل لمحة ونفس .



النصارى والشيعة في نظر افرنسي (*)

« وفي الواقع فان فرنسا ليس لها في سورية الا مصلحة واحدة وهي حماية الاسس التي يستند عليها الاسطول البحري وحماية خطوط المواصلات الجوية واخيراً حماية انابيب البترول وفرنسا راضية عن كل نظام يضمن لها هذه المصلحة . . .

ان لفرنسا على الشاطئ مصالح كبيرة لا تقدر على تركها دون ضمانات وعليها ازاء نصارى لبنان والاقلية الشيعية فيه واجبات خاصة » ا . ه

« ولجم مارتان صاحب جورنال دو جنيف »

يريد بعض الكتاب الفرنسويين ان يظهروا امام العالم بانهم يعرفون كل شيء عن البلاد التي يحتلونها او يبسطون سلطتهم عليها باسم الانتداب بينما هم من اجهل الناس في هذه البلاد وفي معرفة اهلها معرفة صحيحة ، حتى ان بعض الموظفين الفرنسويين الموجودين في سورية لا يعرفون حتى الان حقيقة السوريين وطوائفهم ومذاهبهم وقومياتهم ، فما بالك بالبعيدين منهم الذين لا يعرفون عن جزيرة العرب ولا سيما القسم الممتد منها على شاطيء البحر المتوسط اكثر ماذكره لهم بعض

« * » نشرت في القبس بتاريخ ١٣ كانون اول سنة ١٩٣٢

القصاصين وبعض الرحالين الذين يأخذون معلوماتهم عن هؤلاء التراجمة الذين يرافقون السياح بين الجامع الاموي وكنيسة حنانيا وقبر صلاح الدين والذين لا يتورعون لشدة جهلهم عن الكذب والتدجيل باسم التاريخ الاسلامي وحتى النصراني ايضا ... فكثيرا ما يلقن هؤلاء التراجمة بعض السياح بان الجامع الاموي كان قصرا لهارون الرشيد ... فجاء الصليبيون وجعلوه كنيسة ثم جاء صلاح الدين الايوبي فجعله مسجدا ... وان هذه المنارة المعروفة باسم مأذنة عيسى قد بناها المسيح عليه السلام فسميت باسمه ... وان تلك القبة المسماة بمشهد الحسين قد قتل تحتها الحسين بن علي فدفن فيها وان الذي قتل الحسين هو تيمورلنك ملك بغداد ... وان العلويين الذين يقال لهم « نصيرية » اصلهم نصارى وان نصيري معناه باللغة العربية تصغير نصراني ... الى غير ذلك من الاكاذيب والسخافات التي ينشر عنها اولئك الرحالون والسياح مقالاتهم في جرائد اوروبا واميركا فيتلقفها بعض الصحفيين السياسيين فيخلطون بين لبنان وسورية، وبين الطوائف هنا وهناك خلطاً مخجلا وهذه مقالة الصحفي الافرنسي وليم مارتن التي ترجمناها امس عن جريدة « لاسيري » ونقلنا بعض عباراتها في صدر هذه المقالة لا ترتفع كثيراً عن تلك السخافات التي اشرنا اليها ومنها ان فرنسا عليها واجبات في لبنان ازاء النصارى والاقلية الشيعية وان ليس لها مصلحة في سورية الا حماية قاعدة اسطولها وطرق مواصلاتها وانابيب البترول ثم ؟.. النصارى والشيعة ...

نحن نفهم ان يتاجر رجال السياسة بالنصارى وان يظهروهم دائما امام العالم بانهم محتاجون الى الحماية من هؤلاء المسلمين المتوحشين المتعصبين !... ونفهم ان يسكت النصارى على هذا الاستغلال الذي طال عمره كثيرا والذي آن لهم ان يرفضوه ويتحرروا منه لما فيه من مرارة ومذلة على النفوس الابية بعد ان سبقهم الاقباط في مصر الى رفضه واستنكاره حتى لم تعد جريدة انكليزية تجرأ ان تجعل الاقباط وحمايتهم سبباً من اسباب احتلال مصر ، فبعد ان كانت اسباب الاحتلال او اسباب البقاء قنال السويس وحماية الاجانب والاقلية القبطية ، اصبحت اليوم مصالح الاجانب وقنال السويس فقط !.. وها هي العراق قد استقلت وزال الانتداب عنها

ولم تتعهد حكومة العراق بشيء سوى حماية الخطوط الجويه ولم يذكر في كل التحفظات التي وضعت على المعاهدة حرف واحد يختص بالاقليات : اما في سورية فالاقليات دائما وبعد ان كانت الاقليات معروفة بانها عبارة عن النصارى فقط جاؤونا اليوم بصنف جديد من ابناء البلاد فحشروهم في غمار الاقليات وجعلوا عليهم واجبا آراءهم لتبرير بقاء انتدابهم وسيطرتهم على لبنان وهم الشيعة العرب المسلمون !...

***

اسطول وبترول ومواصلات ونصارى وشيعة ؟!...

اجهل هذا ام تضليل وتدجيل ؟ ! فمتى كان الشيعة غير عرب وغير مسلمين ؟ ومتى كانوا اقلية مستضعفة بحاجة الى حماية الاجانب من اخوانهم المسلمين السنيين، هذا اذا بقي فرق حتى الان بين شيعي وسني وحنفي وشافعي ؟ ! ولماذا لم يكن الشيعة في العراق او الاشوريون او الاكراد سبباً لتبرير بقاء الانتداب الانكليزي على العراق ؟

ان الشيعة في لبنان اكثر عددا من اكبر اية طائفة بل هم في الاحصاء الاخير اكثر من الموارنة والكاثوليك مجتمعين . وهم والسنيون يؤلفون اكثرية عددية رغم ماجري في الاحصاء من عبث وتسجيل للاموات والمهاجرين ، فالمسلمون في لبنان اكثرية فيه ، واذا كان يجوز ان يقال ان الموارنة بالنسبة للكاثوليك او الارثوذكس غير نصارى فقد يجوز ان يقال ان الشيعة بالنسبة للسنيين غير مسلمين ايضا ، ولكن لو رجع هؤلاء الكتاب الاجانب الى تذاكر النفوس التي اعطيت لكل لبناني في الاحصاء الاخير لوجدوا ان الماروني كتب له في تذكرته (مسيحي ماروني) والشيعي كتب له فيها (مسلم شيعي) والسني ايضا (مسلم سني) فكيف يقال بعد ذلك ان الشيعة في لبنان اقلية وان على فرنسا واجبا تجاههم كواجبها نحو النصارى ؟

لماذا لا يذكرون عند بحثهم عقد المعاهدة مع سورية غير حماية المواصلات وانابيب البترول ؟ ولماذا يسلمون مبدئياً بان اسس المعاهدة السورية القادمة في المدن الاربع

ستكون كاسس معاهدة العراق ؟! فهل نصت معاهدة العراق على حق الانكليز في حماية النصارى او الاكراد او الشيعة او السنه حتى تنص معاهدة سورية على حق حماية فرنسا لنصارى الجمهورية السورية ؟ لا هذا ولا ذاك ولكنهم في الحقيقة يريدون الرجوع الى اتفاقية سايكس بيكو وتقسيم سورية الى منطقتين : ساحلية وداخلية، فيحتفظون بانتدابهم على الساحل ويمنحون استقلالا ذاتيا للداخل فتصبح الجمهورية السورية المستقلة والداخلة في عصبة الامم عبارة عن هذه المدن وتلك القرى والسهول مطوقة من الجنوب بالانكليز، ومن الشمال بالاتراك ومن الغرب بالبحر الذي يريدون جعله قاعدة لاسطولهم الى الابد وكأن وجود النصارى فيه لم يعد يكفي لادعاء الحماية وتخليد الانتداب فجاؤا اليهم يستثمرون اسم الشيعة ويجعلونهم بحاجة الى الحماية !..

ان الشيعة عرب ومسلمون في سورية ولبنان والعراق وان سكان جبل عامل وبعلبك والهرمل اعز جانبا واكثر نفراً وثروة من جميع من في لبنان فليسوا بحاجة الى حماية احد .





المرحوم درويش البكري

جنازة الوطن الفقـــــير (*)

كتبت هذه المقالة في اليوم الثاني من وفاة المرحوم درويش البكري

الذي مات مسلولا وقد كان رحمه الله من خيرة

الوطنيين الصابرين ، وكانت جنازته في قلة الذين

شيعوها مثار اللوعة في النفوس

كنا « كمشة » من الناس قبل غروب يوم الاحد ، نمشي وراء جنازة فقيرة تسير في طريقها بصمت وتواضع الى قبر محفور في جبانة الباب الصغير ، فلا اعلام ولا طبول ولا موسيقى ولا مولوية ، ولا شرطة ولا جلاوزة ، حتى ولا عدد من المؤذنين تعودنا ان نراهم امام جنازة عجوز متوسطة الحال ، فقد توارى كل هؤلاء في ذلك اليوم ، حتى الترامواي في طريق الميدان فانه لم يكلف نفسه للوقوف او تخفيف السير ساعة مرور الجنازة ، لان الذين كانوا وراءها لا يعرقلون سيرا ولا يوقفون حركة ولا يشغلون في الطريق اكثر مايتسع لعدد من الناس لا يزيدون في كميتهم عن هذه الوفود التي تراجع رئيسا او تزور وزيراً من اجل تخفيف ضريبة او تأجيل استيفاء رسم فكأن الازمة اثرت حتى في عدد الذين يشيعون الموتى ويمشون وراء الجنائز .

اجل ! « كمشة » من الناس كانو يسيرون قبل غروب يوم الاحد ، وراء جنازة صامتة هادئة ، لا تسمع لهم جلبة ولا تحس فيهم حركة ، يتقدمهم نعش من خشب ملفوف في راية كالحة قالوا انها راية الجمهورية وشعار الدولة الرسمي ... سلمت من

« * » نشرت في « القبس » بتاريخ ٢٢ آب عام ١٩٣٤

خطر التعطيل والتأجيل فلم تتوار كما توارى الدستور ولم يؤجل نشرها كما اجل المجلس بل ابقوا لها ان تخفق . على نعش الموتى ، وان يكفن بها ضحايا الوطن وشهداؤه .

جنازة فقيرة مهشمة محطمة ، مثخنة بالجراح ، جراح الداء ، وجراح الوطنية وجراح الاخلاق !...

جنازة تمثل الك الوطن في فقره ، دائه ، وتريك اصح صورة عن تهشيمه وتحطيمه تلك هي جنازة المخلص المسلول ، والمجاهد الصبور ، والوطني المجهول : هي جنازة درويش البكري تسير الى القبر قبل غروب الاحد بخطى وئيدة متمهلة ، حمل صاحبها وقع خطى الموت على مهله عشر سنين كاملة ، فما حقد ولا شكا ، ولا منَّ ولا عتب ، بل كان يذوب نفسا في نفس ، يداعبه الموت في كل صباح ومساء وعيناه مبصرتان ورشده كامل ، ورأيه صحيح . قسا عليه كل شيء في هذه الدنيا حتى الموت فقد نام واياه عشر سنين كاملة في فراش واحد ، ثم رفق به ليلة الاحد في منزل حقير مهجور في قرية نائية ، طلب فيها الهواء والماء فما انقذاه من الموت ولكنهما اطالا في نزعه واحتضاره . فما اشبه درويش البكري في جهاده وصبره ، وفي مرضه واحتضاره ، ثم في موته بعد ذاك ، ما اشبهه بهذا الوطن ، جهاد وصبر ، ولكن الداء يفتك به منذ نيف وعشر سنين ، وينام الفقر والاضمحلال والتفرقة في فراشه ، فهو يحتضر ويتلاشى ولكن الموت يداعبه من غير ان يقضي عليه ، فلا يزال في بعض نواحيه خبز ، وفي ينابيعه ماء ، وفي قلوب اهله خفوق ، وفي نفوسهم امل ، ولكنه امل المسلول المحتضر يذوب نفسا في نفس وهو يحسب انه حي !...

***

هكذا كانت جنازة درويش البكري في مغرب شمس الاحد : « كمشة » من الناس تمشي وراءها الى جبانة الباب الصغير ، من غير اعلام وطبول ، ومن غير حركة وضوضاء فقد جهل درويش البكري الاعلان عن نفسه في حياته فجهله الناس حتى في يوم موته ! ووالله ان في وطنية درويش وعمله ، وفي اخلاصه ومكارم خلقه ،

فخراً ومجدا يتوارى امامها اضخم صوت من اصوات بعض هؤلاء « الوطنيين » الذين لم يتقنوا في حياتهم غير الاعلان عن انفسهم ، ولم يبرعوا بغير اثارة الضجيج من حول اسمهم .

اي والله ! ان يوما واحداً من حياة درويش البكري في سجنه المظلم الرهيب ، في اشد ايام الهول والرعب ، يوم كان يحكم على الرجل عشرين سنة اذا تكلم عشرين كلمة في تحية الوطن والهتاف للحرية ، ان يوما واحداً من حياة صاحب هذه الجنازة افضل عند الله وعند الوطن والاخلاص من جميع « الوطنيات » التي تتقن الاعلان كما تتقن « الصيد » وتبرع في الدعاية الكاذبة كما تبرع في استغلالها لمصلحتها وملذاتها

***

ياصاحب الجنازة الفقيرة :

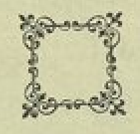
لقد شيعك الى القبر « كمشة » من الناس خرجوا وراء نعشك مع غروب الشمس فكانوا قليلين في عددهم . ولكنهم كانوا كثيرين في دموعهم . واني لاقسم غير حانث انه ماذرف دمع على ميت بحنان وحرقة ، واعجاب واحترام ، بقدر ماذرف عليك في يوم موتك وساعة دفنك . فلقد كانوا مائة ولكن مائتي عين فيهم كانت تبكي عليك بدموع سخية صامتة لازلفى لاهلك ولا استرضاء لابنائك فلقد جدت بنفسك وبثروتك وبابنائك في سبيل وطن ماتبجحت بخدمته ، ولا مننت بالاخلاص اليه ، ولا طلبت ثمن فقرك من اجله .

ايها الوطني الصبور !

لقد عرفك الشباب الوطني اول ماعرفوك في السجن منذ اثني عشر عاما يوم كنت تؤنس وحدتهم ، وتخفف من ضجرهم ، وتسهر على صحتهم فعرفوا فيك الرجل الذي فتح اول فتح في الكفاح الوطني المنتج ، وتغلغل في صميم الشعب العامي في المدن والقرى طوال اربع سنين ، يحمل اليهم رسالة الوطن ساذجة بسيطة بأناة وصبر وتواضع ، فكنت اول من قال للفلاحين في قراهم البعيدة الذين لايسمعون خطابا ولا يقرأون جريدة ، ولا يعرفون زعيما ، ان لكم وطناً محكوما وحرية

مسلوبة واستقلالا ضائعاً ، فكنت ياصاحب الجنازة الفقيرة ، رسول الوطن الأمين ، الى اهله الفقراء المؤمنين ، تقوم برسالتك مقام الزعيم والخطيب والكاتب .

هكذا عرفناك فاحببناك وهكذا فقدناك فبكيناك وهكذا اليوم نرثيك خجلين ، ونعتذر اليك مقصرين



اكثرية حاكمة اواقلية معارضة (*)

كتبت هذه المقالة بعد انتهاء الانتخابات التكميلية في دمشق وحمص وقبل اجتماع البرلمان

اذا عددنا النواب الذين هم من صميم الكتلة الوطنيــة ، واحصينا بعد ذلك الآخرين الذين عرفوا بنزعاتهم الوطنية ايضا من نواب الاقضية ثم اضفنا الى هؤلاء واولئك ــ الرجال الذين رزقهم الله الحيـاء والكرامة الشخصية ، ممن تأبى عليهم ضمائرهم ان يكونوا آلات مسخرة لغير مصلحة وطنهم ــ فاننـا نخرج من هـذه العملية البسيطة واثقين من ان الاكثرية العددية في البرلمان انما هي وطنية وانهـا فوق ذلك قوية مجهزة بقادة علماء ورجال خطباء وماض ناصع وتأبيد غير محدود من الصحافة ومن الرأي العام في البلاد . اما اذا احصينا عدد نواب الكتلة الوطنيـة وحدهم في دمشق وحمص وحماه فقط فاننا نصبح عندئذ امام اقلية عددية ، ولكنهـا في الوقت نفسه اقلية مكتسحة مجهزة بالعلم والكفاءة ومؤيدة من الرأي العـام والصحافة .

هذه هي حقيقة النواب الوطنيين في البرلمان فان كانت الاكثرية العددية بجانبهم كما كانت عام ٩٢٨ فان من حقهم وحدهم ــ نقول وحدهم بكل صراحة ونريد من هذه الكلمة ان نقضي على اوهام الذين اخذوا منذ الآن بتوزيع الرئاسات بين الاحزاب ــ فان من حق الوطنيين اذن عندما يكونون اكثرية ان يقبضوا على المجلس وعلى الحكم وفقاً للدستور الذي ينص على ان الاكثرية هي التي تحكم وتتحمل مسؤولية الحكم امام البرلمان . وان كانوا اقليـة فان من واجبهم ان لا

« * » نشرت في القبس بتاريخ ١٥ نيسان سنة ١٩٣٢

يشتركوا بالحكم لان الوطنيين جربوا حظهم في الماضي (١) فعرفوا ان سياسة المزج بين غير المتجانسين ، لاتفضي بهم ولا بالبلاد الى الخير واذ ذاك فتكون المعارضة منهم داخل البرلمان وتتألف الوزارة من اذواب الحكوميين .

على ان البحث في هذا الموضوع قد يكون سابقا لاوانه لان الاقلية والاكثرية لا تظهر حقيقتها الا بالتصويت الاول اي في انتخاب رئيس المجلس وهيئة المكتب التي تتألف من الرئيس ونائبي الرئيس وأميني السر والمراقبين ، ولكننا امام هذه الدسائس التي تنتشر من ان الوطنيين اتفقوا مع السلطة وانهم قبلوا برئاسة المجلس مثلا على ان تكون رئاسة الجمهورية لفلان ورئاسة الوزارة لفلان وان أخذوا وزارتين او ثلاثا — اننا امام هذه الاكاذيب نريد ان نعلن رأينا الخاص في هذه الجريدة وهو ان الوطنيين عندما يقبلون هذا التوزيع — فان القضية تخرج عندئذ عن طور الحياة النيابية الى حالة عجيبة لا نحسب ان منصفا يصدق على الوطنيين مثل هذه السياسة . فالوطنيون اما ان يكونوا اكثرية فيتقدمون مرشحهم الى رئاسة المجلس فيستولون على البرلمان ، ثم يقدمونه الى رئاسة الجمهورية فيكون واحدا منهم وهو يؤلف الوزارة كما يريد وتعرض الوزارة برنامجها على المجلس لتنال الثقة منه — واما ان يتقدموا بمرشحهم الى رئاسة المجلس فيسقط فيتألف المكتب من غيرهم ثم اذا جاء دور انتخاب رئيس الجمهوريةفيقدمون مرشحهم ايضاً فيسقط ولا عار في هذا السقوط — فيتضح عند ذلك موقف المجلس وتصبح الاكثرية هي الحاكمة ما دام رئيس الجمهورية منها والوزارة منها ورئيس المجلس منها ويظل الوطنيون نوابا فقط يخدمون بلادهم عن طريق النيابة فيقررون النافع ويرفضون الضارولتكن بعد ذلك الوزارة من الذين اخذتهم فرنسا على مسؤوليتها ونوابا على حسابها

***

لقد اتفقنا مع الفرنسويين ؟!

اجل لقد اتفقنا ونحن مستعدون ان نتفق لاننا ان لم نتفق معهم وهم احد الطرفين

---

(١) يوم تأليف وزارة الداماد احمد نامي بك حيث دخل الوطنيون مع الرجعيين فكان مصيرهم المنفى ..

فمع من اذن نتفق ؟ انتفق مع الصين، ام نتعاقد مع اليونان ؟ ولكننا اتفقنا على حرية الانتخابات وحدها ، اتفقنا على ان لا يسرق صوت الناخب ولا يعبث به، اتفقنا على ان نرشح مناستة فقط في سبيل عدم السرقة و ولكننا لم نتفق على المبادىء السياسية ولن نتفق قبل ان نعرف انفسنا : أأكثرية فنحمل مسؤولية الحكم ونكون وحدنا احد الفريقين في المعاهدة وهل تكون هذه المعاهدة في مصلحة البلاد فنقبلها ام نكبة علينا فنرفضها — ام نكون اقلية فنعمل في المجلس ما يعمله جميع الاقليات البرلمانية في العالم .

ان نوابنا اذا كانوا قد نجحوا في هذه الانتخابات بهذه الثقة الكبري فان نجاحهم كان مضمونا لانهم وطنيون اولا واكفاء ثانياً ، ولانهم الامناء المجربون في الماضي واذا كنا نحن في (القبس) من القائلين بدخول الانتخابات رغما عن ان النواب الوطنيين سيكونون اقلية — فان ظفرنا بهذه الاقلية سيكون افضل غذاء للروح الوطنية ولن يهمنا أأصبح نوابنا بعد ذلك اكثرية تحكم ام اقلية تعارض ولكن الذي لم نقل به ولن يقول به احد من الوطنيين هو ان نقبل مساومات او ندخل في توزيع رئاسات ووزارات فشرف النيابة افضل من كل شرف



حياة الوطنيين وصحفهم (*)

كتبت هذه المقالة بعد تعطيل القبس سبعة اشهر كاملة، وقد كانت تصدر باربع صفحات قبل التعطيل ثم صدرت بثمان بعده .

قال لي رجل من خصومنا وقد اعلنت له ان « القبس » ستصدر بثماني صفحات: اذن انتم لم تموتوا حتى الآن رغم تعطيلكم سبعة شهور !... فقلت له : لا بل رغم تعطيلنا عشرة شهور . فقد عطلتنا حكومة الشمعباني في تموز العام الماضي ثلاثة شهور ثم صدرنا شهرين ، ثم عطلتنا ثلاثة ايضاً وهي طوال ايامها الباقية في الحكم ثم جاءت الحكومة الحاضرة فقبنت التعطيل اربعة اخرى فاذا بمجموع تعطيلنا يبلغ من تموز العام الماضي الى تموز العام الحاضر عشرة كاملة ... ومع ذلك فنحن كما تقول لم نمت بل ان « القبس » يوم تعطيلها كانت تصدر باربع صفحات وها هي الآن تعود الى الصدور بثماني صفحات . افلست ترى ذلك دليلا على الحياة وعلى الاستعداد للحياة ايضاً ؟!... ولكننا لا نكتم احداً اننا اوذينا اذى كبيراً خصوصاً هؤلاء العمال الذين استعذبوا العمل في الصحف الوطنية فقد تعذبوا كثيراً وصبروا صبراً جميلا ولكنهم ربطوا مصيرهم وحياتهم بمصير الوطنيين فاصبحوا جزءاً منهم . وكثيراً ما تكون العاطفة النبيلة في نفس عامل فقير اكبر منها في نفس صاحب جريدة غني !.. فاذا وجب علي ان ابعث في اول عدد يصدر من القبس باول تحية واعطرها ، وان اتوجه باشرف شكر واخلصه ، فالى اولئك العمال الصابرين المصابين بمورد رزقهم والمطاردين بقوتهم وقوت عائلاتهم عشرة اشهر كاملة شفاء

« * » نشرت في القبس بتاريخ ١٦ تموز سنة ١٩٣٥

لحقد حاقد ، وتنفيذاً لانتقام منتقم ، اما التحية الثانية فالى الزملاء في بيروت الذين برهنوا على تضامن شريف وغيرة غير مصطنعة .

***

وها نحن نعود الى الصدور فلا نتبجح بتضحية،ولا نمن على احد ببذل،فحياة الوطنيين في هذه البلاد كلها كفاح دائم واضطهاد مستمر والم لاينقطع . فالمصابون منهم في ارزاقهم كثيرون ، والمصابون في اجسامهم اكثر ، وهاهي السجون في حلب وفي دمشق تشتمل على رجال من اكبر زعمائهم ، واوجه وجهائهم،وانضر شبابهم فاذا اوذينا في صحفنا فامر طبيعي جداً لاننا لم نكن وطنيين اكراماً للوطنيين ، بل كنا وسنظل اكراماً لعقيدتنا وتلبية لضمائرنا واتساقاً مع اخلاقنا . اما الذين عطلونا فلن يستطيعوا ان ينالوا لا من هذه العقيدة ولا من هذه الاخلاق ولكنهم يسجلون على انفسهم بانهم غير موفقين في سياستهم ،وغير ظافرين في خطتهم واسلوبهم بل هم غير قادرين على ستر ضعفهم وحجب اعمالهم بتعطيل صحفنا مهما كان امد هذا التعطيل .

ان الصحف مهما كانت قوية منتشرة ومهما كانت موثوقة ومطاعة فليس في مقدورها ان تهدم حكومة او تشوه من سمعة وزارة اذا كانت اعمال هذه الحكومة في حدود مصلحة الوطن وخدمة اهله . ولكن الذي يهدم الحكومات ويسقط الوزارات انما هي الاعمال وحدها، سواء اكانت هناك صحف تنطق بالحق ام لم تكن فان للشعب منابر ، وللناس السنة وآذانا وها هي بعض الصحف التي والت الحكومة السابقة في خلال تعطيلنا ، فجمعات من التبذير وخراب بيوت الناس ومضاعفة بعض الضرائب اقتصاداً وعدلا هل استطاعت ان تستر على الامة حقيقة تلك الحكومة واجماعها على مقتها وكرهها وهل حال ما كانت تنشره على صفحاتها من مدح وتأييد لها دون سقوطها ذلك السقوط الذي كان وسيظل امس عبرة للماضين والحاضرين والآتين من رجال الوزارات وطلاب الحكم الذين يعرفون كيف يدخلون ولكنهم لايعرفون كيف يخرجون ؟!

ان الوصول الى الحكم خصوصاً في هذه الايام وفي هذه البلاد ، وعلى هذه

الشروط ايضاً ليس صعباً ولا مستحيلا ، ولكن المهم ان يخرج الرجل من الحكم كما دخله . وان يحتفظ بالاصدقاء ايام حكمه وقوته الى يوم ضعفه وسقوطه ، فليس تعطيل الصحف المعارضة ، ولا تغذية الصحف الموالية قادرين على جعل الباطل حقاً واذية الوطن بطولة . ولكن الاعمال وحدها هي التي ترفع وتضع وتعز وتذل .

***

نحن ندعي اننا في صحيفتنا نمثل المعارضة اصدق تمثيل ونعرب عن رغبة الامة اشرف اعراب ، ثم نتساءل بقوة هذه الدعوى : اليست المعارضة في البلاد امراً مشروعا وحقاً مقرراً ، وقضية معترفا بها ؟ فلماذا اذن يفتحون الاذن الواحدة لفريق ضئيل من الشعب ويسدون الاذن الاخرى دون سماع الفريق الاكبر اذا كانوا يريدون ان يساووا بين المعارضة والموالاة كما يدعون واذا كانوا حقيقة لايخافون من المعارضة المشروعة الشريفة ؟!

لسنا شيوعيين ولا فوضويين حتى يمنعوا صحفنا من الصدور طوال هذه المدة ولسنا سلبيين في سياستنا للذة في السلبية ، فقد نكون ايجابيين يوم تكون الايجابية في مصلحة البلاد ، وقد نكون سلبيين يوم نرى السلبية تدفع شراً وتصون سمعة ، اما ان السلبية على اطلاقها — كما قال احد الوزراء في احدى الحفلات — جناية لاتغتفر ، والايجابية فضيلة لاتبلى ، فكلام يجب ان يفكر فيه اصحاب العقول السياسية تفكيراً طويلا قبل ان يقولوه ، وان يعترفوا بان هناك فرقاً كبيراً بين ايجابيتهم وايجابية غيرهم ، فهذه الايجابية المطلقة ، القائمة في نظرهم على الضعف والقوة وقلة العدد و كثرته انما هي استسلام . وان نكون من اصحاب هذه الايجابية المستسلمة سواء اكان عددنا مليونين ام كان اربعين مليوناً .

اننا من دعاة الايجابية الشريفة التي تنفع البلاد وتدفع الاذى عنها ، ومن انصار الاتفاق العادل بين سوريا وفرنسا على اساس صيانة حقوقنا ومصالح الفرنسويين .
ان في هذه البلاد فريقين لاثالث لهما الفريق الوطني الذي يمثل الشعب ويتمتع

بثته والفريق الافرنسي فقط وما عدا هؤلاء واولئك فاشخاص يعيشون على الهامش ويقومون على حساب غيرهم في هذا الوطن التاعس .

***

وبعد فان « القبس » التي غيبت واقصيت عن الساحة سبعة اشهر دفعة واحدة ، هي « القبس » نفسها التي تعود اليها في هذا اليوم ، فقد وأدوها صغيرة ، وها هي الآن تعود كبيرة قوية .

اللهم انا نسئلك ان لاتجعلنا في هذه الحياة كالمصيبة تبدأ كبيرة ثم تصغر ، بل اجعلنا كالثروة الحلال تبدأ صغيرة ثم تنمو ، وقرب لهذه الامة المجاهدة الصابرة يوم خلاصها وساعة تحريرها .



الى الاسد المريض والليوث المكبلين (*)

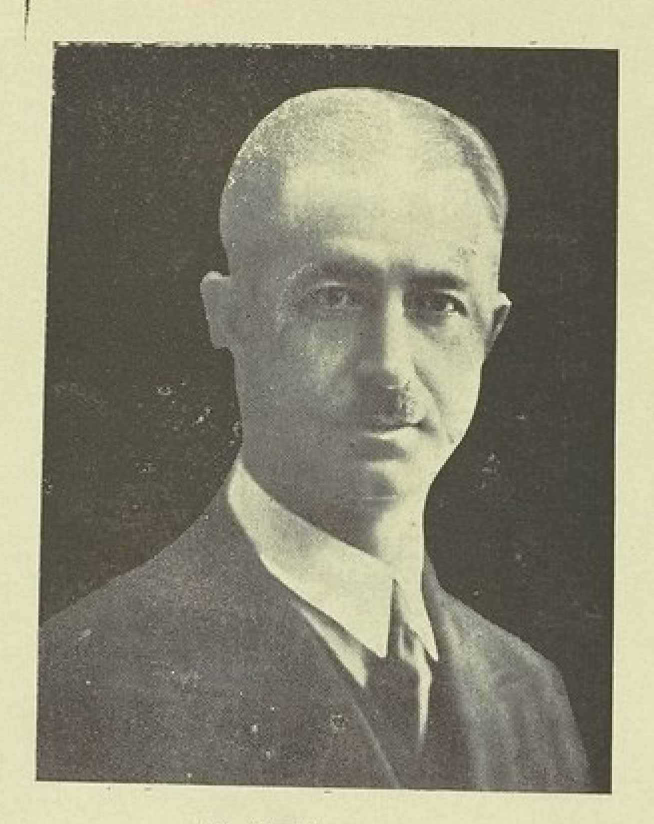
كتبت هذه المقالة في اليوم الثاني من صدور « القبس » بعد تعطيلها سبعة اشهر كاملة ، وقد كان يومئذ الزعيم ابراهيم بك هنانو مريضاً في بحمدون ، وسعد الله بك الجابري والدكتور حسن فؤاد بك في السجن

بارك الله بالالم ولا بارك بالمرض ؛ فالالم مهماز الشعوب كلما امعنوا في ايلامها امعنت هي في كفاح مصدر هذا الالم فهان عليها كيف تبرأ منه وتتقي اسبابه . فالذي لايتألم لايتعلم ، والذي لايضطهد لايحرص على الحرية عندما يظفر بها . ومالا تتعب به الايدي لاتحزن على فقده القلوب ! اما المرض فعدو لايتقى وقدر لايحارب وكلما كبرت النفوس تعبت في مرادها الاجسام . وها نحن اليوم بين الالم نستعذبه ولا نخشى عاقبته ، وبين مرض نكرهه ولا حيلة لنا في رده سوى ضراعة الى الله بان يدفعه عن قلب كبير ووطن تاعس ونفوس قانتة .

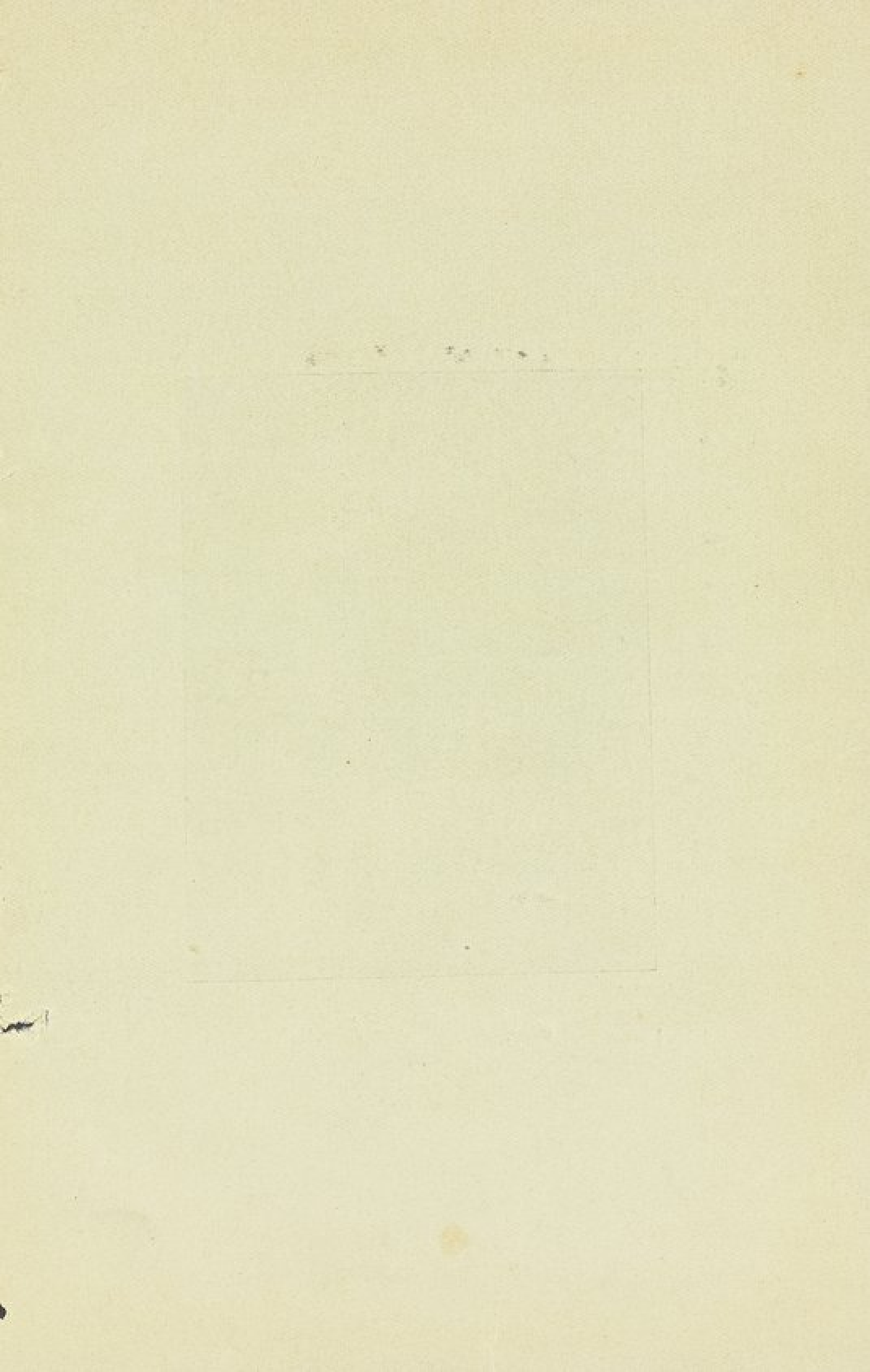
***

تلك هي ضراعتنا الى الله وقد اصيب الزعيم الكبير في خلال تعطيل « القبس » بمرض ارغمه على مبارحة العرين الذي حماه بصحته وذاد عنه بنفسه ، فغادر حلب الى لبنان مستشفياً بهوائه ومائه ، محجوبا عن مقابلة الذين يمسون ويصبحون على ذكره والسؤال عن صحته ، فلا اخلى الله عرين الشهباء من اسده ، ولافجع هذه الامة التاعسة برجاها الذي يرزح المرض تحت عزمه وقوة ارادته ، وحرس لها

(*) نشرت القبس بتاريخ ١٧ تموز سنة ١٩٣٤



الاستاذ سعد الله بك الجابري





الدكتور حسن بك ابراهيم باشا

مهجة زعيمها الذي تمرد على الدهر وحادثاته. فما عرف الارهاب الى قلبه طريقاً ولا استطاعت المغريات بكل مافيها من ثراء وحكم ، ورئاسات ووزارات ان تهتدي الى نفسه الصلبة المتقشفة فتغريها بنعيم الحياة ونضير العيش ، ولا غيرت جميع تلك المواكب الغادية الرائحة من حوله في ذهابه وايابه ولاهاتيك الجموع الزاخرة بالهتاف والمجد والحب والطاعة ، ماغيرت شهد الله هذه جميعها من وداعة نفسه وفرط حلمه وجليل تواضعه ، ورقة قلبه وعفوه الذي ما امتزج يوما بالمن ولا تكدر بالعجز .

ان « القبس » وهي تعود الى الصدور ، ان لهذه الجريدة التي كان وسيظل اسم ابراهيم هنانو غذائها الذي لاينضب ووحيها الذي لايكذب ، ان لها ضراعة وتحية اما الضراعة فالى الله الذي لاتخيب عنده الضراعات ان يحرس مهجة الزعيم وان يجعله اكثر نشاطاً واعظم قوة ، وان يرفق بهذه البلاد في محنتها الطويلة فيعيد الاسد المريض الى عرينه . واما التحية المملوءة بالفخر القومي والكبرياء الوطني والانفة المحلقة فوق السحاب ، فالى تلك الصخرة الصلبة في العقيدة والايمان ، والى هاتيك النفس التي توحي الاباء في اشد ساعات الخطر ، الى سعد الله الجابري مجرداً عن كل لقب ونعت ، الى هذه الشخصية الفذة النادرة .

ثم تحية عطرة ترسلها « القبس » بكل مافي الاحترام والوقار والمهابة من معنى جليل الى عميد الكتلة الوطنية في حلب ، الى صاحب بيت الامة الذي لايغلق بابه دون كل مكرمة وفضيلة ، الى الدكتور حسن فؤاد ابراهيم باشا ذلك الكهل الصبور ، والرجل الذي يحمل على منكبيه المريضين عبء السنين وعبء الوطن . ثم الى بقية وجهاء الاحياء والشباب الى هؤلاء جميعاً في سجون حلب ترسل « القبس » تحيتها ، تحية المطلق من سراحه الى المكبلين في عرينهم ، الاحرار في نفوسهم ، الاباة في مواقفهم .

***

هذه تحيتنا وقد اطلقنا من اغلالنا امس ، الى الذين لايزالون في اغلال السجن اليوم والذين يظلون في معتقلهم عناوين مشرفة للجهاد الوطني وصفحات لامعة

للقضية الوطنية المضطهدة ، والحرية المعذبة ، وغذاء دائماً للاحتجاج على هذه الاساليب في ادارة البلاد .

***

هذا هو الالم الذي لايهيض من جناح الامة ، وهذا هو المهاز الذي كان اعذب من النعيم في حياة النهضات الوطنية فالكفاح في سبيل الحرية اقل شيء فيه انما هو السجن ، والسجن اول درجة من درجات الالم .

ان سعد الله الجابري واخوانه لايخجلون من ان يحكموا بالسجن ستة اشهر او اكثر او اقل ، ولكن الا تخجل الاساليب والاسباب التي جعلت وسيلة لهذا السجن اذا قورنت بالاسباب والاساليب في بقية البلاد وفي فرنسا نفسها ؟ فهل يحكمون هناك على احد بالسجن اذا جيء به الى القضاء للاسباب التي حكم بها اخواننا في حلب ؟

على اننا نتساءل مرة ثانية : هل الحكم على سعد الله الجابري بالسجن يغير من رأيه في السياسة القائمة في هذه البلاد وفي الرجال الذين اقيموا على ادارتها على غير رأي الامة ورضاها ؟! اننا لو احصينا حياة سعد الله في خلال اثني عشر عاما لاوشكنا ان نعد له ايام سجنه ومنافيه اكثر من ايام حريته وانطلاقه ، فهل تبدل الرجل او بدل رأيه في قضية وطنه وفي اساليب الكفاح السامي المشروع المباح في كل امة وفي كل بلد ؟

اننا نريد ان نعتقد بان نظرة القضاء الافرنسي في محكمة التمييز الى هذه الاسباب التي حكم بها اخواننا في حلب ستكون غير نظرة القضاء في الشهباء ، ونرجو ان لانصطدم بخيبة الامل في التمييز كما اصطدمنا بها في البداية والاستئناف .

واذا كانت آمالنا طوال اربعة عشر عاماً تخيب دائماً في رجال السياسة فقد نتقبل هذه الخيبة بعزيمة المكافح ، وعقيدة الوطني الصابر لانه من المنتظر ان لاتجتمع السياسة والعدل في صعيد واحد . اما القضاء فمن المفروض فيه مهما كان لون اهله ان يكون فوق السياسة وفوق اغراضها .



عطوفة الامير شكيب ارسلان

٤٠ سنة في خدمة العرب والاسلام (*)

كتبت هذه المقالة بمناسبة عودة الامير شكيب ارسلان من الحجاز
مع وفد السلام واقامته في فلسطين بضعة ايام
ثم حمله على الخروج وعدم السماح له بالاقامة

يمر على مقربة من هذه الديار في طريقه الى اوربا رجل لايحتاج تعريفه في جميع انحاء العالم العربي والاسلامي الى اكثر من ذكر اسمه مجرداً عن كل شيء. فاذا لفظت الشفاه هذا الاسم الضخم عرف السامعون من هو صاحبه ، وادركوا فوراً ان هناك جبلا من الادب والعلم والعقيدة الاسلامية ، وجبلا عالياً من القومية العربية .

اسم مجرد لايكاد يذكر في اية بقعة من بقاع الارض في اوربا وآسيا وامريكا وافريقيا ، حتى تلمح من بين حروفه وجه جمال الدين الافغاني حكيم الشرق ، وقامة الشيخ محمد عبده مصلح المسلمين ومجدد فكرتهم ، بل انك لتقرأ في خلال هذا الاسم جهاد العرب في طرابلس وبرقه ونضال المسلمين في القفقاس وثورتهم في كريد وتسمع صوتهم من اوروبا الشرقية الى الريف الاسباني فالمغرب الاقصى ، ذلك الاسم انما هو لرجل من اعرق بطون العرب في الجاهلية والاسلام ، واشرف بيت من بيوت الامارة في سورية ولبنان رجل اقل مايقال فيه انه خدم العرب والاسلام نيفاً واربعين سنة فشب وشاخ وابيض شعره وانحنت قامته ولكن رايتهم في يده لاتبرح مرفوعة عالية يطوف بها في انحاء العالم الاوروبي ثم ركزها على

(*) نشرت في القبس بتاريخ ٢٦ تموز سنة ١٩٣٤

ضفة البحيرة الزرقاء كريمة شريفة ،ولوح بها في قلب البلد الذي تزدحم رايات الدول على مشارفه واعاليه ، في جنيف وفي احشاء عصبة الامم ذلك الرجل انما هو الامير شكيب ارسلان صاحب القلم الذي لاينضب والفكر الذي لايتعب ، والنفس الوديعة التي لا تمن ولا تعتب .

***

الامير شكيب ارسلان الرجل الذي اقصي عن وطنه منذ ثمانية عشر عاما ،يمر اليوم في بيت المقدس وبجانب المسجد الاقصى حرم المؤمنين الاول وكعبتهم القديمة ، فيحاط مقامه بقيود وشروط ليقضي بضعة ايام يرى في خلالها امه العجوز التي هدها بعدها عن ابنائها ، وبرح بها الحنين الى شكيب الكبير وعادل الصغير ، فلا تكاد تنقضي مدة الاقامة الممنوحة له من الانكليز حتى بعد عدته للفراق فتنادي صحف فلسطين بطلب تمديد الاقامة او منحه الجنسية الفلسطينية ليقيم في هذه القطعة المفصولة عن الوطن السوري الصغير ، بعد ان حرموا عليه دخول مسقط رأسه الاول وبعد ان منع لامن الاقامة في مصر فحسب بل منع حتى من المرور بها من المطار الى البحر من غير ان يحاط بالجند ويحرم عليه تحية اصدقائه ورؤية اخوانه فحمل في القطار حملا وزج في فندق من فنادق السويس يقوم على بابه الحرس والخفراء ، حتى لايتصل باحد ولا يرى وجه احد ، ولم يخجل الذين امروا بهذه المعاملة من شرف المهمة الانسانية التي جاء الامير من سويسرا الى الحجاز واليمن من اجلها .

واليوم يتساءل الناس في مصر وفلسطين وسورية : اهذه عاقبة من خدم العرب والاسلام حوالي خمسين عاماً ؛ يمنع من الاقامة في بلاد العرب والاسلام ! وهل هذه هي نتيجة الرجال الذين نشروا اسم العرب والاسلام في انحاء الارض واظهروا محاسنه ودافعوا عن اهله بصدق وحق يقصيهم القابضون على عنق سورية ولبنان عن مساقط رؤوسهم ، ويرفضهم اولو الامر في مصر ولا يسمح لهم المحتلون في فلسطين ؟

لقد مل الامير شكيب هذه الغربة الطويلة وعافت نفسه الحياة في اوروبا ،

وبرح به الحنين الى هضاب لبنان وماءه العذب ، والى الغوطة الخضراء في مشارف الشام ، فحيل بينه وبين ماحن اليه ، بعد ان فتحوا هذه البلاد في وجه كل جنس ولون ودين من الروس الى الارمن ومن الروم الى الاشوريين ؟!...

وطلب الاقامة في مصر بعد ان يأس من سورية ولبنان ، طلب الاقامة في جوار الازهر ، وفي ظل جامع عمرو ، كما يقيم هذا الخليط من البشر ، من طليان ويونان ورومانيين ونروجيين وسلافيين ، حيث يزدحم باعة السموم وتجار الحشيش والكوكائين في حماية الامتيازات الاجنبية فقيل له : ان اصحاب الامر لم يريدوا.. وان مصر الكريمة ذات الشعار القديم : احرار في بلادنا كرماء لضيوفنا ، تسبغ كرمها وضيافتها على اولئك الاجانب الغزاة ... اما الامير شكيب الذي خدم مصر واخلص اليها اكثر من كثير من المصريين فان بابها يغلق في وجهه ونيلها يشح في ارواء ظمأه !...

وهذه فلسطين التي تزدحم باليهود من شتى الدول من شيوعيين الى المان ورومان فلسطين العربية مهد المسيح ومعراج النبي لاتتسع للامير شكيب وقد اتسعت لجميع ذلك الغزو الصهيوني البربري !...

***

اي سيدي الامير :

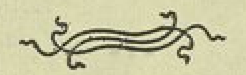
لا استطيع ان اكتب عنك في حياتك وجهادك وعلمك ، اكثر ما كتبته انت في حياة هذه الامة ومجدها وجهادها وفخارها ولكني استطيع ان ابعث اليك من على ضفاف بردى الحزين بتحية ملؤها اللوعة والخجل والذل ، فقد عجزنا وعجز العرب والمسلمون من وادي النيل الى وادي العاصي عن رد غربتك اليك واعادة حريتك عليك . واذا كنت تحن الى الوطن الصغير لتربي اولادك في كنف البيت الذي انجبك ، وفي ظل حنان الام والاهل ، ولتستريح قليلا من جهادك الشاق فانت اكثر مني علما بقول الشاعر :

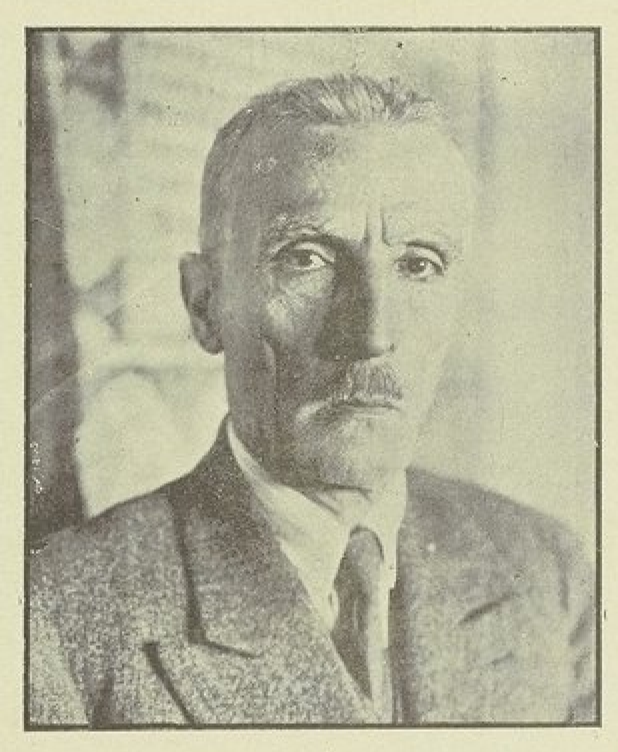
وحبب اوطان الرجال اليهم مآرب قضاها الشباب هنالك

اما انا فانني لااستطيع ان اتمثل في موقفك هذا وقد وقفت في العراء تنظر الى

النيل فتصد عن مائه والى لبنان فتقصى عن ارزه ، والى النيربين ، فلا تسمع تغريد اطياره ، ثم ترمق بعينيك وانت وراء القنال هؤلاء العرب والمسلمين من خليج فارس الى السويس وفيهم الحكام والوزراء والدول ، ترمقهم بعينيك وقد صدوك عن بلادك وبلادهم ، اني لا استطيع بعد هذه التحية الخجلة الذليلة التي ابعث بها اليك وانت على مقربة مني الا ان اردد باسمك قول الشاعر :

ان كان منزلتي في الحب عندكم ... ماقد رأيت فقد ضيعت ايامي !..





الزعيم ابراهيم بك هنانو

رصاص المتآمرين في قدم الزعيم (*)

كتبت هذه المقالة يوم اطلق نيازي الكوسا الرصاص على الزعيم ابراهيم بك هنانو في القرية محاولا اغتياله فاصابه في قدمه وقد قبض على الجاني في انطاكية وحكم بالسجن عشر سنين ثم اصدر المفوض السامي عنه عفوا خاصاً.

لم نعجب لجان جائع يدفعونه الى اغتيال الزعيم ابراهيم هنانو ولا لرصاصة حقيرة تنطلق من يد جبان مرتعشة يستحوذ على صاحبها القلق والخوف فتستقر في قدم الرجل الذي طالما اقض مضاجعهم وصفعهم على رؤوسهم. ولكننا نعجب لتعليل اسباب الجناية في بلاغ حكومة حلب من ان بين عائلة الجاني وعائلة هنانو خلافاً قديماً اذ يقول البلاغ «ويظهر ان الدافع الى هذه الجناية هو لاسباب شخصية ناشئة عن منازعات قديمة بين عائلتي هنانو وكوسا لان «هنانو» اغتصب لها اراضي في قرية حامضة التي كانت تخصها فيما مضى وقد كان نيازي يتهدد هنانو دائماً بهذا الخصوص» اه.

اجل! لم نعجب ان تنطلق رصاصة خائبة من يد حقير فتستقر في قدم زعيم الوطنيين لان رجلا كابراهيم هنانو يرهب خياله اولئك المتآمرون الجبناء، ويحلمون بشبحه المخيف في نومهم — قد يمر في حياته — بمثل هذه المؤامرات التي مر بها سعد زغلول ومصطفى كامل وكل زعيم وطني في هذا الشرق المغلوب على امره، اماني

(*) نشرت القبس بتاريخ ٥ ايلول سنة ١٩٣٢

تسبق حكومة حلب الحوادث وتتخطى التحقيق وتستنتج من عندها استنتاجا وتقول « يظهر ان الدافع هو اسباب شخصية » فهذا هو موضع العجب والدهشة !

من قال للذين اصدروا البلاغ ان الجاني اقدم على الجناية لان عائلة هنانو اغتصبت اراضي عائلته ؟ وهل كانوا على علم بان نيازي عازم على اغتيال الزعيم هنانو من اجل الاراضي ؟! وهل قبضوا على الجاني واستجوبوه فادلى اليهم بهذه الاسباب ؟! او هل بين الزعيم هنانو وبين هذا الجرم دعوى في المحاكم حكمت له على الزعيم وقررت بانه مغتصب ؟! الجواب على هذه الاسئلة بالنفي طبعاً !... فبأي حق اذن يستبقون الحوادث ويتخطون التحقيق ويصدرون مثل هذا البلاغ ؟!

هذا هو السؤال الذي لايجدون له جوابا الا اذا قال لنا جماعة المتآمرين بان الجاني اعلمهم بهذا كله فتبرعوا للحكومة بهذه المعلومات عن اسباب الجناية !

هنانو مغتصب ؟!.. سبحان الله !... هكذا يقول البلاغ الرسمي ! فلماذا لاتزيل الحكومة التي اصدرت هذا البلاغ ظلامة نيازي الكوسا وتعيد ارضه اليه من يد ابراهيم هنانو ؟!

هل هنانو حكومة ؟! وهل الحكومات والمحاكم ودور القضاء والسلطات كانت تعطف عليه وتؤيده ام كانت تقاومه وتقاوم اخوانه وترهق كل وطني في هذه البلاد ؟

لا ... ان اسباب الجناية لم توفقوا الى اقناع الناس بها فاستبقتم الحوادث وتخطيتم رقبة التحقيق والقضاء واذعتم هذا البلاغ .

والآن ! ان هنانو لم يصب الا بقدمه وان الرصاصة كانت ارحم من المتآمرين بهذه الامة فلم تصل الى القلب او الى الرأس . وهنانو الذي زحفت حلب من اولها الى آخرها تسأل عن صحته الغالية هو الذي يستقر رصاصكم في قدمه وتستقر رهبته في قلوبكم وتحنون بوطأته على رؤوسكم .

اما الجاني فليس صاحب ظلامة على ابراهيم هنانو بل ان هنانو من الذين يحسنون اليه ويعطفون عليه برأ بصداقة قديمة بينه وبين والده . وهاهو ذاقبل الجناية احسن اليه ودفع له اجرة السيارة فاذا به كما يقول الشاعر :

اريد حياته ويريد قتلي !...

ولكن اللؤم هو الذي جعل المتآمرين يستثمرون نيازي ويدفعونه الى هذه الجناية التي عرفت رصاصتهم مكانها من هنانو فاستقرت في القدم وخرجت من موضع الحذاء، لان الذين اطلقوها ودبروها وسهروا عليها لايرتفعون الى اكثر من مكان رصاصتهم !...

مؤامرة ؟!..

اجل ! مؤامرة وسنظل نقول مؤامرة مادامت الحكومة لم تقبض على الجاني. وسنظل على اعتقادنا حتى يستجوب نيازي بعد القبض عليه وحتى يقرر هو من نفسه ان الدافع له هو الاسباب التي ذكرها البلاغ الرسمي . اما ان يظل الجاني فاراً وان ينوب عنه الاستنتاج في البلاغات الرسمية وتقول الحكومة من تلقاء ذاتها « والظاهر ان هناك اسبابا شخصية او منازعات على اراضي » فهذا حدث جديد وبدعة في السياسة والقضاء والتحقيق !...

***

سيدي الزعيم !

ان الرصاصة التي وجهت اليك لم توجه الى شخصك ولكنها كانت موجهة الى كل رجل مخلص في هذه الامة التي تدين بمبادئك وتعتنق حبك واحترامك . ولكن انظر ياسيدي اين استقرت رصاصتهم ؟ انها في قدمك وفي موضع حذائك، وهذا هو المقياس الصحيح بينك وبينهم وبين مكانتك ومكانتهم ؟!

لقد كتب على الوطنيين في كل امة وفي كل عصر ، وقدر على زعمائهم بصورة خاصة ان يرهقوا ويعذبوا وتدبر المؤامرات على حياتهم ويطلق عليهم الرصاص فحملة الرايات دائما هم هدف الاعداء في المعارك لانه ان سقط حامل العلم سقط العلم ولكن الله يأبى ان تنكس رايتك ويسقط علمك . فعش لهذه الامة واحمل لواءها فانك لاتموت ولا تموت مبادؤك.



لبنـــــان وطن مسيحي ! (*)

— ١ —

« — ولكنهم يا صاحب الغبطة يتشبثون بارجاع الاجزاء التي الحقت بلبنان الى سورية

« — ومتى كانت سورية مالكة لهذه الاجزاء وسلبناها منها ، ان هذه الاجزاء هي اصلا للبنان وقد سلبت منه في الازمان الماضية فاذا استعادها اليه فقد استعاد ماهو مالكه ، واسترد ما هو حق له . الم يكن لبنان ممتدا حتى انطاكية وحتى عكا وما وراءها ؟ ! ..

نحن قبلنا بطيبة خاطر واما الاقليات والاكثريات وقولهم فيها فلا يعنينا ولبنان وطن مسيحي .

« من حديث صاحب الغبطة بطريرك الموارنة »

هذه فقرات من حديث حضرة صاحب الغبطة الحبر الجليل بطريرك الموارنة افضى به الى مكاتب «المقطم» البيروتي . وقد نشرنا امس نص الحديث ونريد اليوم ان نعلق على هذا الحديث باعتباره حديثا سياسيا يتناول الموقف السياسي الحاضر

(*) نشرت في القبس بتاريخ ٢٠ شباط سنة ١٩٣٣ وكانت المفاوضة جارية بين الوطنيين في الوزارة وبين المفوض السامي السابق المسيو بونسو .

وله العلاقة المباشرة بسورية ، وباعتبار ان صاحب الحديث يخرج به حديثه عن مقامه الديني ويبرز الى صف رجال السياسة فيبحث الانتدابات والمعاهدات بل يمتد حديثه الى ماوراء الحدود !...

ولانه ليعز علينا ان يكون موضوعنا اليوم في صميم حديث غبطة البطريرك لان غبطته تناول قضيتنا ايضا في الصميم ... وكنا نتمنى ان يكون غيره صاحب الحديث وان تصدر هذه التصريحات عن احد رجال السياسة في لبنان ، ولكن غبطته اراد ذلك فلا حول ولا قوة الا بالله !

***

ينقسم حديث غبطة البطريرك الى قسمين : قسم سياسي تاريخي وهو المتعلق بالبلاد التي سلخت عن سورية بقوة الاحتلال والحقت بلبنان . وقسم ديني وهو قول غبطة البطريرك « ان لبنان وطن مسيحي » !!! اما القسم الاول فهذ جوابنا عليه :

نحن الان في موقف سياسي دقيق اقل مايقال فيه انه موقف تصفية بين سورية وفرنسا من جهة وبين سورية والبلاد التي سلخت عنها من جهة ثانية. وما دامت قضية المعاهدة او الغاء الانتداب ستطرح على البحث في هذه الايام ، فان من حق سورية ان تعلم : هل البلاد المسلوخة عنها عقيب الاحتلال الافرنسي هي بلاد سورية وسكانها سوريون تجب المطالبة بها واعادتها اليها ام انها اخرجت نهائيا من الجسم السوري واصبحت الى الابد بلادا لبنانية متممة للوطن اللبناني الذي يقول عنه غبطة البطريرك انه وطن مسيحي ؟!

هذا سؤال نلقيه على الفرنسويين الذين اقتطعوا هذه الاجزاء السورية بقوتهم وضموها الى لبنان رغما عن اهلها .

وسؤال نوجهه الى المفاوض السوري الذي يتقدم الى المفاوضة باسم سورية ذات القضية الوطنية السياسية التي تعرض اليوم على التصفية النهائية لنعلم كيف يكون موقف هاتيك الاجزاء من الوطن السوري .

وهذا السؤال نفسه نوجهه الى سكان هاتيك البلاد الذين ضموا الى لبنان بغير

ارادتهم ، والذين لم يقولوا ساعة واحدة لا بالانتداب ولا بلبنان .

يقول غبطة البطريرك : متى كانت هذه الاجزاء تابعة لسوريا وسلبناها منها ؟!
ونحن نستبيح غبطته العذر المقرون باسمى انواع الاحترام والتبجيل لنقول له :
لستم انتم ياسيدي الذين سلبتم هذه الاجزاء من سوريا والحقتموها بلبنان لانكم انتم
وكل من في لبنان لستم قادرين على نقل حفنة من رمل طرابلس او حجر من قلعة
بعلبك وضمها الى لبنان القديم بل الذين اقتطعوا واخذوا هذه البلاد هم غيركم على
كل حال ، هم الفرنسويون اصحاب الاساطيل والجيوش والمدافع . فانتم لستم
الاخذين ، بل انتم المأخوذ لكم . ولو كانت المسألة محصورة فقط بين لبنان القديم
وبين البلاد التي الحقت به بعد الحرب العامة لكان للمسالة وجه اخر ، انتم ادرى
به منا . ولكن الذي نريد مناقشته في هذه الدعوة هو ان حدود لبنان كانت الى
ماوراء طرابلس وصيدا وعكا وانطاكية ... اما عكا فقد كان لبنان نفسه تابعا لها في
بعض الاحيان فضلا عن صيدا وطرابلس لان تشكيلات الاقطاع لم تكن لتثبت
دائما على حدود معينة ولان صاحب السيادة الاول على جميع هذه البلاد هو
السلطان فكان يقطع احد الباشاوات دمشق والقدس في وقت من الاوقات ،
كما كان يقطع غيره طرابلس ولبنان والبقاع وحمص وانطاكية ، فاذا كانت
طرابلس وصيدا وبعض البلاد الاخرى تابعة في يوم من الايام الماضية لاحد
الاقطاعيين في لبنان او في عكا فليس ذلك ان هذه البلاد اصبحت حدودا ثابتة للبنان
لانه لم يكن اذ ذاك وطن اسمه لبنان او فلسطين او سورية لكل منها حدود معينة
ثابتة بل كان الوطن الواحد هو جميع الاراضي التي يبسط السلطان العثماني سيادته
عليها سواء اكانت هذه السيادة مباشرة كالاستانة مثلا او كانت بواسطه الباشاوات
الاقطاعيين كدمشق وعكا وحلب وطرابلس ولبنان . اما الوطن اللبناني الحقيقي والذى
كانت له حدود ثابتة معينة وكان له تحديد جغرافي فقد كان لبنان القديم الذي انشيء
بعد عام ١٨٦٠ ومع ذلك فلم يكن مستقلا بالمعنى المفهوم من الاستقلال السياسي لان
راية السلطان كانت ترفرف عليه رغما عن ان متصرفه كان يعين باتفاق الدول

الاوربية ولكن ذلك المتصرف كان عثمانيا وكان اسمه متصرف السلطان وكان يحمل فرمان تعيينه من السلطان وبارادته وبتوقيعه

ذلك هو لبنان الحقيقي الذي جاء الاحتلال على نظامه القديم فالغى تلك الامتيازات وذلك النظام وجعل جميع البلاد باسم بلاد العدو المحتلة فاخضعها بعد ذلك لنظام الانتداب فنها من قبل هذا الانتداب عن طيبة خاطر وهم اللبنانيون الموارنة ومنها من رفض الانتداب علنا وجهارا ولم يعترف به لا امام اللجنة الاميركية ولا امام غيرها وهم المسلمون في طرابلس وصيدا وصور وجبل عامل وبعلبك وحتى في لبنان الصغير نفسه ولكن فرنسا كانت بالرغم عن ذلك تحكم البلاد حكما مباشراً عسكريا وكانت تلك البلاد خاضعة للامر الواقع وهذا الامر الواقع هو الاسطول والجيش والمدفع ، فهل معنى ذلك ان طرابلس وبقية البلاد المذكورة اعيدت الى لبنان بمجرد وجود الحاكم الافرنسي واحداً على الجميع ؟ !

ان فرنسا اليوم تريد ان تصفي الانتداب وهذه البلاد مدعوة للتحرر من هذا النير الثقيل ، فاذا كان اللبنانيون الذين يتكلم بلسانهم صاحب الغبطة لا يريدون هذا التحرر فهم احرار ولكن سكان طرابلس وصيدا وصور وجبل عامل وبعلبك والبقاع الذين لم يقبلوا بالانتداب من قبل والذين يريدون ان يتحرروا من نيره ويطلبون ان يؤلفوا مع اخوانهم هنا دولة سورية واحدة - ان هؤلاء لا يستطيع صاحب الغبطة ان يتكلم بلسانهم ولا ان يقول بالنيابة عنهم « ان لبنان قبل الانتداب عن طيبة خاطر » فغبطته له ملء الحق ان يقبل الانتداب باسمه وباسم جميع الموارنة. اما ان يقبله باسم رياض الصلح وعمر بيهم وعبد الحميد كرامة وعمر الداعوق وغيرهم في بيروت وطرابلس ، وباسم آل الجوهري والصلح وابي ظهر وآل الخليل والشهابي وظاهر والزين وعسيران وحيدر في صيدا وصور والنبطية وحاصبيا وبعلبك فهذا كثير وعجيب ومدهش لان هؤلاء لا يمثلهم غبطته حتى يقبل الانتداب باسمهم .



لبنـــــان وطن مسيحي ! (*)

مكاتب المقطم -: لا اعلم اذا كنتم غبطتكم قد اطلعتم على البيان
الذي افضى به المسيو بونسو امام لجنة الانتدابات
في جامعة الامم وفيه يذكر ان لبنان بين البلدان
التي قبلت الانتداب في هذه البلاد بطيبة خاطر
وذلك لاختلاف مذاهب سكانه وكيف سرد
المسيو بونسو للجنة احصاء سكان لبنان وقال ان
جميعهم من الاقليات التي لا يمكن لواحدة منها
ان تسود الاخرى

غبطة البطريرك -: نعم نحن قبلنا الانتداب بطيبة خاطر واما الاقليات
والاكثريات وقولهم فينا فلا يعنينا فلبنان
وطن مسيحي

نعود مرة ثانية فنتقدم بكل خشوع واحترام الى حضرة صاحب الغبطة الحبر الجليل بطريرك الموارنة معتذرين عن اضطرارنا كصحفيين ومن طلاب الوحدة السورية للبحث في حديث غبطته الذي افضى به الى مكاتب « المقطم » اللبنـاني في

نشرت في القبس بتاريخ ٢٢ شباط سنة ١٩٣٣

ظروف توضع فيها مقدرات هذه البلاد موضع البحث . ونكرر مرة اخرى ماقلناه في المقالة الاولى من اننا كنا نتمنى ان لايكون غبطته صاحب هذا الحديث الذي يتناول قضيتنا الوطنية والقومية في الصميم لاننا نحن في الشام لانعرف ولا نريد ان نعرف ولا نقبل ان يعرفنا احد بان سكان دمشق غير سكان طرابلس واهل حلب غير اهل اللاذقية ، وابناء حماه غير ابناء النبطية وبعلبك ، فجميع هؤلاء سوريون عرب يطلبون الوحدة والاستقلال ويرفضون الانتداب ، فكيف يراد منا ان نمر بحديث كحديث غبطة البطريرك ، يجعل فيه اربعمائة الف سوري عربي في عداد بقعة صغيرة من الارض قبلت الانتداب بطيبة خاطر ؟ بل جعل غبطته هؤلاء الاربعمائة الف وبلادهم التي تفوق مساحتها مساحة وطن غبطته الاصلي ـ جعلهم جميعا بل ادخلهم في دولة جديدة عمرها عشر سنين فقط ثم قال عنها انها قبلت الانتداب وانها فوق ذلك وطن مسيحي ؟...

***

لقد نسب الى الدكتور ايوب ثابت او الاستاذ اميل اده انه قال مرة عن المسلمين في لبنان : اذا كان لايعجبهم ان يعيشوا تحت سيطرة الحكم المسيحي فليهاجروا الى مكة !... لقد كان هذا القول ارفق بالمسلمين من قول البطريرك لانه (سمح) على الاقل لهؤلاء المسلمين بالهجرة الى مكة ... اما غبطة البطريرك فقد سد عليهم حتى طريق الهجرة فقال عنهم وعن بلادهم التي يسكنونها انها وطن مسيحي من غير ان يدلهم على الطريقة التي يتخذونها في تصفية املاكهم وقطع علاقاتهم والوسائط النقلية التي يحملون بها نساءهم واطفالهم عندما يجلون عن بلادهم ؟! اهي بواخر شركة (فابرلين) مثلا التي لايجوز السفر الى مكة بغيرها اذا ارادوا الهجرة اليها ، ام هي سيارات (نرن) اذا قرروا الهجرة الى العراق . ام هي الابل اذا عزموا على الرحيل الى نجد او اليمن بطريق الصحراء ؟! احسبوا هؤلاء الاربعمائة الف مسلم كالارمن اللاجئين الى حلب مثلا !... فابراهيم هنانو حتى الآن لم يقل عن حلب انها مدينة اسلامية ، فكيف يجوز القول عن طرابلس وبيروت والبقاع وبعلبك وعكا وجبل عامل وصور وصيدا انها وطن مسيحي ؟! هذا كثير ؟!

نقول لاخواننا اللبنانيين الموارنة ولا سيما بعض الزملاء منهم ، اننا لم نكره هذه الصراحة التي تحدث بها غبطة البطريرك ، لانها هي الحقيقة التي تنطوي عليها النفوس هناك وهي تفسير واضح للفكرة الاصلية التي خلقوا دولة لبنان انقاذاً لها وضموا لها بلاداً تفوق مساحتها وسكانها اضعاف مساحة لبنان الاصلي :

اجل ! اننا لم نكره هذه الصراحة التي يتحدث بها بطريركهم الجليل لنتخذ منها ابلغ تكذيب لهم على كل ماقالوه منذ اثني عشر عاما حتى الآن من ان لبنان ليس وطناً مسيحياً او اسلامياً بل هو وطن للجميع !... فالآن وبعد هذه الصراحة التي نشكر عليها صاحب الغبطة نستطيع ان نقول لاولئك الزملاء الاعزاء والاصدقاء ايضاً : انكم كنتم غير صريحين وكنتم لاتقولون الحقيقة من ان لبنان وطن الجميع بل ان لبنان وتكبيره واعلان استقلاله وجمهوريته ، كان عبارة عن مؤامرة سياسية اكليريكية استعمارية ، ولكن هذه المؤامرة ان عاشت عشر سنين اولى فلن تعيش عشرا اخرى فالمستقبل لله ثم للفكرة القومية الوطنية لا للفكرة الدينية ولا سيما في هذه البلاد التي تحيط بها دول عربية مستقلة فها هو العراق عن شمالها وها هي مصر عن يمينها ، وهاهي الفكرة القومية تكتسح كل مايقف في طريقها من حواجز مذهبية او طائفية ، وها هي المدارس وقد تحررت او كادت من تسلط الرهبنة والمشيخة ، وها هي البطون تلد الفرادي والتوائم ، وها هي المبادىء العلمانية ترضعها الامهات مع اللبن . فلا وطن مسيحي بعد ذلك ولا اسلامي بل وطن سوري عراقي لبناني اردني ، وبالتالي وطن عربي لاعوج فيه !

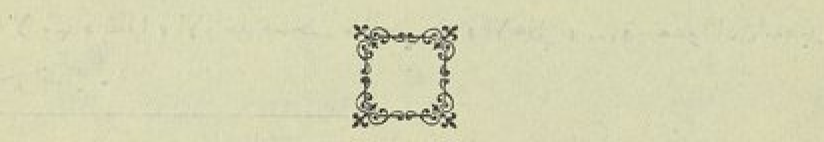
اما الآن ، وما دام لبنان على وضعه الحاضر وما دامت الطائفية تسوده والبطاركة والمطارنة يتكلمون باسمه فنحن نريد ان نسأل : كيف تريدون ان يكون لبنان وطنا مسيحياً والاكثرية العددية فيه والعقارية هي للمسلمين ؟!

هذه دفاتر الاحصاء فاسئلوها ، وهذه سجلات الاملاك والعقارات والاراضي فافتحوها هل تجدون ان المسيحيين على اختلاف طوائفهم يعدون رقما اكثر من المسلمين على اختلاف طوائفهم ايضاً ؟! وقايسوا بعد ذلك بين دافعي الضرائب للخزينة اللبنانية الا تجدون ان الـ ٤٠٠ الف مسلم المقيمين في البلاد فقط يدفعون

ثلاثة اضعاف بل اربعة اضعاف مايدفعه الـ ٤٠٠ الف مسيحي بمافيهم المهاجرون ؟!
فكيف يكون اذن لبنان وطنا مسيحياً وقابلا للانتداب بطيبة خاطر ؟! فهل نسينا ثورات جبل عامل وبعلبك واحتجاجات طرابلس وبيروت ومقاطعة اهلهاللوظائف ورفضهم الاعتراف بالانتداب وبلبنان الكبير ؟! فاذا كان لبنان وطناً مسيحياً للمسيحيين فماذا يعمل الـ ٤٠٠ الف مسلم الساكنين فيه ؟!ايهاجرون امينتصرون ام يشربون البحر ؟!

بالامس يقف رجل عظيم كالاستاذ فارس الخوري في قلب مدينة حلب خطيباً في النصارى فيقول لهم : لا اقلية ولا اكثرية بل نحن جميعاً سوريون عرب ندين بدين الوطنية والقومية، بل يقف هذا المسيحي الكبير معلم الشباب العلم والوطنية يقف في وسط الجامع الاموي في حلب في سبعين الف نسمة مسلمين ومسيحيين فيدعو الى القومية والى تناسي هذه الفوارق المذهبية – وبينما يقف فارس الخوري مثل هذه المواقف الفخورة في سورية يرتفع صوت اكبر رجل في الموارنة على صفحات المقطم بصفته زعيما سياسياً لبنانياً فيقول : ان لبنان وطن مسيحي !...

لا سيدي ! ان لبنان المسيحي قد يكون في كسروان وفي اهدن وبشري وزغرتا . اما في بيروت وطرابلس وصيدا وجبل عامل وبعلبك وحتى في الشوف فلن يكون مسيحياً .



تجزئة جديدة باسم الوحدة (*)

« ..... وهذه الحكومة ستتابع المفاوضات جاعلة نصب اعينها تحقيق الاماني القومية وبصورة خاصة منها الوحدة السورية ».

***

« كما وانها ستهتم ايضاً بوضع تدابير على اساس اللامركزية من شأنها تنشيط العمل الاداري وتنفيذ رغائب الاهلين وتحقيق طلباتهم بصورة سريعة دون ان تمس تلك التدابير بكيان الدولة الاساسي »

***

« وتأميناً للمصلحة العامة ستتصرف الحكومة بسلطة رشيدة « كذا ... » فتجعل القانون مطاعاً ومتبعا والحرية الشخصية مصونة ومضمونة مراعية حقوق الاقليات بعدل وانصاف ».

قيل لنا امس افتحوا عيونكم فقد نالت وزارة الشعباني الثقة !... وها هي الوحدة في قلب البيان الوزاري تلقمكم حجراً !... ثم استعدوا بعد ذلك لتلقي الحملات والشتائم فقد تقرر اصدار جميع الصحف التي كانت محتجبة والتي كان يستعملها خصومكم في ايام حكوماتهم لشتمكم وسب زعمائكم وابائكم واجدادكم !. واذا لم تكف هذه كلها لايمانكم برسالة « الاعتدال » وفضيلة هذه الوزارة الجديدة ولا سيما « بطلها » الاوحد صاحب « المعالي » و « الاهالي » ... فاستعدوا اذن لتعطيل جرائدكم .

(*) كتبت هذه المقالة بعد استقالة الوطنيين من الوزارة وتأليفها مرة ثانية برئاسة حقي بك العظم ودخول شاكر بك الشعباني فيها والقائها بيانها الوزاري في المجلس النيابي وبعد انسحاب النواب الوطنيين منه وقد نشرت في القبس بتاريخ ١٠ ايار سنة ١٩٣٣

هذه اول نغمة سمعناها امس بعد ان خرجت الوزارة من المجلس مثقلة بحمل اكاليل « الظفر » تجر ذيول الثقة « الغالية » والقوة التي كانت معسكرة حول دار البرلمان !... ونحن نريد اذن ان « نلحق حالنا » قبل تنفيذ هذا التهديد لنقول كلمة في البيان الوزاري مادامت حياتنا الصحفيه تعيش تحت رحمة الساعات والدقائق وتحت سلطة « الزميل » صاحب جريدة الاهالي غير الغراء ...

***

اننا لانخاف ابداً من تعطيل الجريدة فالصحف الوطنية التي تصدر تحت رحمة هذه الوزارة وقانون قمع الجرائم والشعباني معماء اقل ماينزل فيها هو التعطيل وباصحابها الاضطهاد . وقد مر بنا بكل فخر وصبر جميع انواع هذا الاضطهاد من تعطيل ودعاوى كثيرة واحكام قاسية شديدة وغرامات مالية ضخمة ، فهل آمنا بغير الله وبغير العقيدة الوطنية ؟ وهل دعونا لغير استقلال الامة ووحدتها وسيادتها حتى اصبحنا كما يقول المثل العربي القديم (اللبط تهدد بالشط) ؟!... ولكن الذي لن نؤمن به ابداً هو هذا التمويه على الامة باسم الوحدة الكاذبة والسيادة الموهومة والاستقلال المزيف الذي جاء في بيان الوزارة وهي تعلم انها لاتملك من هذه الامور شيئاً ، بل هي لاتملك حتى وضعها على الورق قبل ان يشاء الفرنسويون .

لقد قلنا للامة قبل ان يصدر بيان الوزارة ببضعة ايام ان الوحدة السورية لايملكها الا الذين جزأوها وان البيانات الوزارية عن هذه الوحدة لوكانت تنفع في تحقيقها واطمئنان البلاد عليها لكان بيان الوزارة السابقة قد نفع ونحن لانريد بياناً عن الوحدة من الوزارات السورية وانما نريدها من الفرنسويين . اما هذه الوزارة وهذا المجلس ورئيس الجمهورية ايضاً فكلهم مجتمعين لو صرحوا بالوحدة لما كان تصريحهم اكثر من كلام لايملكون امر تحقيقه ولا يتقيد به احد. فهل يريدوننا ان نصدق بان هذه الوزارة تحقق الوحدة بعد ان رفض الفرنسويون تحقيقها ايام الوزراء الوطنيين وهم المخلصون لها المتهالكون على تحقيقها لانها مبدأ من مبادئهم وعقيدة في نفوسهم ؟!

ان الوحدة عمل افرنسي صرف كما كانت التجزئة ايضاً عملا افرنسياً صرفا

ليس لاهل البلاد يد فيها . وهذا بيان المفوض السامي في جنيف يعلن بكل صراحة انه لايريد الغاء الانتداب الا عن هذه الجمهورية ولا يعاقد غير حكومتها ولا تنفذ المعاهدة الا في اراضيها ، فهل يريد الشعباني ان نؤمن ببيان وزارته ونكفر ببيان المفوض السامي ، وهو صاحب الوحدة والتجزئة في وقت واحد ؟! فلا تخدعوا الامة اذن بالفاظ الوحدة والسيادة فلستم اصحابها بل انتم اتيتم الى الوزارة لتكونوا وزراء فقط رفعتكم القوة الى الكراسي رغماً عن انوف الامة وغصبا عن عيونها بعد ان ملأتم البلاد بانتخاباتكم احقادا وضغائن وفككتم روابطها العائلية ونلتم في جرائدكم من كرامات الرجال وايقظتم في الشعب روح التفرقة واحييتم في نفوسه النعرات المذهبية والطائفية ، وها انتم تعودون اليوم بعد ان قضى الوطنيون في وزارتهم وفي اجتماعاتهم وفي خطبهم في دمشق وفي حلب على هذه الفوارق وتلك الروح المسمومة ـ ها انتم تعودون اليوم فتحاولون ايقاظ هاتيك الاحقاد لتتملقوا الى بعض الاشخاص فتقولون في بيانكم الوزاري انكم ستراعون حقوق الاقليات بعدل وانصاف ؟

اية حقوق هذه ، واية اقليات تلك كانت قبل وزارتكم مغتصبة مظلومة حتى تعدوا اصحابها برعايتها وحفظها ؟! فهل كان جميل مردم ياصاحب الاهالي يقوم بدور هتلر في اضطهاد الاقليات في وزارته حتى تأتي انت لانقاذهم ورعاية حقوقهم ، وانت اول من تقدم في جريدته ايام الانتخابات الى ايقاظ هذه الروح المسمومة والنعرة المجرمة لتحرض النصارى والارمن على رجال الكتلة الوطنية لتفوز باصوات ناخبيهم ؟

اتفرقة جديدة بين الشعب السوري الواحد تفاجئون بها البلاد في اول يوم من ايام وزارتكم ، وفي ابرز عبارة من عبارات بيانكم ؟! افلا يكفيكم الضحك على الناس بكلمة الوحدة التي ذكرتموها تخديراً وتغريراً وانتم تعلمون بانكم عاجزون عن تحقيقها وتعلمون بل تعتقدون ان الفرنسويين لو كانوا مستعدين لها لحققوها على يد الوطنيين وهم الممثلون الحقيقيون للبلاد والعنصر الاقوى فيها ـ الا

يكفيكم ذلك حتى تنادوا بتفرقة جديدة وتثبتوا على الشعب السوري وعلى جميع الحكومات التي تقدمت حكومتكم ، بان حقوق الاقليات لم تكن مراعاة بعدل وانصاف في الماضي وانكم انتم المرسلون لحمايتها ورعايتها الآن ؟!

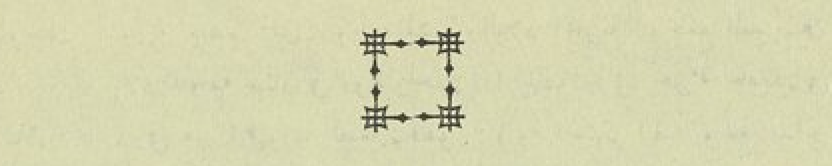
مساكين الاقليات ، وتعساء ايضاً اذا كانت حقوقهم لم تحفظ على عهد الانتداب في خلال ثلاثة عشر عاما ، وفي ايام الحكومات الماضية وهي الآن ستراعي بعدل وانصاف في ايام صاحب جريدة الاهالي والحاج محمد افندي الاطه لي والشيخ سليمان الجوخدار حامي حمى القانون والعدل في محكمة التمييز السابقة ؟!

***

وتعالوا اسمعوا الآن تناقضا فاضحا في بيان الوزارة ، فبينما هي تقول بانها ستأتي بالوحدة السورية وتضم شمل الوطن المهشم والبلاد المجزئة وتجمع العلويين والدروز والبلاد الملحقة بلبنان في دولة واحدة اذا بها تحاول تجزئة جديدة في البلاد المجزأة وفي هذه الجمهورية الصغيرة فتقول : (وانها ستهتم ايضاً بوضع تدابير على اساس اللامركزية من شأنها تنشيط العمل الاداري وتنفيذ رغائب الاهلين وتحقيق طلباتهم بصورة سريعة دون ان تمس تلك التدابير بكيان الدولة الاساسي) اي اننا نسمع من جديد كلمة « رغبات الاهلين » التي بني عليها الجنرال غورو تقسيم الوطن الواحد الى « دول » ومقاطعات سورية ولبنان والعلويين وجبل الدروز واسكندرون وحلب . فهل نحن الآن امام لامركزية تجعل من هذه البلاد الصغيرة مقاطعات جديدة في حلب ودير الزور وحوران والفرات ؟!

اننا لانفهم من هذه « اللامركزية » الا توسيع سلطة المستشارين وضباط الاستخبارات واضعاف السلطة الوطنية الحكومية في حلب والفرات والجزيرة ولا نفهم من « رغبات الاهلين » الا الاستعداد لخلق استقلالات ادارية ومحلية جديدة ضمن الجمهورية السورية . وهذا ماهددتنا به « لاسيري » منذ شهرين بقولها : (اذا لم تقنعوا بوحدة جمهوريتكم الحاضرة فاعلموا بانكم معرضون الى استقلالات ادارية ومحلية جديدة في قلب هذه الجمهورية) !..

اهذا هو بيانكم الوزاري اذن ياوزراء الوحدة والسيادة والاستقلال؟! تجزئة جديدة فوق التجزئات الحاضرة ، في قلب الجمهورية السورية باسم اللامركزية ؟ وتفرقة خطرة في الشعب السوري الواحد باسم الاقليات ورعاية حقوقهم ؟!وبالتالي اضعاف السلطة الحكومية الوطنية في الولاة والمتصرفين والقائمقامين وتوسيع سلطة المستشارين الافرنسيين وضباط الاستخبارات ؟!



من الرياض الى صنعـــــاء

• كتبت هذه المقالة والمقالتان التاليتان فى صيف عام ١٩٣٤ بمناسبة الحرب السعودية اليمانية التى انتهت والحمد لله بعقد تلك المعاهدة العربية القومية بين الملكين العربيين المستقلين وقد نشرت هذه المقالات الثلاث فى جريدة النهار البيروتية فى ٢١ و٢٣ و٢٥ ايار عام ١٩٣٤

اذا كان في ملوك العرب وامرائهم رجل مؤمن بالله حق الايمان ، معتقد بان الظفر والانكسار مشيئة من مشيئات الله — فضلا عن الاستعداد الشخصي — فذلك المؤمن هو عبد العزيز ابن السعود .

واذا كان مسلم فى بلاد العرب يتخذ القرآن قانوناً ، وآيات الكتاب وما فيها برنامجاً سياسياً وحربياً واجتماعياً ، له ولجماعته وللشعب الذي يحكمه ايضاً فهو ابن السعود وحده ، ذلك المؤمن الذي عندما فتح اول فتح في نجد وسار الى استرداد حق آبائه المضيع مع نفر من اهله وخلص اصحابه لا يتجاوزون العشرين ، وقيل له : الى اين انت تقصد مع هؤلاء النفر ، قال متمثلا بقوله تعالى : « وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » .

واذا كان في هذه الدنيا المريضة ملك او رئيس دولة يمثل العصامية حق التمثيل ويخلق ملكا ودولة وشعباً تقوم على اساس العدل والحق فهما اثنان : عبد العزيز بن السعود ، والاستاذ مازاريك رئيس الجمهورية التشيكوسلوفاكية . هذا عصامي في قلب

اوربا وفي قلب الجامعات العلمية ودروس التاريخ والفلسفة ، وذاك عربي في قلب الصحراء وبين رمال الدهناء والنفود . اما اولئك الملوك ورؤساء الجمهوريات فهم احد رجلين : ملك ورث العرش عن ابيه وجده ، وآخر رفعه الى الرئاسة شعب ظافر منتصر في ميادين العلم والثروة والقوة .

اما عبد العزيز فقد خلق شعباً وانشأ دولة وفتح بلاداً ، فاذا به بعد عشرين سنة من حلمه الضخم يمشي في طريق انشاء الامبراطورية العربية واذا بهذا اللاجيء الى الكويت ينسل في ظلام الليل الى الرياض : يحاول ملكاً او يموت فيعذر ، يحقق المحاولة الاولى باسترداد سلطان آل السعود ثم يخطو الخطوة الثانية الى مكة فيطلع عليها من وراء الطائف يحمل في اليد الاولى سلطنة نجد وفي الثانية عرش الحجاز ، ثم يستقر به القدر ويقول له الايمان : يؤجر المرء رغماً عن انفه ، فتراه في طريق صنعاء وقد ركز علمه الاخضر فوق اعلى صخرة في ساحل البحر الاحمر فيرى المسافر في طريق الهند المشرف على الحديدة علم « الاخوان » وقد زانه شعار التوحيد وكتبت عليه باحرف بارزة ضخمة تلك الكلمة التي حملها الفاتحون منذ اربعة عشر قرناً زاداً لهم من مكة الى الصين وهي : « لااله الا الله محمد رسول الله » واذا بعدن « العربية البريطانية الهندية » تتلفت الى جارة جديدة ناشئة في قلب البحر الاحمر وفي طريق الهند ، هي الحديدة العربية السعودية اليمانية ، فيصيح فيابي في وجوه الانكليز وفي جريدة « التايمس » : ان ابن السعود لن يترك لؤلؤة البحر الاحمر. ونحن نقول انه لن يترك غوطة الجزيرة فهو يردد ابداً قول الشاعر :

لابد من صنعا ولو طال السفر !.. وان بقاء الانسب لم تكن سنة ابن السعود وحده بل هي سنة الله تعالى القائل في كتابه الكريم « والارض يرثها عبادي الصالحون » . فلا طريقة ابن ادريس واوراده واذكاره تحمي وحدها عسير ومينائها الحديدة ، ولا رزم « القات » و « طار الهواء » عافاكم الله... تصلح وحدها للاحتفاظ باربعة ملايين عربي من اذكى عباد الله يعيشون في اليمن على دهن رؤوسهم بالزيت والسمن واجسامهم بالنيله ، واقدامهم بدماء الجرادين !... فلا بد من المدرسة والمستشفى والاتوموبيل والتلفون وبعد ذلك « طار الهواء » !...

من الرياض الى صنعاء الآن !...

هكذا كان ينادى النجديون يوم نفروا للحرب في اليمن بقيادة الامير سعود، وقد تنادوا مثل هذا النادي يوم ساروا بقيادة سلطان ابن بجاد الى الطائف فعصفت في رؤوسهم نخوة التوحيد والشجاعة فصاحوا صيحتهم المشهورة او رغبتهم الحربية الوحيدة « خيال التوحيد اخو من طاع الله » : من الرياض الى مكة ، فاذا بالطليعة وحدها تكفي الجيش الزاحف وراءها مؤونة الحرب فتستقر في مكة ، واذا بشيخ قريش الاجل المرحوم الملك حسين يقف على ظهر الباخرة « طويل » في طريقه الى العقبة يردد قول الشاعر : مشيناها خطى كتبت علينا .. فيقول له اعز الناس عليه واحبهم اليه : والارض يرثها عبادي الصالحون . واذا بابن السعود يقول في حديثه : والله ما كنا نبغي فتح الحجاز ولكنا كنا نطلب الانصاف في جوارنا وحدودنا ومعاملة اهلنا والكف عن احتقارهم ولكن : اسمع انا اعاملك : بؤجر المرؤ رغماً عن انفه . وهكذا يعيد ابن السعود ماقاله منذ تسع سنين ، وينقله الحاج عبد الله فيلبي ... الى قومه في « التايمس » : ما كنا نبغي فتح اليمن ولا حرب الامام ، ولكن الامام اراد ان يحتكم الى السيف فاضطرني الى حشد ٤٥ الف مقاتل فحشدتها على كره مني . واليوم انا في نهاية عسير وآخر ساحل في اليمن وفي طريقي الى صنعاء و :«يوجر المرؤ رغماً عن انفه » !...

ايمان وعصامية وحظ ، ثم طاعة في قومه تفوق حد الطاعة الى الاستماتة في سبيل كلمة تخرج من فمه .

هذا هو عبد العزيز ابن السعود وهؤلاء هم الوهابيون الذين قال عنهم الريحاني في « ملوك العرب » رسل التوحيد والرعب والموت في وقت واحد ...

لنسمع قليلا الاستاذ امين الريحاني يقول لابن السعود في العقير ، وتحت مضرب من الشعر منذ اثنى عشر عاماً وفي اول مقابلة رأى بها سلطان نجد يومئذ :

— ياطويل العمر ، ان امراء العرب وملوكهم في حاجة الى الاتحاد والاتفاق وان العرب ...

— امراء العرب ؟! العرب ؟؟! حنا العرب «اي نحن العرب ».

هكذا قاطع ابن السعود الريحاني ولم يترك له ان يبحث في اتحاد امراء العرب ولا ان يذكر امامه العرب فقد نفى وجود العرب الا في نجد ... وقد لا يكون ابن السعود مبالغاً فاين العرب الذين سلمت دماؤهم وانسابهم من خليط الامم والشعوب ؟

افي سورية ، وقد كانت طريق الفاتحين من شتى الامم والشعوب ؟ ام في العراق والعنصران التركي والايراني في الجنوب وخصوصاً في المواصم قد القيا بالدم جزافاً وبلا حساب ، وفي الشمال وقد سادت الكردية لحماً ودماً ولغة وقومية ؟ ام في الحجاز والجاوي والهندي والبخاري والعربي الفوا بفضل الزواج وما ملكت الايمان مزيجاً من شتى الامم ام في تهامة وعسير والحبشيات السودانيات الدنقليات قد احتللن بيوت العرب من قصور السادة ابناء ادريس الى اكواخ الزرانيق قرصان البحر الاحمر ؟

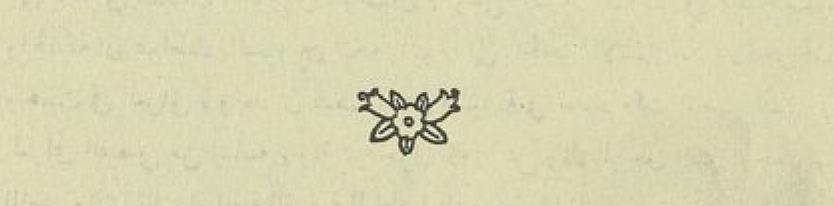
اجل ! حنا العرب ! اللهم نعم . ان العرب في نجد وفي البقية الباقية من تهامة.

ان تتهمي فتهامة وطني او تنجدي ان الهوى نجد !...

هكذا يجمع ابن السعود الى الايمان والعصامية والحظ والاستعداد والكرم شعباً عربياً لم تفسد اخلاقه العواصم والحواضر ، ولا غيرت دمه التركيات والشركسيات والسودانيات ، ولا زلزلت عقيدته تلك البدع التي ادخلها الاعاجم على الاسلام ، ولا فلت من عزيمته هاتيك الطرق الصوفية التي قتلت في نفوس الشعوب الاسلامية في الهند والعجم وجاوى وحتى سورية والمغرب الاقصى — الارادة والشعور بالوجود والالتجاء الى الاولياء ، ثم الفناء في المشائخ توصلا الى الفناء بالروح ، وتمهيداً الى الفناء بالذات الالهية ، وتحبيب الفقر والاستسلام وقتل روح السعي والكسب وحتى الدفاع عن النفس والوطن . بل سلم النجدي من كل هذه البدع والخرافات في الدين وتلك الاختلاطات في الدم ، فبقي عربياً قحاً في قوميته ولسانه ، مسلما بسيطاً في ايمانه وعقيدته ، لا يعترف الا بالله ولا يتوسل بغير رسول الله . يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويصوم رمضان ويحج البيت ان استطاع اليه سبيلا ، ويطيع الله والرسول واولي الامر منه . يطيع ابن السعود لانه مؤمن وعربي وشجاع وعادل .

من الرياض الى صنعاء ! لا بل من الرياض الى الحديدة وفي طريق صنعاء ! ومن دمشق الى مكة ، بل في الطريق الى مكة يتجه السوريون وقد راحت بعثتهم الوطنية الاولى وعلى رأسها وفد الكتلة الوطنية برئاسة جميل مردم بك يحملون الى عبد العزيز عاطفة الوطن السوري المهشم وامنية ابنائه المحطمين !

وكل ديار قربت منك منزلي وكل مكان انت فيه مكاني



لماذا يتمنى السوريون فوز ابن السعود

يتساءل بعض الناس وخصوصاً في لبنان : لماذا يعطف السوريون على ابن السعود ويتمنون له الظفر على خصمه الامام ؟

فهل بين السوريين والامام يحيي عداوة قديمة ، وبينهم وبين ابن السعود صداقة ومحبة ؟

هذا سؤال سمعته في بيروت ، والقي علي اكثر من مرة بمناسبة سفر وفد الكتلة الوطنية الى الحجاز برئاسة جميل بك مردم بك ، والعناية باخبار الظفر السعودي التي تبدو في احاديث السوريين الوطنيين ، وعلى السنة كتابهم في الصحف . والحقيقة ان عواطف السوريين تتجه اليوم الى الحجاز لاسيما بعد ان جرحت واهينت في العراق ، وبعد ان نسف رجال السياسة في بغداد ذلك الماضي السوري العراقي الفيصلي من اساسه ، ولما يمر حول كامل على وفاة الرجل الذي اوجد ذلك الماضي وانشأ تلك الرابطة القومية العاطفية التي حياها ابناء سورية وجالياتهم الوطنية في اوربا واميركا ومصر ، فماتت بموته وبعدت الهوة بين الطرفين في سبيل بضع وظائف زاحم السوريون فيها اخوانهم في العراق ... فنفض ابناء سورية ايديهم من بغداد ومدوها الى مكة . وهم في ذلك معذورون لانهم يطلبون انقاذاً وينشدون رجلا عربياً قوياً يجعل وحدة العرب فوق الاقاليم والوظائف . وقد وجدوا ذلك او املوه في عبد العزيز ابن السعود ، فراحوا يتمنون له الظفر على الامام ويعلقون آمالا قومية ضخمة على احتلال اليمن وضمها الى المملكة العربية السعودية الناشئة حيث تتألف دولة عربية واحدة من خليج فارس — او من جوار الخليج — الى اواسط البحر الاحمر من امة لاتخجل اذا عدت الامم ، ولا تطرق برأسها حياء وذلا اذا قيل ان ايران تعد حوالي العشرين مليوناً ، ومصر تربو على الخمسة عشر وتركيا على اكثر من هذا العدد ، بل يكون عدد هذه الدولة العربية السعودية

اذا ضمت اليمن العليا وعسير وتهامة مع الحجاز ونجد عشرة ملايين على اقل تقدير.

***

هذه هي امنية السوريين الوطنيين في انتصار ابن السعود على خصمه ، وهذا هو جواب المتسائلين عن سر هذا الاتجاه البادي اليوم نحو الحجاز والذي تمثل اخيراً بسفر ابرز رجل في الكتلة الوطنية .

اما اليمانيون فليس لهم في نفوس السوريين غير ما لاخوانهم النجديين من عاطفة الرحم والقومية واللغة . واما الامام يحيي فلا يضمر له احد العداء والبغضاء فهو من ملوك العرب واسيادهم ولكن ليس من الانصاف ان يطلب الى السوريين في سبيل توحيد الامة العربية ان يضحوا بهذه الوحدة القومية اكراماً لبقاء كل بقعة من الجزيرة في حوزة امير او ملك وكلهم عرب ويحكمون شعوباً عربية .

ولو ان العاطفة وحدها تجوز ان تتخذ مقياساً في ولاء العرب بعضهم لبعض او في بغضائهم لكان اولى بهذه العاطفة ان تسيطر على نفس المغفور له جلالة الملك فيصل ساعة صافح ابن السعود خصم الهاشميين ومديل دولتهم في الحجاز ولكن فيصل طيب الله ثراه تجرد عن عاطفته كهاشمي ، وتقدم من ابن السعود كعربي يعمل في سبيل العرب . وفيصل من المؤمنين بقوله تعالى «والارض يرثها عبادي الصالحون» بل ان فيصل نفسه يوم فاجعة ميسلون قال لفريق من الوطنيين الذين رافقوه الى حيفا : اذا لم تنصفنا اوربا وتعيد الينا حقنا المغتصب وفاء بعهدها الذي قطعته لنا في الحرب من استقلال بلادنا ، فسنلجأ الى ابن السعود .

لماذا لم تقبل الوطنية الايطالية ان تكون في وطنها اكثر من دولة ايطالية واحدة ؟ ولماذا وضع الالمان جميع ثمرات انتصارهم منذ نيف وستين سنة في سبيل الوحدة الالمانية ؟ ولماذا لايكون في فرنسا ملكان او دولتان بل في بلغاريا او صربيا ورومانيا ، مع العلم بان هذه الدول خصوصاً في اوربا الشرقية تتألف من عناصر مختلفة في اللغة والعنصر والدين ؟

لماذا ترفض الامم المتمدنة القوية في اوربا تجزئة شعوبها وتحارب في سبيل وحدتها ،

ولا يرسل الله للعرب رسولا يوحدهم حرباً وقوة بعد ان رفضوا هذه الوحدة سلماً واتفاقاً ؟!

نحسب انه لايوجد من يقول بان وحدة الامة المتجزئة تتم بغير الوسائل التي تمت بها وحدة الطليان والالمان ، اي بالقوة ، وبنهوض زعيم يجمع الامة كرهاً في دولة واحدة ، فالغلة ذل والتجزئة ضعف والقوة وحدها هي دواؤهما .

ان تجزئة الامة الواحدة الى دويلات وعروش مرض من الامراض الاجتماعية العامة لافرق في ذلك بين شرقي وغربي ، لان اقامة دول متعددة مظهر طبيعي للانانية وحب الذات شأن الاحزاب السياسية التي تتعدد في بلد واحد او قرية واحدة واذا كان زعماء هذه الاحزاب السياسية يرفضون الانضواء تحت لواء حزب واحد احتفاظاً بزعامتهم ، فان الملوك والامراء وحتى الموظفين في تلك الدويلات يرفضون الانضواء تحت راية دولة واحدة احتفاظاً بعروشهم ومنافعهم ووظائفهم . وها نحن في سورية التي لم يمض على تجزئتها وتقسيمها الى دويلات بضعة عشر عاماً ، وقد كانت قبل ذلك ولاية واحدة خاضعة لسلطة عثمانية غريبة . ها نحن نسمع ان الذين يرفضون الوحدة انما هم الموظفون ، والذين تزدهر زعاماتهم المحلية في تلك التجزئة القاتلة ، والذين تمتلىء جيوبهم من ذلك التقطيع الذي يحز في رقاب الشعب ليدفع لهم نفقات الوظائف من دمه ودمعه . فاذا تمت الوحدة انهارت احلامهم وفقدوا زعاماتهم الاقطاعية او الدينية او السياسية ...

وهكذا الحال في جزيرة العرب فان احتفاظ ملوكها وامرائها بدولهم الصغيرة وشعوبهم الفقيرة ، انما هو مظهر من مظاهر الانانية في نفوس الملوك والامراء والموظفين . فاذا لم ينهض منهم زعيم مخلص يوحد هذه الدول ويجعل شمل هذا الشعب العربي الواحد فهيهات ان يتحدوا على مبايعة واحد منهم ويتنازلوا عن عروشهم مهما كانت خاوية ، بل ان بعضهم في سبيل الاحتفاظ بهذا العرش وما يتبعه من قصور وجواري وعبيد قد القى بنفسه في احضان الحماية الاجنبية ، وهو وملكه وعرشه وشعبه لايؤلفون مائة وخمسين الف نسمة . وهذه الكويت والبحرين ومسقط وعمان وحضرموت ولحج وبقية الامارات ، بل النواحي ، خاضعة للنفوذ البريطاني

في طول خليج فارس وبعض البحر الاحمر في سبيل انانية شيوخها وسلاطينها وامرائها واضخم سلطان فيها لاتتجاوز اعانته السنوية من الانكليز خمسة آلاف روبية !...

فهل من مصلحة العرب اذن ان تظل بلاد العرب مقسمة الى خمسين امارة وسلطنة وناحية ، ونحن في عصر تشكو الامم الكبرى ذوات السبعين والثمانين مليوناً قلة العدد وتحض على الاكثار من النسل ؟! وهل مفروض في اوربا ودولها ان تتحد شعوبها ويكثر عددها وهي منيعة الجانب ، ولا يفرض على العرب — وهم مغزوون في ديارهم ، مهاجمون من البر والبحر والجو — ان يتحدوا وان ينهض واحد فيهم يقوض هذه العروش الخاوية ويدحرج تلك التيجان المغموسة بذل الحماية الاجنبية ؟

لقد نهض واحد من العرب فبدأ ببلاده وقد كانت نجد من قبل مقسمة بين آل السعود والرشيد وعايض . فقضى على تلك التجزئة وانشأ سلطنة نجدية واحدة ثم سار الى الحجاز فضمها الى هذه الوحدة ولم يكد يلبث في الحجاز حتى جاءت عسير تطلب ادماجها في هذه المملكة وها هوذا اليوم يحتل اكثر البلاد اليمانية ، ولم يبق عليه سوى احتلال اليمن العليا فاذا تم ذلك تألفت عندئذ دولة عربية واحدة من عشرة ملايين .

نحن لانتمنى لابن السعود احتلال اليمن بغضاً بالامام يحيي ، ولكنا نتمنى توحيد الجزيرة على يد اي رجل كان ، على شرط ان يكون جديراً بان يضطلع باعباء هذه الزعامة ويحمي وحدة العرب من المطامع الاجنبية . وقد اثبت ابن السعود بانه وحده الجدير بهذه الرسالة القومية السامية ، وهو الذي يستطيع ان يؤديها بامانة وان يحكم بين الناس بالحق ويؤمن الامن وينشر العدل . ونحسب ان كل شيء في الحجاز ونجد يتطلب الاصلاح والكمال ، الا العدل والامن ، فهما بشهادة الاجانب في الذروة من الكمال .

لقد عرف ابن السعود نفسه بانه كفوء لهذه الزعامة قبل ان يعرفه الناس ، والزعيم اذا لم يأخذ الزعامة اخذاً فلن يقدمها احد اليه ، واسمعوا الريحاني يحدثكم عن معرفة ابن السعود قبل ان يعرفه احد . اسمعوا فيلسوف الفريكة الذي كان له الفضل الاول بتعريف ابن السعود الى العالمين الشرقي والغربي ، يحدثكم ليلة

زاره في نجد في غرفة السلطان عبد العزيز . وكان لقبه يومئذ سلطاناً فقط . وقد دون الريحاني في مذكراته ان عبد العزيز ابن السعود مستعد للاتفاق مع ملوك العرب وامرائهم على انشاء اتحاد عربي، او على توحيد الجزيرة تحت لواء رجل واحد وانه يتنازل لهذا الرجل عن زعامة العرب ويبايعه . وقد عرض الاستاذ الريحاني على زائره الكبير ما كتب عنه فتناول قضيباً بيده وضرب على الارض وقال :

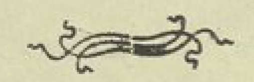
— اسمع يا استاذ . انا اعلمك ... اشطب القسم الثاني اشطب ... نحن لانريد ان تكتب عنا ماليس فينا ... الرياسة فينا وزعامة العرب لنا ولا نقبلها في غيرنا ... ترى الصحيح ...

بمثل هذه الصراحة يعلن عبد العزيز منذ احد عشر عاماً انه لايرى غيره اهلا لزعامة العرب ولن يقبل الرياسة في احد الا في نفسه . وها هي الايام لاتكذب ابن السعود في معرفته نفسه ولا تكذب الذين تنبأوا له بهذا المستقبل .

ونحن السوريين الجزئيين ، والعرب المضطهدين المذلولين الذين خابت آمالهم في الحلفاء ، وفي جميع ملوك العرب وامرائها ، نتوجه الى الله بقلوبنا وعواطفنا ان يكتب خاتمة ذل العرب على يد ابن السعود ، ويوحدهم تحت لوائه ، وليبارك الله بهذه المدنية والتهذيب والسعادة لمن يطلبها في اوربا واميركا وتركيا ...

كرروا معي ايها العرب في سورية وفلسطين والعراق وخليج فارس هذه الدعوة الى الله واعيدوا معي مرة اخرى ومن غير انخاب ولا كؤوس قول الشاعر .

ان تتهمي فتهامة وطني — او تنجدي ان الهوى نجد!...



هل ينفع الدعاء بميادين الحرب

عرضت على قراء « النهار » في المقالين السابقين صورتين واضحتين من صور هذه الحرب القائمة في جنوب الجزيرة العربية : الاولى للرجل العصامي المنشيء عبد العزيز ابن السعود ، وللشعب المؤمن المخلص الذي يقاتل بين يديه طائعاً مختاراً والثانية لموقف الوطنيين في سورية ورأيهم في الحرب بين الامامين، والنتائج القريبة والبعيدة التي تسفر عنها بانتصار ابن السعود على خصمه .

وارجو ان اكون وفقت الى قول الحقيقة من غير ان اسيء الى دعاة الامام يحيي الذين اريد ان اسميهم مكرهاً دعاة التجزئة الكبرى ، وانصار تعدد الدول والامارات والعروش التي يحميها الاجنبي ليضرب العرب بالعرب ، وليتخذ منها عوناً على تثبيت قدمه في احتلال بلادهم .

واني اصارح هؤلاء الدعاة الذين يشنعون على ابن السعود ، بان موقفهم في بقاء كل امير عربي في حدود بلاده لايختلف في شيء عن موقف دعاة التجزئة في سورية الذين يريدون تقطيع اوصال هذا الوطن الصغير وبقاء « هذه الدول » تعيش في ظل سياسة الاجنبي عدوة بعضها لبعض . فهم اما ان يكونوا من طلاب الوحدة السورية والعربية معاً واما ان يكونوا من طلاب التجزئة والانفصال فان كانوا من انصار بقاء كل قطر عربي منفصلا عن الآخر فلماذا ملأوا الدنيا صخباً وضجيجاً في « موسم » توحيد التاجين او القطرين السوري والعراقي ؟..

فهل يجوز في سوريا والعراق من وجوب التوحيد مالا يجوز في اليمن والحجاز ونجد ؟! وان كانوا من انصار جمع العرب في دولة واحدة وادغام هذه العروش المتعددة القائمة في جزيرة العرب لاذلال العرب واضعافهم ، فعليهم ان يجهروا برأيهم وان كانوا يجدون في جلالة الامام يحيي رجلا كفوءاً للاضطلاع باعباء زعامة العرب وتوحيدهم ، فعليهم ان يعاونوه وان يبعثوا باطبائهم وضباطهم الى اليمن ،

ويؤيدوه في اكتساح المملكة العربية السعودية وضمها الى بلاده وانشاء دولة عربية واحدة ، وعندئذ نلتقي وإياهم في فكرة واحدة شريفة ، هي وجوب توحيد الدول العربية في دولة واحدة ، ونختلف على الشخص الذي يجب ان يكون سيد الجزيرة

اما ان يقولوا بانهم دعاة وحدة سورية وعربية معاً ومن انصار بقاء كل امير عربي مستقلا في بلاده او جبله فهذا قول نرجوهم ان يقولوه في غير هذه البلاد ، التي اذا فقدت كل شيء فهي لم تفقد المنطق والعقل على الاقل !..

***

لنترك الآن انصار الامام يحيى يفكرون في تحديد موقفهم ولنتكلم مع انصار توحيد البلاد العربية ، ومؤيدي الدولة الكبرى في شخص ابن السعود . لنسألهم ماذا اعدوا ثمناً لاشتراكهم في هذا الانشاء الوطني القومي ؟ هل يريدون ان يكون نصيبهم في كل هذا المجد الدعاء فقط ؟!.... ان الدعاء ينفع ، ولكن الاشتراك المادي مع الدعاء انفع . والحرب هي وحدها الثمن الحقيقي لتأسيس الدول وحماية الحريات ولو ان ابن السعود قبل من التجديين الدعاء فقط لظل قابعاً في الرياض يسمع في كل صباح ومساء اصوات الضراعة الى الله تشق اجواء السماء .

ولو ان الدعاء وحده ينفع في حماية الدول ، لكان اولى بالسادة الادارسة ان يحموا ملكهم في عسير وهم اسياد الاذكار والاوراد والادعية وشيوخ التصوف في آسيا وافريقيا ... ولكن الرشاشة والدبابة والطيارة ، محاطة بالدعاء والصلوات ، هي وحدها اليوم سلاح الامم ، وعدتها في تأسيس دولها وحفظ استقلالها . فليفكر السوريون الوطنيون في مصيرهم ومصير بلادهم ، وليدفعوا ثمن الاشتراك في انشاء الدولة العربية المستقلة كما دفعوه في الثورة الاولى في صفوف الحلفاء ، وفي ظل المغفور له جلالة الملك حسين ونجله الملك فيصل طيب الله ثراه ، فقد خولهم ذلك الاشتراك ان يطالبوا باستقلال بلادهم وجعلهم يرفعون رؤوسهم ولا يزال ذلك النصيب في الحرب العامة وثيقتهم الوحيدة في حق الحرية والاستقلال .

لقد نفر السوريون والعراقيون وابناء فلسطين والاردن في تلك الايام الى بادية الحجاز ليشتركوا في حرب الترك وليساهموا في حملة الانقاذ فراراً من الظلم وهرباً

من الذل الاتحادي التركي ... فهل استطابوا اليوم الذل الاوربي والصهيوني هنا وهنالك ، مع الفقر واضمحلال الثروة وشح موارد الرزق ؟

وهل لايريدون بلاداً عربية اخرى يعيشون فيها احراراً مستقلين يعملون على انشائها واستثمار مواردها الزراعية والصناعية ؟ فماذا ينتظرون في بلادهم او ماذا ينتظرهم فيها غير الموت البطيء والذل الدائم ؟

ها هي الدول المستقلة في اوربا تستعمر بلاد العرب في آسيا وافريقيا لتجد لشعوبها اسواقاً ومزارع ، ولعمالها العاطلين اعمالا تخفف عن وطنهم الاصلي كابوس الفاقة . بل ان هذه الدول تحارب اصحاب المستعمرات الاصلية وتجعلهم طعمة للنار والحديد في سبيل التوسيع ، افلا يجدر بكم ايها العرب ، في سوريا وفلسطين والاردن والفرات ، ان تأنفوا من ذل الاستعباد وذل الفقر معاً ، وتفتحوا بلاد العرب بايديكم ولانفسكم واولادكم قبل ان يفتحها الاجنبي القوي كما فتح بلادكم ؟

ها هي الدولة العربية الكبرى في طريق التأسيس ،وها هي الاراضي الواسعة والمرافيء البحرية على طول ساحل البحر الاحمر ، خاوية خالية ، تستطيعون ان تزاحموا بها لو عمرتموها السويس وعدن ، وان تجعلوا فيها شعباً عربياً جديداً ، فتؤسسون المدارس والمستشفيات والاسواق وتحولون تلك الصحراء الى جنان ورياض ، بدلا من ان يؤسس فيها الايطالي والانكليزي والاميركاني معاهد تبشيرية دينية وسياسية ، ويجعل من العرب شعباً حائراً نصف افرنجي ونصف عربي ينكره الافرنج ولا يعترف به العرب كما هي الحال في بعض البلاد العربية القريبة ...

ليست تربة اليمن والحجاز اقل خيراً من تربة العراق ومصر . وليست سواحل الحجاز واليمن ابعد عن العالم من سواحل افريقيا والهند وطرابلس الغرب . اترى عجز المستعمرون ان يجعلوا من تلك التربة وقوداً من بترولها لبواخرهم وسياراتهم وطياراتهم ، ومن قطنها وصوفها غذاء لاينقطع لمعامل صناعاتهم ، ومن موانئها مراكز حربية وتجارية تتحكم في اسواق العالم وفي اسواق سوريا قبل كل سوق ؟

ان الدول تنشد الاستقلال لمثل هذه الامور وتضحي بانضر شبابها لايجاد مستعمرات واسواق ومزارع للذين يفيضون عن الحرب ، حتى لايظلوا عالة في بلادهم

على دولهم ، افلا يجدر بالذين اضاعوا استقلالهم في اوطانهم ان يفتشوا عن استقلال جديد في بلاد عربية مثل بلادهم ؟

ان لهذا الاستقلال الجديد ثمناً فالذين لا يدفعون نصيبهم من تكاليفه لا يستحقون ان يطلبوا التفيؤ في ظلاله ، فابن السعود ليس مكلفاً وحده ان يدفع جميع تكاليف هذا الاستقلال الضخم في هذه الدولة الناشئة ، وليس النجديون وحدهم حطباً تطبخ عليهم وحدة العرب ، فلا اقل من ان يساهم ابناء سوريا وفلسطين والاردن وغيرهم من الذين عافت نفوسهم الذل وشكت اعناقهم من حز النير في هذا الشرف القومي ، وفي هؤلاء الضباط والاطباء والمحاربين القدماء ورجال السياسة والعلم والمهندسين والميكانيكيين وحتى الطيارين ...

اننا نربأ بابناء سوريا والعراق والاردن وفلسطين ، ان يكونوا من اهل الغنم على حساب غيرهم فلا يشتركون بالغرم ، ونخجل ان تملأ شوارع دمشق والقدس باغاني الحرية واناشيد الاستقلال والوحدة ، وها هو ذا الاستقلال والوحدة والحرية والشرف والمجد على مقربة منا ، بل هي الامبراطورية العربية المستقلة وقد رفعت جناحها الاول في القطيف وفي جوار خليج فارس وحطت جناحها الثاني في الحديدة وعلى افضل ساحل في البحر الاحمر وفي جوار عدن وقبالة جيبوتي والاريترة .

***

ايها الشباب الوطني في دمشق والقدس وعمان وبغداد .

ايها الضباط والاطباء وابطال الثورة العربية !

لم يعد في بلادكم من الكرامة والثروة ما يستحق البقاء فيها ، فان كنتم تريدون المجد والحرية فاطلبوها في جزيرة العرب واتركوا الدعاء بالنصر للشيوخ والنساء والا فاقبعوا في بيوتكم منكسي الرؤوس ورددوا قول الحطيئة :

« دع المكارم لا ترحل لبغيتها   واقعد فانك انت الطاعم الكاسي »



تجزئة في الارض والقومية والدين (*)

كتبت هذه المقالة بمناسبة المناقشة التي اثيرت في المجلس النيابي الافرنسي حول المعاهدة السورية الافرنسية التي كانت يومئذ حديث الناس في دمشق . وقد كان المسيو « دالادييه » الزعيم الراديكالي المعروف رئيساً للوزارة الافرنسية

قرأ السوريون في صحف امس خلاصة المناقشة التي احتدمت في المجلس النيابي الافرنسي بين بعض النواب الاشتراكيين وفي مقدمتهم المسيو سيكست كينان من جهة وبين بعض النواب من حزب اليمين ورئيس الوزارة من جهة ثانية .

ـــ قرأوا هذه المناقشة التي كانت سورية موضوعها البارز وكانت الوحدة والتجزئة وتعداد المذاهب والاديان والاجناس مدار الجدل بين فكرتين افرنسيتين : فكرة علمانية حرة واخرى اكليريكية متسلطة لا تفهم من هذه الحياة الا ان البشر فريقان فريق مسيحي وآخر مسلم . وان الاكثرية الاسلامية مفروض فيها دائماً الاستعداد للشر والفتك بالاقلية عند اول فرصة .

هذه هي سورية في نظر الفرنسويين بل هذه هي نفسها قواعد السياسة الافرنسية في بلادنا وعليها وحدها يطبقون كل ما يعرضونه علينا من دساتير او معاهدات او حلول ترمي في مجموعها الى تجزئتنا في الارض والقومية والدين ، اي الى تجريدنا من جميع العناصر التي تتألف منها الدول وهي وحدة الارض والشعب والمصالح ولا

(*) نشرت في « القبس » بتاريخ ١٢ نيسان سنة ١٩٣٣

ندري اذا كنا نقبل بهذه السياسة كيف يجوز لنا ان ندعى اننا دولة و كيف لا تخجل من الانضمام الى عصبة الامم .

اننا نخجل و نحتقر انفسنا عندما يريد الفرنسويون ان يعاملونا على هذه الاسس الظالمة التي اذا قبلناها نسجل بايدينا على انفسنا وعلى بلادنا جميع الخرافات والاكاذيب التي كتبها عنا الروائيون والقصاصون من الافرنج . بل اننا عندما ندخل في مفاوضة على اساس الاعتراف بالاقليات والاكثريات فاننا نعترف للفرنسويين بحماية هذه الاقليات الجنسية والدينية معاً ، ومعنى ذلك ان الاكثرية غدارة متوحشة متعصبة لا تؤمن على الذين لا يدينون بدينها ، فيجب اذن حماية هؤلاء من اولئك !... واي عار افظع واخجل من هذا العار يحمله السوريون المساكين هم وابناؤهم واحفادهم في سبيل معاهدة تعقد مع جمهورية الشحادين في هذه الرقعة المجدبة من الارض المحصورة بين الصحراء والبحر .

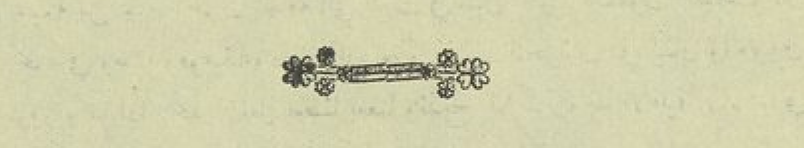
يقول النائب الاشتراكي سيكست كنان لرئيس الوزارة في المجلس النيابي الافرنسي: « ان الحكومة ترغب في الغاء الانتداب عن جزء من سورية وهذا الجزء هو مقاطعة دمشق اما العلويون والدروز ولبنان فستبقى تحت الوصاية فاذا كانت هذه هي آراء الحكومة فاني اصرح لرئيس الوزارة انه يغذي نفسه باوهام من جهة الجانب السوري وان هذا الحل الذي « يطبخ » على هذا الشكل لا يتفق ومصالح المكلف الافرنسي » :. فيجيبه رئيس الوزارة وهو رئيس حكومة ديموقراطية ومن مشاهير الاحرار الفرنسويين — . « ان الوصول الى هذا الهدف اي توحيد البلاد في سورية اصعب منه في العراق فقد وجدت انكلترا فيه شعوبا اكثر تضامنا وامتزاجا اما في سورية فالامر على العكس لان هناك مجموعة ديانات وان موريس بارس قال انه وجد فيها قوما يعبدون الشيطان » ! ...

هذه مصيبتنا في السياسة الفرنسوية فانهم لا يريدون ان يفهمونا الا عبارة عن « موزاييك » من اقوام ومذاهب واديان اما في العراق فانهم يتجاهلون هذه « الموزاييك » لان انكلترا لم تعترف بها وابت ان تجزئ الوطن العراقي رغما عن طلب الاشوريين وثورة الاكراد في سبيل هذه التجزئة ، حتى ان ما في العراق

يحملونه في سورية رغما عن الحقيقة وعن انف المنطق فقد زعم موريس بارس الذي يستشهد باقواله رئيس الوزارة الافرنسية ان عبدة الشيطان في سورية في حين ان هؤلاء هم في العراق الذي يدافعون عن امتزاج شعوبه وعدم تمدد مذاهبه وجنسياته؟ فهل تريد اكثر الما وظلما للتاريخ والحقيقة من ذلك ؟ يريدون تجزئتنا على حسب مذاهبنا فالدروز لهم مذهب غير مذهب السنيين فيجب ان يظلوا منفصلين . والعلويون كذلك ، والنصارى في لبنان ايضا ، والاقليات الدينية والجنسية في سورية تجب حمايتها والنص على هذه الحماية في صلب المعاهدة ؟!... ثم لا يتورعون ان يقولوا عنا بانهم اذا سحبوا جيشهم فاننا ننقض على بعضنا البعض كأننا وحوش تسكن الغابات ونلبس جلود الدببة ، فاذا نفى نائب منصف مثل هذا الزعم قال له رئيس الوزارة ان السوريين حدث لهم ذلك اي انهم انقضوا على بعضهم البعض مرة في التاريخ مشيرا الى حادثة الستين في لبنان ، اما هم فينسون جميع « الانقضاضات » في بلادهم وفي قلب اوربا المتمدنة ... ينسون مذبحة البروتستانت في قلب باريس وينسون محاكم التفتيش في بقية النواحي وهاتيك المحارق والانطاع التي كانت تقام في الساحات العامة وتحرق فيها الاجساد البشرية وتطاح الرؤوس الانسانية ... ينسون ذلك جميعه لانهم اقوياء مستقلون عندهم جيش ولهم اسطول اما نحن فضعفاء بل غنيمة من غنائم الحرب العامة التي اثيرت في سبيل تحرير الشعوب ! فيجب اذن ان نجزأ في وطننا وقوميتنا وديننا وان نعترف بهذه التجزئات في لبنان والعلويين والدروز واننا اذا اتحدنا نظلم بعضنا بعضا وتذبح الاكثرية منا الاقلية !... اما في اوروبا فالمذابح مباحة والفظائع مغفورة لان اصحابها اقوياء مستقلون !... هذه المانيا وهذا هيتلر وذاك حزب النازي وهؤلاء اليهود الذين قدموا في سبيل المانيا وفي ساحات الحرب مئات الالوف من الرجال والملايين من الاموال يذبحون ويضطهدون ويعزلون من الوظائف ويخرجون من القضاء والمحاكم ويحرمون من اصدار الصحف وتحرق مخازنهم وبيوتهم — هذا كله لا يعيب المانيا ولا ينقص من احترام هيتلر . فالبابا يدعوه لزيارة روما والرئيس روزفلت يرجوه ان يشرف اميركا والمستر مكدونلد يكون سعيدا بمرافقته الى بلاد العم سام . وربما يسافر

رئيس الوزارة الفرنسوية ايضا الى نيويورك للاجتماع به في المؤتمر الاقتصادي — هذا كله يكون بردا وسلاما على المانيا وعلى هيتلر لان هؤلاء في اوربا لم يحتج عليهم احد ولم تتحرك الانسانية في صدر احد شفقة على المضطهدين ... اما نحن في الشرق وفي بلاد الف ليلة وليلة !... وهؤلاء مستقلون يعدون اربعين مليونا، ونحن مستعبدون نعد مليوني شحاد يستكثرون علينا ان نؤلف دولة واحدة في وطن واحد في قومية واحدة !... وبعد ذلك يقولون : تعالوا نحرركم ونعقد معكم معاهدة ؟!... واذا سألناهم على اي اساس تريدون ان تعاقدونا ؟! قالوا على اساس انكم « موزاييك » من اقوام ومذاهب واجناس !...

لا !... ومليون لا !... نقولها بملء افواهنا ، وهذا كل ما نملكه الان من وسائل القوة !... فنحن امة واحدة في لغتنا وقوميتنا ومصالحنا والامنا وامالنا وارضنا ، نريد دولة واحدة تجمع السني والشيعي والدرزي والعلوي والكاثوليكي والارثوذكسي ، اما اذا كنا نعبد الرحمن او الشيطان فلستم انتم بالمسؤولين عما بيننا وبين ما نعبد !...



من نجيب الريس الى امين الريحاني (*)

كتبت هذه المقالة يوم اصدرت محكمة التمييز العليا في دمشق قرارها بنقض الحكم المشهور الذي صدر على صاحب « القبس » في الدعاوي المعروفة التي اقيمت عليه في عهد وزارة الشيخ تاج الدين الاولى . وقد كان صدور قرار محكمة التمييز في اليوم الذي فجع صاحب القبس فيه ايضاً بطفله الوحيد « رياض » وهو في الرابعة من عمره . وهذه المقالة كانت جواباً لمقالة كتبها الاستاذ الريحاني في صحف بيروت بمناسبة الدعاوي المذكورة قبل صدور قرار التمييز بنحو شهر .

سيدي الاستاذ .

لعلك قرأت في « النداء » وفي غيرها من الصحف ان محكمة التمييز في دمشق نقضت الحكم الصادر عليَّ من محكمتي البداية والاستئناف بالسجن ستة اشهر ونصف الشهر ولعل قراء « النداء » لم ينسوا مقالتك التي كتبتها دفاعاً عن ثلاثة كتاب مضطهدين : عباس العقاد في مصر ورفائيل بطي في العراق ونجيب الريس في الشام

(*) نشرت في « النداء » بتاريخ ١٠ تشرين الثاني سنة ١٩٣١

ولقد كان واجباً علي ان اشكر لك دفاعك المخلص عني الذي تطوعت به لوجه الله والحرية وانت بعيد عن مواطن السياسة الظالمة قابع في قريتك المتواضعة،موطن فلسفتك ومهبط وحيك ، حيث لا ترى من حولك غير كتبك واوراقك ، وحيث لا يصابحك في غدوك غير وجوه الاطفال الضاحكة ولا يماسيك في رواحك سوى عجائز « الفريكة » المؤمنات فتستوحي من مرح الاطفال سرور النفس وبهجتها ومن نظرات العجائز حنان القلب وحب الخير فتعرف كيف تقول للظالمين : ايها الظالمون اتئدوا ، وللحكام الاقوياء ايها الحكام اعدلوا ، وللمظلومين الضعفاء ايها الاخوان اصبروا ، وللمجاهدين في بلاد العرب والجبل الاخضر ايها المجاهدون امضوا في جهادكم الى الموت ، وللقتلى منهم ايها الشهداء يرحمكم الله .

***

لقد كان واجباً علي اذن ياسيدي الاستاذ ان اشكر لك دفاعك عني ولكنك كنت اسرع مني الى الاعتذار عن قبول الشكر فالتقينا في قصر امية في دمشق فقلت لي ايكن الجواب على مقالتي قرار محكمة التمييز في دعواك .

وافترقنا شهراً وجاء صباح الثلاثاء في ٢٧ تشرين الماضي واذا بي اتلقى الخبر بان محكمة التمييز نقضت الحكم ولكني في هاتيك الساعة التى ارسل الي بها البشير يزف بشراه كنت انعى فيها لاصدقائي واخواني طفلي الوحيد . فماذا تريد مني ان اقول عن تلك الساعة العجيبة؟: امل عذب ينطفيء اذ تمتد يد الموت القاسية فتخطف مني أعز ماملكت وما أملك وما سوف أملك ، وتعلمني كيف يذوق الاباء مرارة الثكل بالابناء وكيف تحترق قلوبهم عليهم الى الابد ، ثم رجاء لم يخب في عدل الله وقضاة محكمة التمييز يأتيني نبأه .

هذه ساعة الفلسفة يا فيلسوف « الفريكة » انظر اليها كيف جمعت بين انطفاء امل وتحقيق رجاء ، كنت انا ناعي الاول وكان غيري بشير الثاني : اتراها مداعبة من مداعبات القدر العابث ام عظة من عظات الله البالغة .

***

قال لي كاتب من كتاب محكمة التمييز فخوراً بمحكمته معتزاً بعدل رؤسائه

قل للريحاني : ان في دمشق حرمين مقدسين : الجامع الاموي ومحكمة التمييز .
وها انا اؤدي امانة ذاك الشاب فانقلها اليك يا سيدي الكريم فلقد قامت على حراسة الحرم الاول ثلاثة عشر قرناً اتصلت بحفيد مروان فتكدست ذكريات التاريخ في محرابه ومصلاه حتى استهوت « شوقي » يوم مر « بالمسجد المحزون ... » وحتى اصبحت القداسة في هذا الحرم اكبر من ان تمتد لها يد الانتهاك .

اما محكمة التمييز فلقد قام على حراسة العدل فيها سبعة قضاة اجلاء مرت عليهم فيها ثلاث سنين وبضعة اشهر لم تجرأ يد مهما طالت ان تمتد الى حاجب فيها فتنزع شعرة من رأسه . فهناك شيوخ القضاة السبعة الذين عرفوا وحدهم ولاول مرة في هذه البلاد كيف يكون القضاء فوق الحكومات وفوق الوزراء وفوق الحزبيات بل فوق الحب والكره والعاطفة . وهناك مصطفى برمدا الرئيس الاكبر الذي ما ابتسم في عمره مرة قط في وجه صاحب دعوى ولا قبل وساطة انسان .

لقد وجد نداؤك يا سيدي الاستاذ على صفحات « النداء » اذنين للعدل لا اذناً واحدة . وقد كنت على حق يوم رفضت ان تقبل شكري على دفاعك عني وقلت لي في « القصر الاموي » انني اقبل جواب محكمة التمييز فقط ، وها هو ذا الجواب قد صدر فتقبل اذن شكري على صفحات هذه الجريدة .

***

ولعلك تسألني ماذا يكون مصيرك لو صدقت محكمة التمييز الحكم ؟ اجزع من السجن ام خوف من دفع الغرامة المالية المحكوم بها فوق السجن !...

لا يا سيدي . لا هذا ولا تلك : ولكني اكون اليوم لو صدق هذا الحكم في عداد المجرمين العاديين لا داخل السجن فحسب بل خارجه ايضا لان فظاعة الحكم ليست في الستة اشهر بل هي كامنة في هذا النصف المضاف الى الستة ، لان كل من يحكم اكثر من ستة اشهر يحرم عليه بموجب القانون ان يكون صاحب امتياز جريدة او مديرا مسؤولا لجريدة ويحرم ايضا من جميع الحقوق السياسية والادبية الاخرى ، فلا تقبله جامعة في عداد طلابها ، ولا محاماة بين رجالها ، ولا يستطيع ان يشترك في انتخابات ثانوية ، فالضربة اذن كانت محكمة جدا والايعاز

باضافة نصف الشهر على الستة شهور انما كان للقتل الادبي لا للعقوبة المادية ، وربما خفي هذا المعنى من الحكم حتى على القضاة الذين حكموا به ، وربما كانوا لو علموا ذلك ارفق منهم لو لم يعلموا لانهم كلفوا ان يحكموا بالسجن لا بالقتل ...

سيدي الاستاذ

لقد عرفت انني حكمت ستة اشهر ونصف الشهر فدافعت عني ولكني قد احسبك لاتعلم لماذا حكمت وفي اي سبيل سأساق الى السجن فهلا تود ان تعلم ؟(١)

لانني دافعت عن الضعفاء الذين ابتزت اموالهم بطريق الرشوة ونافحت عن المطاردين في اعراضهم الغالية .

ارأيت ياسيدي الفيلسوف لماذا حكمت ؟ ولماذا حيكت من حولي هذه المؤامرة القضائية ، وهل تريد في ختام هذه الكلمة ان تبعث معي بتحية عطرة الى شاعر العراق الكاظمي الذي يقول :

تجني المروآت على اهلها　　　　أكثر ماتجني الجنايات



(١) وهنا حذف من المقالة حكايات الدعاوي الست التي رفعت على القبس

من امين الريحاني الى نجيب الريس (*)

كتب الاستاذ امين الريحاني هذه المقالة جواباً على مقالة صاحب « القبس » في « النداء » والمنشورة في الصفحة (٢٠٥) من هذا الكتاب بعد حذف بعض مقاطع منها انتهت مناسباتها الماضية .

الاخ العزيز نجيب الريس

قرأت كلمة « شكر ، ونجوى » التي اختصصتني بهـا كرما منك في « النداء » قرأتها والعواطف المتباينة تتغالب في قلبي . فمن سرور بما ظفرت به الى حزن على من فقدت الى دهشة لما تزاحم في يومك من الاضداد الى حيرة في القانون الذي ذكرت من غريب التشريع الى غيظ لمـا كان من نتيجة انتصارك للمستضعفين ، وحملاتك على المرتشين المستبدين من الحكام الى فخر — عفواً فاني بشر — بما عزوت انت الى مقالي من التأثير الذي يحمد الله ويحمد القضاة عليه ، ولكني افضل ان اعتقد ان محكمة التمييز دام عدلها ودامت كذلك ، ولك ان تقول بعد ذلك قداستها لا تحتاج الى من ينبهها الى واجبها .

اخي : ان الانسان بما يبذل في سبيل الانسان . وان الحياة تطول وتقصر لا بالسنين بل بالاعمـال . فالذين يجاهدون مثلك اليوم هم شيوخ وان لم يتجاوزوا الثلاثين ، وسيكونون في شيخوختهم شبابا .

اجل ، ان في البذل العقلي الروحي اكسير الحياة وان الاضطهاد في سبيل الوطن والانسانية يشحذ الهمم .

(*) نشرت في « النداء » بتاريخ ١٧ تشرين الثاني سنة ١٩٣١

اما الاحزان فلا فلسفة فيها . ومن العبث بل من الفضول ان تحاول استخراج عطر التعزية من ازهار الكلام فلا عطر فيها للمحزون ولا سلوى .

ولكني وانا احترم حزنك واسأل لك خلف الفقيد ونعمة في الخلف ، اقف عند كلمة قلتها يائساً . قلت سري عنك : ان من فقدت ، اعز ما ملكت وتملك وستملك . فاسمح لي ان اقول ان بعض الحاضر وكل المستقبل ليس بيدك ولا اظن ان اخوانك وزملائك يسرون بان يكون من فقدت اعز ما تملك وما ستملك .

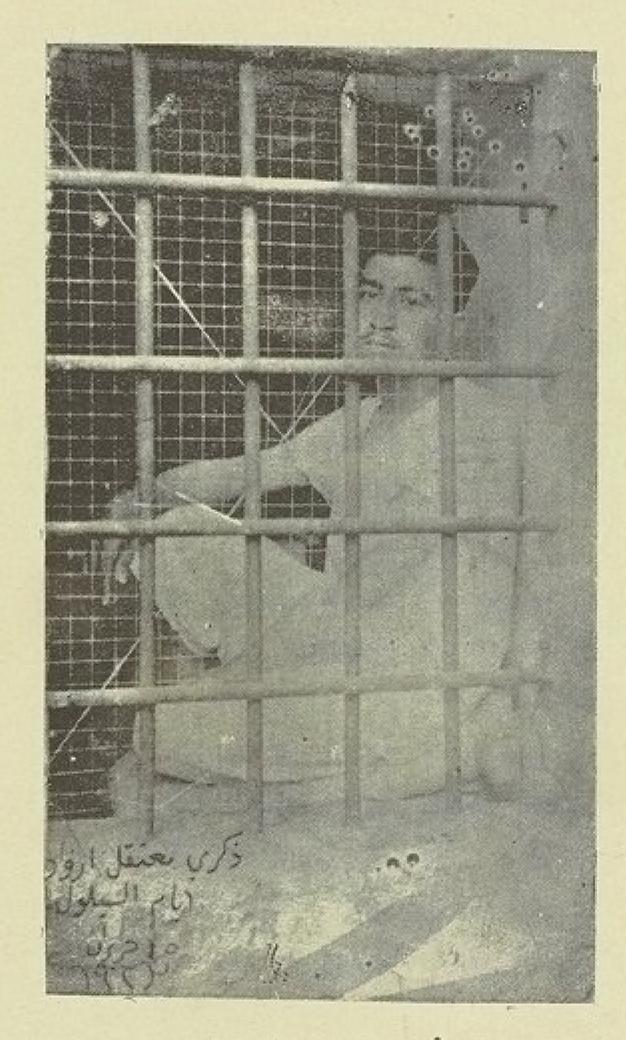
لا يا اخي . انك رجلان : اب ومجاهد . اب منكوب ، ومجاهد منتصر ، وان اعز ما تملك وستملك في نظر اخوانك المجاهدين جهادك ، انما هو الحماس الوطني ، والبيان والجرأة والاخلاص ، بل هو شغفك الوجداني وغيرتك الوطنية وترفعك عن كل ما يشين او يضعف تلك الغيرة وذلك الشغف

قد اكون قاسياً فيما اعده قياس التقدير لرجال الامة ولكن المبدأ الوطني الانساني والحماس والاخلاص والجرأة في الدفاع عنك ثم القناعة بما يورثه الدفاع مع الصبر عليه والثبات بالرغم منه انما ذلك اعز ما يملكه كل من يقف نفسه لخدمة الوطن وكل من يبذل مما لديه في سبيل الانسان .

وانت يا نجيب غني على سنك فيما بذلت وكبير على سنك فيما قاسيت فهل بعد ذلك من جزاء يستحب وهل في المفخرات ما هو ابهر واعز من انك سجنت ونفيت واضطهدت وغرمت من اجل الامة العربية .

لا تظنني رعاك الله متفلسفاً ، تفلسف من هم في مأمن من المحن والمظالم السياسية فلصومعتي ها هنا اربعة ابواب شرقا وغربا وشمالا وجنوبا مفتوحة للعالم . ولها كذلك برج يشرف خصوصاً على البلاد العربية بلادنا وهو معرض على الدوام للعوامل الجوية فيها كلها . فاذا تلبدت الغيوم في سمائكم تلبدت في سمائي واذا صفا الجو عندكم صفا عندي .





نجيب الريس في منفاه

ياظـــــــلام السجن

نختتم هذه المقالات المختارة بأبيات النشيد الوطني المشهور الذي نظمه صاحب « القبس » في السجن عام ١٩٢٢ في مطلع الحركة الوطنية بعد احتلال الافرنسيين، نثبته هنا لكثرة ما اختلف على اسم ناظمه الحقيقي، ولأن بعض الصحف والكتاب نحلوه لغير صاحبه خطأً او عمداً . فقطعاً لهذا الشك او الوهم، ننشره كما نظمه صاحبه بالحرف الواحد وبالترتيب نفسه الذي اختاره للأبيات . اما تلحينه فقد اشترك في وضعه فريق من الشباب الوطني الذين كانوا معتقلين يومئذ، نذكر منهم السادة عادل حناحت وفهمي المحايري ومحمود البيروني ونادر الساطي وغيرهم، ثم لحنه في الصيف الماضي الموسيقار المشهور الاستاذ محمد عبد الوهاب واسمعه فريقاً من الشباب الوطني في منزل جبران بك بيضا في عاليه على ان يملأه في اسطوانة خاصة من اسطوانات شركة بيضافون المشهورة .

وهذا هو النشيد بحرفه الواحد :

ياظلام السجن خيم	اننا نهوى الظلاما
ليس بعد الليل الا	فجر مجد يتسامى

* * *

ايها الحراس رفقاً　　واسمعوا منا الكلاما
متعونا بهواء　　منعه كان حراما

* * *

ايه يادار الفخار　　يامقر المخلصينا
قد هبطناك شباباً　　لايخافون المنونا

* * *

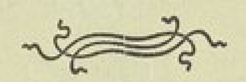
وتعاهدنا جميعاً　　يوم اقسمنا اليمينا
لن نخون العهد يوماً　　واتخذنا الصدق دينا

* * *

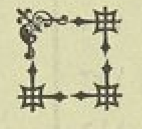
يارنين القيد زدني　　نغمة تشجي فؤادي
ان في صوتك معنى　　للأسى والاضطهاد

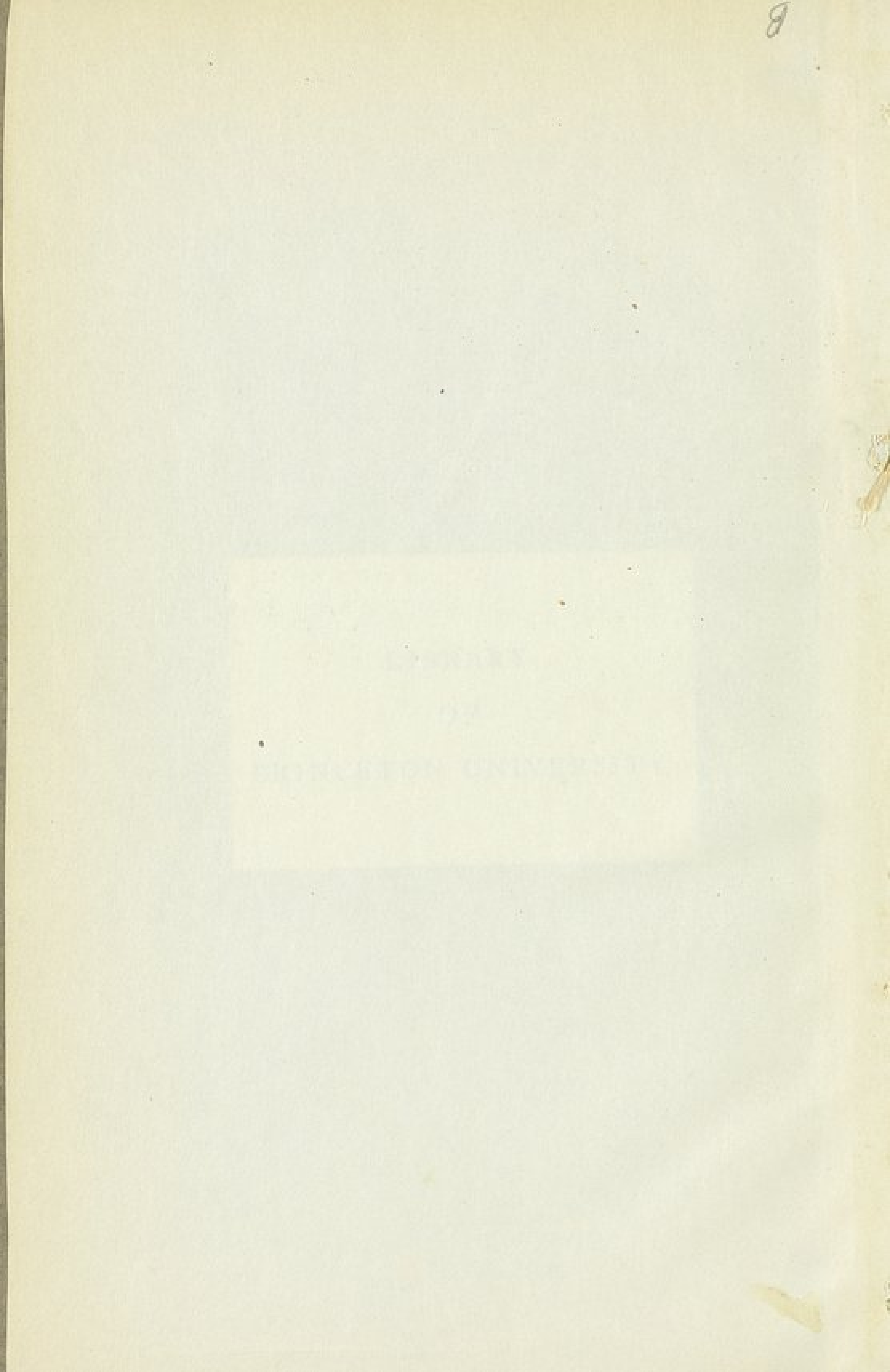
* * *

لست والله نسيا　　ماتقاسيه بلادي
فاشهدن يانجم اني　　ذو وفاء ووداد



فهرس






Princeton University Library
32101 074496660